

المجلد السابع والستون

الجزء الأول

مجلة

مجمع اللغة العربية دمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ

كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ م

مجلة مجمع اللغة العربية دمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقا
ص . ب ٢٢٧

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

في القطر العربي السوري ٤٠ ليرة سورية
في جميع الأقطار العربية ٦ دولارات أميركية
وفي سائر الأقطار ٨ دولارات أميركية

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية .
- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتابتها المقالات الأصلية التي يحنونها بها ويقصرونها عليها . وإن للكتاب الحق في إعادة نشر مقالاتهم بعد ذلك أيضا شأوا شريطة أن يشيروا إلى النشر الأول في مجلة المجمع .
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح ، أو مضروبة على الآلة الرقائعية .
- المقالات التي لا تنشر لا ترد إلى أصحابها .

مطبعة الصباح

دمشق - هاتف ٢٢١٥١٠

عدد النسخ (٢٠٠٠)



شبكة
الألوكة
www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net



يَبْنِمُ

مَأَلْفُ السَّاجِعَاتِ ، ومرْتَعُ الشَّوَادِنِ قَدِيمًا

الأستاذ حمد الجاسر

لفت نظري وأنا أتصفح ديوانَ الشاعر حُمَيْدِ بنِ ثَوْرٍ أثناء كتابة كلمة عن فائت شعره ، ما ورد في قصيدته الميمية المشهورة من قوله :
 إِذَا شِفْتُ غَتَّتِي بِأَجْرَاعِ بَيْشَةٍ أَوْ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَنْبِمَا
 وهو البيت الثاني والتسعون من القصيدة الواردة في ديوانه⁽¹⁾ ، تحقيق أستاذنا الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني - رحمه الله - ورأيته يقول في الحاشية : في « البلدان » في : يَنْبِمُ ، وَيَنْبِمُ . وفي « الوسيط » (يَلْمَلِمًا) مصحفاً ثم نقل الأستاذ عباس عبد القادر الذي علق على الديوان ، كلامَ البكري في « معجم ما استعجم » في تعريف المواضع الثلاثة : يَنْبِمُ ، وبَيْشَةٍ ، وتَثْلِيثٍ .

وسبق لي أن عُنَيْتُ بالبحث عن موقع يَنْبِمَ ، فكتبتُ إلى أحد إخواني في تلك البلاد ، رجوته أن يبحث لي عن تحديد الموضع ، وهو الأخ الأستاذ فَرَّاجُ بنِ شِافِي المُلْحِمِ ، فقام برحلة في جمادى سنة ١٤٠٤ هـ وكتب إلي يقول⁽²⁾ : يَنْبِمُ وبنات حرب والجَسَدَاءُ لَمْ نَجِدْ لها خَبْرًا ولا اسماً في المنطقة .

كيف هذا والمواضع الثلاثة تقع على أشهر طريق كان معروفاً منذ العصور القديمة ، حين كان ملوك حمير يأتون بجيوشهم الجرارة من هذا

بينم مآلف الساجعات

٤

الطريق لإخضاع جوانب الجزيرة ، حتى كان يعرف إلى عهدنا الحاضر باسم (درب الملك الكامل)^(٣) لأنه مرَّ به حين غزا بني عامر في نجد سنة ٤١٥ م ، ثم سلكه أصحاب الفيل سنة ٥٧٠ م . وبعد أن ظهر الإسلام أُصْبِحَ طريقَ حجاج اليمَنِ الآتِينَ عن طريقِ صعدة طَوَالَ ثلاثة عشر قرناً ، وقد حدَّدَ مؤلفو كتب المسالك المسافات بين منازل هذا الطريق ، وعَرَفُوا كُلَّ منزلة حتى إنَّ من بينهم من حدد خطوط العرض لهذه المنازل تحديداً دقيقاً بحيث لو سار المرء على وصف ما ذَكَرَ أَحَدُهُمْ وقاس المسافات التي حددها بين منازل لا تزال معروفة - مثل بيشة وسروم الفيض - لا هتدى إلى الموقع ، وإنَّ جُهِلَ اسمُه ، واختفى رسمه .

ثم كان من حسن الحظ أنَّ أُكْرِمْتُ من إحدى الجهات بمجموعة من المصورات الجغرافية (الخرائط) لتلك الناحية الواقعة في جنوب المملكة ، وفي منطقة بلاد عسير بالذات حيث يمرُّ ذلك الطريق ، فما أشدَّ سروري حين وقع نظري على إحدى تلك المصورات (الخرائط) تحمل اسم (ابن ابن) ، فكان أول ما تبادر إلى الذهن أنه هو اسم الموضع المقصود (يَنْبَم) ، وعادة العامة تحريفُ الأسماءِ بتقديم أو تأخير في الحروف ، وبإبدال بعضها ببعض بل وتغيير بعضها أصلاً إلى ما يقاربه ، ومن الأول اسم (بينم) غيروه إلى (ابن ابن) ، ومن الثاني (الرقم)^(٤) أبدلوا الميم في آخره (بَاءً) فصار يعرف باسم (الرقب) بالباء ، ومن الثالث تغييرهم اسم مكان سماه ياقوت (أسنان بلالة) وهي رؤوس جبال شامخة من العرمة في الطريق بين الرياض والخرج ، سموها (ثَنَايَا بِلَال) ، وهكذا مما لا يتسع المقام للإفاضة في تفصيله .

كان أول ما استطعت به ترجيح القول بأنه هو الموضع المقصود مقارنة المسافات بين هذا الموضع وبين المنزلين الواقعين قبله وبعده في وصف طريق الحج عند الهمداني ، ثم مقارنة قول الهمداني نفسه بأن هذا الموضع

يقع غرب تثليث .

يبنم في الشعر القديم :

ويحسن هنا أن أورد ما استطعتُ العثور عليه من أشعار المتقدمين

عن هذا الموضع .

قال طفيلُ الغنويُّ^(٥) :

أَشَاقَتَكَ أَظْعَانَ بِحَفْرِ يَبْنِمِ غَدَوْا بُكْرًا مِثْلَ النَّخِيلِ الْمَكْمَمِ

وقال حميدُ بن ثور الهلاليُّ^(٦) :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ أَوْ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَبْنِمَا

وقال العامريُّ من أبيات^(٧) :

يَا جَارَتِيَّ وَقَدْ أَرَى شَبَهَيْكُمَا بِالْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ يَبْنِمَا

عَنْزِينَ يَبْنِمَا غَزَالَ شَادِنٌ رَشًا مِنَ الْغِزْلَانِ لَمْ يَكُ تَوَامًا

وإذا صح استنتاج تحديد الموقع بالنسبة لقائله جاز القول بأنه من بلاد بني عامر أو بقربها لوروده في شعر عامريين هما : حميدُ بن ثور الهلالي ، والعامريُّ الثاني الذي ورد قوله في كتاب « بلاد العرب » ، ومؤلفه من أهل القرن الثالث ، ولا بد أن يكون هذا العامريُّ قبل ذلك العهد ، ودلالة قول حميدُ أبلغ ، لأنه وصف موقع الحمامة التي أثارَتْ شجوه بأنه كان في تثليث وَيَبْنِمَ ، مما يدل على أنه كان استقر في تلك البلاد ، وبنو هلال الذين منهم حميدُ كانوا جاوروا حَتْعَمَ التي كانت تسكن بقرب تثليث ، يضاف إلى هذا أن كثيراً من بطون بني عامر كانت منتشرة في جنوب البلاد المتاخمة لمنازل اليمنيين ، كما يُفهم من ذكر الموضعين معاً على تقاربهما ، وتثليثُ من أشهر الأودية التي لا تزال معروفة ، وكانت أسافله من منازل العامريين بني عُقَيْل وغيرهم .

وإذن فينبغي أن يكون يميم بقرب تثليث .

ينبم مألّف الساجعات

٦

أما ذكرُ طُفَيْلِ العَنَوِي للموضع فهو من قبيل السير على عادة الشعراء حين يصفون الظغائن المنتقلة من مكان إلى مكان ، دون أن يكون هناك ارتباط بين الموضع وبين صلة الشاعر به ، إذ إنّ قبيلة عَنِيّ التي منها الشاعر تقع منازلها في عالية نجد فيما بين جبال النّير وحمى ضرية ، مع أن طُفَيْلاً ذكر مواضع بقرب يَنْبَم في شعره مثل (القَهْر) .

تصحيح الاسم :

صواب اسم الموضع (يَنْبَم) ، وقد تُقَلَّبُ النون ميماً لوقوع الباء بعدها ، وهذا أمر مطرد ، ليس خاصاً بهذا الاسم فيقال (يَنْبَم) كما سيأتي في نصوص المتقدمين .

وقد وقع الاسم مُحَرَّفاً ومُصَحَّفاً في كثير من كتب الأدب .

فقد جاء في كتاب « الأغاني »^(٨) :

إِذَا شَتُّ عَنِّي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةِ أَوْ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثِ أَوْ مِنْ يَلْمَلْمَا
حُرِّفَ إِلَى (يلملم) ثم زيدَ هذا التحريف في الحاشية : ويقال فيه
(أَلْمَلْمُ) و(يَرْمَرُمُ) . فلم يكتفِ المحقق الفاضل بما وقع من تحريف في
الاسم ، بل أضاف خطأً آخر هو قوله : بأن يلملم يسمى (أَلْمَلْمُ)
و(يرمرم) ، وفرق بين يرمرم ويلملم . فيلملم : موضع تهامي ساحلي هو
ميقات حُجَّاجِ تَهَامَةَ ، وَيَرْمَرُمُ جبل نجدتي خارج سلسلة جبال الحجاز
بقرب معدن بني سُليم ، قال عنه الهَجْرِيُّ^(٩) : « قال السُّلَمِيُّونَ : يَرْمَرُمُ
عَلَمٌ مِنَ الأَعْلَامِ ، أَسْوَدٌ ، أَقْرَبُ المَنَازِلِ إِلَيْهِ مَعْدِنُ بَنِي سُليمٍ عَنِ يَمِينِ
الذَّاهِبِ إِلَى مَكَّةَ مِنَ العِرَاقِ » ، ولا يزال هذا الجبل معروفاً ، ولكن العامة
تسميه (رَمَرَمُ) كعادتهم في حذف الياء من أول كثير من الأسماء مثل
(يَنُوفُ) : (نُوْفُ) و(يَاقُوتُ) (قُوتُ) و(يَجُودَةُ) (جُودَةُ)
و(يَعقُوبُ) (عَقُوبُ) وهكذا .

ويقول الشاعر العامي مُخلد القَثَامِي العُتَيْبِي في ررم :
 الدَّرْبَ عَانَهُ مِنْ حَصَا كُشْبٍ وَيَسَارُ

مَا حَدَّ رَمْرَمَ وَالْهَضَابَ الْعَسِيْبَ^(١٠)

وقال خُصْيُوِي القَوْسُ المَرْشِدِي العُتَيْبِي من أبيات سنة ١٣٤٨ هـ :

تَعَرَّفِيهَا تَرَاهَا دِيرَةَ القَوْمِ رَمْرَمَ وَرَايَانَ لَزْمًا تَأْصَلِيْنَهُ^(١١)

وجاء بعد صدور طبعة دار الكتب المصرية من « الأغاني » صديقنا الأستاذ أحمد عبد الستار فراج - رحمه الله - فسار في تحقيقه لهذا الكتاب على نهج ما ورد في طبعة الدار ، مع التعليق على البيت بذلك التعليق الخاطيء .

وجاء محقق كتاب (الكامل)^(١٢) للمبرد صديقنا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم - رحمه الله - فأورد البيت كما ورد في كتاب (الأغاني) ، وحاشيته .

ومع أن شيخنا الميمني - رحمه الله - أورد الاسم صحيحاً في تحقيق ديوان حميد ، وأشار إلى أن كلمة (يللمم) تصحيف ، فإن المشرف على طبع كتاب « الوحشيات »^(١٣) الذي حققه الشيخ الميمني أورد البيت على الصفة التي قال الشيخ الميمني : إنها تصحيف .

وجاء صديقنا عبد السلام محمد هارون - رحمه الله - فأورد البيت في كتاب « الحيوان »^(١٤) كما ورد في مطبوعة دار الكتب المصرية من « الأغاني » وأشار إلى وقوع تصحيفين آخرين في مخطوطتين من مخطوطات كتاب « الحيوان » في إحداهما (بينمنا) وفي الثانية (بتللمما) .

ومن تصحيفات هذا الاسم أيضاً ما ورد في « معجم البلدان » في حرف الباء الموحدة من قوله : « بَيْبِمَم - بفتحتين - وزن غَشْمَشَم - : موضع أو جبل ، وكذا ذكره الأزهرى والخارزنجي ولم تجتمع الباء والميم في

بينم مآلف السآجات

كلمة آتماعهما في هذه الكلمة ، ورواه بعضهم بـيَبَم ، وقد روى على اللعنين قول حُميد بن ثور حيث قال :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتِي بِأَجْزَاعِ بِيَشَةٍ وَبِالرُّزْنِ مِنْ تَثْلِيثِ أَوْ مِنْ بِيَبَمَا «
مع أنه أورد في حرف الألف ما نصه : « أَبَبُم - بفتح أوله وثانيه ، وسكون النون ، وفتح الباء الموحدة وميم بوزن أفعل من أبنية كتاب سيبويه ، ويُروى بـيَبَم بالياء ، وذَكَرَ في موضعه ، وأنشد سيبويه لِطَفِيلِ الْعَنَوِيِّ يقول :

أَشَاقَتَكَ أَظْعَانُ بِجَفْرِ أَبَبِمِ نَعَمُ بُكْرًا مِثْلَ الْفَسِيلِ الْمُكَمِّمِ «
ثم قال في حرف الياء : « بِيَبَم - بفتح أوله وثانيه وميم ساكنة ، وباء موحدة أخرى وميم : اسم موضع قُرب تَبَالَةَ عند بِيَشَةَ وَتَرَجٍ ، والتلفظ به عَسِرٌ لِقُرب مَخارج حروفه ، قال حُميد بن ثور :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقُ - خَمسة عشر بيتاً أوردها - وكان البيت الثاني عشر منها :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتِي بِأَجْزَاعِ بِيَشَةٍ أَوْ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثِ أَوْ مِنْ بِيَبَمَا
وقال بعض بني عامر :

يَا جَارَتِي وَقَدْ أَرَى شَبَهَيْكَمَا بِالْجَزَعِ مِنْ تَثْلِيثِ أَوْ بِيَبَمَا
عَنْزِينَ بَيْنَهُمَا غَزَالٌ شَادِنٌ رَشاً مِنَ الْغَزْلَانِ لَمْ يَكُ تَوَاماً «

وأضاف في حرف الياء ما نصه : « بينم - بفتح أوله وثانيه وسكون نونه ، وباء مفتوحة وميم - ويقال : أَبَبُم - : موضع ، وهو من أبنية كتاب سيبويه ، قال طَفِيلُ الْعَنَوِيِّ :

أَشَاقَتَكَ أَظْعَانُ بِحَفْرِ بِيَبِمِ نَعَمُ بُكْرًا مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُكَمِّمِ (١٥) «
ولا شك أن إيراد الاسم بالياء (بِيَبَم) تصحيف بِيَبَم ، ويقوت - رحمه الله - كثيراً ما يكرر الاسم الذي لا يتيقن صحة ضبطه مثل (رَيْبَة) ، أوردها في الموضع الصحيح ، ثم أوردها في حرف الزاي

(زئنة) .

ومن أسوأ أنواع التصحيف في هذا الاسم ما وقع في المطبوعة التي حققها الدكتور محمد حسين الزبيدي وطبعت في العراق من كتاب « الخراج » لقدامة بن جعفر ، فقد ورد فيه الاسم بهذا النص : (ومن نبات حرم إلى شميم [بدون نقط] منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل ومنه إلى كُثْبَة) وكرر (كُثْبَة) مرة أخرى ، ووردت (سرور) : (شَرور) ولكن اسم (يَمِيم) ورد صحيحاً في المطبوعة الأوربية وما صُوِّر عنها .

مما تقدم يتضح أن سبب صعوبة النطق بالاسم التي عبر عنها ياقوت بقوله : (التلفظ به عسر لقرب مخارج حروفه) سَبَّب تحريفه وتصفيخه إلى يللمم ، وبينم ، إلى غير ذلك من أوجه التصحيف والتحريف .
أقوال علماء اللغة :

لعل من أقدم من ذكر اسم الموضع من اللغويين سيبويه في (الكتاب) على ما ذكر البكري وياقوت في معجمهما ، وسيأتي نصُّ ما ذكرا ، وقد تبعت فهرس الكتاب في مطبوعة الأستاذ عبد السلام محمد هارون فلم أَعثر على النص المنسوب لسيبويه في الكتاب .

وقال الأزهري في « تهذيب اللغة » : يَمِيمٌ : وذكر حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ يَمِيمٌ^(١٦) : إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ أَوْ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَمِيمَا وقال ابنُ دريد^(١٧) : (ب م ب م) : لم تجتمع الباء والميم [مكررة] في كلمة إلا في يميم ، وهو جبل أو موضع .

وقال صاحب « اللسان »^(١٨) : أبنيم وبينم موضع ، قال ابنُ بَرِّي : أَبْنِيمٌ على أفْعَلٍ من أبنية الكتاب ، قال طَفَيْلٌ :
أشأقتك أظعانٌ بجفَرٍ يَمِيمٍ نَعَمُ بُكْرًا مِثْلَ الفَسِيلِ المُكَمِّمِ

بينم مآلف الساجعات

١٠

ثم نقل ما في « التهذيب » وتقدم .

وقال في « تاج العروس »^(١٩) فصل الياء مع الميم : ومما يستدرك عليه يَيْمَبُمُ - بفتح الياء والباء الأولى والثانية بينهما ميم ساكنة : اسم موضع قرب ببالة ، قال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ أَوْ الْجِرْعِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَيْمَبِمَا
قال ياقوت : والتلفظ به عَسِيرٌ لقرب نـخارج حروفه ، وقد أشار إليه المصنف في أول الحرف ويقال : بالألف أيضاً بدل الياء ، وقد تقدم ذلك للمصنف أيضاً ، ويقال أيضاً بالياء الموحدة أولاً .

واختلف في وزنه فقيل : فَعَلَّلَ كَسَفَرَجَلٍ ، وقيل : يَفْمَعَلُ ، ويروى أيضاً يَيْنَبِمُ بقلب الميم الأولى نوناً ، أورده ياقوت هكذا ، وبه رُوِيَ قول طُفَيْلٍ الذي سبق في أول الحرف ، وعلى كل حال كان الواجب على المصنف الإشارة إليه هنا .

وفي « التاج » أيضاً قبل ما تقدم : ابنم : أهمله الجوهري ، وهو من أبنية كتاب سيبويه وزنه أَفْتَعَلَ ، ويقال بينم بالياء وزنه يَفْنَعَلُ ، وهو موضع قرب تَثْلِيثَ ، وأنشد سيبويه لطفيل العنوي :

أَشَاقَتَكَ أَظْعَانُ بِحَفْرِ يَيْنَبِمِ نَعْمَ بُكْرًا مِثْلَ الْفَسِيلِ الْمَكَّمِ
وأنشد الصاغاني لحُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ - رضي الله عنه - :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتَنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ أَوْ الرُّزْنِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ بِأَبْنَبِمَا^(٢٠)
ثم أورد كلام ياقوت في معجمه .

ومن أقوال علماء المواضع :

قال الهمداني في (شرح القصيدة الدامغة)^(٢١) بعد أن تكلم على يوم رَيْبَةٍ : وَرَيْبَةُ الْقُرَيْحَا ، وأورد شعراً لِعَمْرٍو بن معدى كرب في ذلك اليوم ، وجواب عامر بن الطفيل له وفيه يقول :

لَا تُعْجَلَنَّ يَا عَمْرُو وَأَنْظُرْ كَتَائِبًا تُسَاقُ إِلَيْكُمْ بَعْدَهُنَّ كِتَابِبُ
إِلَى أَطْمِ طَبِي يَعْتَلِكُنْ شِكَاؤًا مِقَانِبُ تُهْدِيهَا إِلَيْكَ مِقَانِبُ
هُنَالِكَ لَا تُنْجِيكَ مِنَّا قُضَاعَةٌ وَلَا مَذْجَجٌ إِنْ سَارَ كَعْبٌ وَحَاطِبُ

الأطم : الحصن الحصين المبني ، وطبي : موضع عمرو وهو
يَمْبَمٌ ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال (٢٢) :

وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ طَبِي فَعَرَعَرَا

وَالنَّاسُ يَرَوْنَ طَبِي ، وَهَذَا غَلَطٌ ، طَبِي وَعَرَعَرٌ مِنْ أَوْدِيَةِ نَجْدٍ ، وَقَدْ يَسْمِيهِ
بَعْضٌ مِنْ يَجْهَلِهِ طَب . انتهى .

والشاهد من هذا النص صلة الموضع بعمرو بن معدي كرب ،
والهمداني نفسه قد أوضح في (صفة جزيرة العرب) (٢٣) أن عمرو بن
معدي كرب من أهل تَثْلِيثَ ، فقال في ذكر بلاد بني نَهْدٍ : طَرِيبُ وَأَرَاكُ
وَتَثْلِيثُ ، وكان لعمرو بن معدي كرب فيه حِصْنٌ وَنَخْلٌ ، وَجَاشٌ وَمَرِيْعٌ
وَالعَشْتَانِ وَالبردان . انتهى ملخصاً ، ولم تذكر إلا المواضع التي لا تزال
معروفة .

وأورد الهمداني في (صفة جزيرة العرب) (٢٤) من أرجوزة للرداعي في
وصف طريق عودته من مكة إلى اليمن بعد أن ذكر منهل بنات حرب :

ثُمَّ اصْدُرِي مِنْهُ إِلَى هِرْجَابٍ لِابْنِي دَدٍ فَجُلْجُلِ الْأَحْزَابِ
وَبَعْدَ نَجْرِ أُبْتٍ لِلْمَشَابِ يَمْبَمَا مَحْمُودَةَ الْإِيَابِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

حَتَّى إِذَا أُوْرِدْتُهَا يَمْبَمَا وَاللَّيْلُ قَدْ أَلْقَى جِرَانًا مُظْلِمًا
قَالَ :

فَصَبَّحْتُ وَاللَّيْلُ قَدْ تَجَرَّمَا كُنْتَنَةَ إِذْ كَانَتْ لِيُوْرِدِ مَعْلَمَا
ونقل عنه البكري في (معجم ما استعجم) (٢٥) ما هذا نصه : « وقال

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتاب «الإكليل» : يَمْبَمُ
وَحَبَوْنُ وَجَاشُ وَمَرِيْعُ مِنْ دِيَارِ مَذْحِجٍ ، قال : وكذلك الْهُجَيْرَةُ
وَالْكُتْنَةُ ، قال : وهي اليوم لبني نَهْدٍ ، وكل هذه المواضع معروفة سوى
يَمْبَمِ .

وقال أيضاً^(٢٦) : قال الهمداني : حَبَوْنُ من ديار مَذْحِجٍ ، وكذلك
جَاشُ وَمَرِيْعُ وَيَمْبَمُ قال : هي اليوم لبني نَهْدٍ .
وقال البكري أيضاً : « يَنْبَم - بفتح أوله وثانيه وبعده نون وباء
أخرى - : وادٍ شَجِيرٌ قَبْلَ تَثْلِيثٍ ، قال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :
إِذَا شَتُّ غَنْتِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَةٍ أَوْ الْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَنْبَمَا
وذكر سيويه في الأبنية : أَنْبَمَ - بالهمز على وزن أَفْعَلَ ، وهي لغتان فيها
الهمزة والياء كما هي في (يَلْمَم) ولم يذكُر سيويه فيه الياء .
وتقدم كلام صاحب «معجم البلدان» .

ومن أقوال علماء المسالك :

تقدم القول بوقوع (يَمْبَم) في أشهر الطرق التي تأتي من اليمن إلى
داخل الجزيرة ، ويحسن إيراد بعض أقوال أصحاب المسالك في ذلك ، ولعل
من أقدمهم ابن خُرْداذبة فقد جاء في كتابه (المسالك والممالك) يصف
طريق المتجه إلى اليمن بعد تَبَالَة^(٢٧) : ثم إلى بِيْشَةٍ بُعْطَانٍ كبيرة فيها ماء
ظاهر ، قال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ الهلاليُّ :
إِذَا شَتُّ غَنْتِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَةٍ إِلَى النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ يَمْبَمَا
ثم إلى الجَسَدَاءِ فيها بئر ، ولا أهل فيها ، ثم إلى بنات حَرْبٍ قرية عظيمة فيها
عين وبئر ، ثم إلى يَمْبَمٍ ولا أهل فيها ، ثم إلى كُتْنَةٍ قرية عظيمة فيها آبار ، ثم
إلى التَّجَّةِ فيها بئر ، ثم إلى سَرُومِ رَاحٍ قرية عظيمة فيها عيون وكروم ،
وَجُرَشُ منها على ثمانية أميال .

وفي كتاب (المناسك) في وصف الطريق من اليمن إلى مكة (٢٨) :
ومن ذات عُشٍّ إلى كُتْنَةَ ، ومن كُتْنَةَ إلى يَبْنَمَ وبينهما الماء ، ومن يَبْنَمَ إلى
بنات حرب وبينهما المسلة (؟) ثم جَسَدَاءَ ثم المَيْثَاءَ ومن بَيْشَةَ إلى تَبَالَةَ .
انتهى .

وقال قُدَّامَةُ بن جعفر في كتاب « الخراج وصناعة (٢٩) الكتابة » :
ومن بَيْشَةَ إلى جَسَدَاءَ - منزل أعراب من قَيْسِ ، ومن جَسَدَاءَ إلى بنات
حرم (؟) قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ،
ومن بنات حرم إلى يَبْنَمَ منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة ، وليس به
أهل ، وحوله أعراب من نَحْتَمِ ، وبينها وبين جُرَشِ نحو أربعة عشر ميلاً ،
ومنه إلى كُتْنَةَ (؟) قرية عظيمة ومنازل وقصور وآبار في صحراء ، بينها وبين
جُرَشِ ثمانية أميال . انتهى .

أما أدقُّ هأولاء العلماءِ وصفاً للطريق ، وتحديداً للموضع ، فهو
أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، قال في وصف محجة
صنعاء إلى مكة بعد أن ذكر ما قبل سَرُومِ الفيضِ فكنتنة (٣٠) : ومنها إلى
سَرُومِ الْفَيْضِ أربعة عشر ميلاً وعرضها ستة عشر جزءاً ونصف وخمس
جزء ، ومنها إلى الثَّجَّةِ ستة عشر ميلاً ، وعرضها ستة عشر جزءاً وثلاثاً جزء
وربع جزء ، ومنها إلى كُتْنَةَ عشرون ميلاً ، وهي على تمام خمسة عشر بريداً
من صنعاء وثمانين ومئة ميل ، وكُتْنَةُ أَوَّلُ حَدِّ الْحِجَازِ ، وعرضها سبعة عشر
جزءاً وسدس ونصف عشر ، وعرضها وعرض جُرَشِ واحدٌ ، لأنها منها على
خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم ، ومن الهُجَيْرَةِ
وثلاثين عن يوم في مشرقها ، ثم منها إلى يَبْنَمَ عشرون ميلاً ، وذلك مئتا
ميل من صنعاء ، وعرضها سبعة عشر جزءاً ونصف وسدس عشر جزء ،
ومنها إلى بنات حَرَبِ عشرون ميلاً ، وعرضها سبع عشرة درجة وأربعة
أخماس درجة ، ومنها إلى الجَسَدَاءِ اثنان وعشرون ميلاً ، وعرضها ثمانية عشرة

بينم مآلف الساجعات

١٤

درجة وعُشْرٌ ونصفُ عُشْرِ ، ومنها إلى بِيَشَةِ بُعْطَانِ أَحَدٌ وَعَشْرُونَ مِيلاً وَعَرْضُهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَلَاثَ وَثَمْنِ ، وَمِنْهَا إِلَى تَبَالَةَ أَحَدَ عَشَرَ مِيلاً .
انتهى ، فهو كما ترى لم يكتف بتحديد المسافة بالأميال بل ذكر درجاتٍ
عرض كل منزلة من المنازل المذكورة .

ومن المعلوم أن درجات العرض عند المتقدمين قد تختلف عنها عند
التأخرين فهي وإن كانت تبتدئ من خط الاستواء عند الفريقين فإن هناك
اختلافاً يسيراً يتضح بمقارنة عروض المنازل :

١ - فدرجة العرض في سرور الفيض عند الهمداني تقل عن سبع
عشرة درجة بينما هي عند المتأخرين تقع على درجة العرض (١٨ درجة)
وعلى درجة الطول : ٢٥ / ٥٤٣ .

٢ - ومنزل الشَّجَّةِ الْوَاقِعِ بَيْنَ سَرُورِ الْفَيْضِ وَكُنْتَةَ لَيْسَ مَعْرُوفاً الْآنَ
وَلَا تَفُوتُ الْإِشَارَةَ إِلَى أَنْ مِنَ الْمَوَاضِعِ الْوَاقِعَةِ عَلَى الطَّرِيقِ فِي هَذَا الْإِتْجَاهِ
بِقَرَبِ مَنْتَصَفِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْفَيْضِ وَكُنْتَةَ مَوْضِعاً يُسَمَّى (الشَّجْر) فِي إِمَارَةِ
(الْأُمُوَاهِ) إِحْدَى إِمَارَاتِ بِلَادِ عَسِيرِ ، وَلَا أَسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ هُوَ (الشَّجَّةُ)
فَحَرْفِ الْإِسْمِ ، وَهُوَ اسْمُ قَرْيَةٍ مَأْهُولَةٍ تَقَعُ عَلَى خَطِ الطُّولِ ٣٠ / ٥٤٣ وَعَلَى
خَطِ الْعَرْضِ ٢٥ / ٥١٨ فِي وَاِدٍ بِهَذَا الْإِسْمِ أَيْضاً تَقَعُ آثَارُ الْجُعَيْفِرَةِ الْمَكَانِ الَّذِي
يُظَنُّ أَنَّهُ هُوَ الْهُجَيْرَةُ شَرْقَ الشَّجْرِ هَذَا ، بِمِيلٍ نَحْوَ الْجَنُوبِ بِقَرَبِ خَطِ الطُّولِ
٤٣ / ٥٣٠ وَخَطِ الْعَرْضِ ٤٥ / ٥١٨ بِحَيْثُ تَقَرَّبَ مِنْ مُحَاذَاةِ مَنْزِلَةِ كُنْتَةَ
التي ذكر الهمداني^(٣١) أنها في مشرقها .

٣ - أما كُنْتَةَ الْمَنْزِلِ الْوَاقِعِ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ فَعَرْضُهَا يَزِيدُ عَلَى سَبْعِ
عَشْرَةَ دَرَجَةً عِنْدَ الْهَمْدَانِيِّ وَعِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ تَزِيدُ عَلَى تِسْعِ عَشْرَةَ دَرَجَةً ،
وَدَرَجَةُ الطُّولِ ٢٠ / ٥٤٣ .

ويلاحظ أن اسم كُنْتَةَ يُطْلَقُ عَلَى أَرْبَعَةِ مَوَاضِعٍ وَاقِعَةٍ فِيمَا بَيْنَ سَرُورِ
الْفَيْضِ وَرَبِيْعَةِ ، وَلَكِنِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي حَدَدَهَا الْهَمْدَانِيُّ هِيَ الَّتِي سَبَقَ تَحْدِيدَ

درجاتها ولا تزال معروفة قرية في وادٍ بهذا الاسم .

٤ - يميم : حدّد الهمداني درجات عرضها بأقلّ يسيراً من ثماني عشرة درجة ، وهي تقع على درجة العرض ٣٠° / ٩' ، وعلى درجة الطول ٠٠° / ٤٤' .

٥ - بنات حرب : على درجة تبلغ ثماني عشرة إلا يسيراً عند الهمداني ، والموضع ليس معروفاً ولكن هناك جبال تقع في تلك الجهة يطلق عليها الاسم ، على ما حدثني بهذا أديب بلاد عسير الشيخ عبد الله بن علي بن حُميد - رحمه الله - .

ومع أن الموضع ذو شهرة عند المتقدمين حيث وصفه قدامة بن جعفر بأنه قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ، وقريب من هذا الوصف ورد في كتاب (نزهة المشتاق) (٣٢) فإن الاسم في الكتابين وَرَدَ مُحَرَّفًا ، ففي الأول (بنات حرم) وفي الثاني (بيات) ، كتحرّيف غيره من الأسماء الكثيرة الواقعة في المسالك في هذين الكتابين .

٦ - الجَسَدَاءُ : درجات عرضها تزيد على ثماني عشرة ، ولكن الموضع لا يزال مجهولاً ، وإنْ عرفت المنطقة التي يقع فيها ، فقد ذكر الهمداني (٣٣) أنه من (يَعْرَا) وَيَعْرَا : وادٍ لا يزال معروفاً بل هو من أشهر الأودية في منطقة بلاد عسير ، ينحدر من السراة ويصب في وادي تَثْلِيثٍ مع وادي طَرِيْبٍ ، وسكانه ناهس من شَهْرَانَ القبيلة الخَنْعَمِيَّةِ المعروفة .

٧ - بَيْشَةَ بُعْطَانَ : ودرجة العرض عند الهمداني تقارب ثماني عشرة ونصفاً ، وهي كما في المصورات الجغرافية الحديثة يقارب عرضها عشرين درجة وخط الطول : ٤٠° / ٤٣' ، ويلاحظ أن وادي بَيْشَةَ يُعَدُّ من أطول أودية بلاد العرب ، ولعل المقصود هنا هو أقرب ثني منه الطريق حيث أضافه إلى بُعْطَانَ ، وبُعْطَانَ هذا رافد صغير من روافد وادي بَيْشَةَ يقع

بقرب خط العرض المذكور .

اتجاه الطريق :

ومما ينبغي أن يلاحظ أن الهمداني ذكر أن الاتجاه في هذا الطريق يستمر إلى جهة الشمال الغربي حتى يبلغ رأس المناقب ، ويقصد ما يعرف الآن باسم (الريعان) جمع ريع قبل قرن المنازل ، قال عند ذكر هذا الموضوع وهو منتهى الطريق إلى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب ، وعلى أساس قوله هذا كان تقديره لدرجات العرض ، فوقع في شيء من عدم الدقة ، لأنه لم يلاحظ أنه بعد أن يتجه الطريق من منزلة الفيض يأتي إلى أرضٍ منحدره هي فروع الأودية التي تنحدر من السراة ، فيسلك الطريق ما تساهل منها ، وقد يأخذ إلى الجنوب الغربي تبعاً لاختيار الطريق السهل .

وينبغي أن تكون منزلة بينم مماثلة في درجة العرض لمنزلة كُتنة ، أي تريد على الـ (٤٣) . وبعد منزلة بينم يبدأ انحراف الطريق من الشمال إلى الشمال الغربي ، حيث يتنكب الطريق منحدرات فروع وادي تثليث ومجرى الوادي المنخفض الذي اتسع عندما بلغ منطقة يعرا ، فسُهل اجتيازه إلى منزلة الجسداء الواقعة في هذه المنطقة بقرب درجة الطول : ٤٣° ودرجة العرض : ٤٥ / ١٨° .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن وادي بيشة من أطول الأودية التي تحترق تلك المنطقة ، وفروعه تنحدر من قرب خط العرض : ٣٠ / ١٧° ومفيضه يتجاوز خط العرض : ٢١ / ٠٠° ، ولكل ثني من أثنائه اسم خاص به ، ففي أعلاه يسمى بيشة ابن سالم ، وفي أثنائه يعرف بيشة ابن مُشيط ، وفي حوضه يعرف بيشة بُعطان ، وفي أسفله بقرب فروعه يعرف بيشة النخل . أما منزلة الطريق في هذا الوادي فهي بيشة بُعطان ، اسم رافد صغير من روافد الوادي ينحدر في وادي هرّجاب الوادي المشهور ، الذي يجتمع

مع وادي بيشة بعد اجتماعه برافد بعطان ، ويوضح هذا ان الرداعي وهو
يصف الطريق يقول في أرجوزته المشهورة^(٣٤) :

لِلْجَسَدَاءِ شُحُصاً لِلْمَاءِ ثُمَّ الْعَصَارِ فِإِلَى الْمَيْثَاءِ
حَتَّى إِذَا أَوْرَدْتُهَا رُئُومًا وَاذِيهَا وَالْمَنْهَلَ الْمَعْلُومًا
ثُمَّ يُبْعَطَانُ بِوَأَجِي الْوَسْجِ تُوْمٌ مِنْ بَيْشَةَ وَاذِي تُرْجِ

والهمداني حينما ذكر المنزل سماه (بيشة بعطان)^(٣٥) ، والميثاء ورنوم
شعبان لا يزالان معروفين ، وكذلك بعطان ، والموقع هو بقرب درجة
الطول : ٣٠ / ٤٢° ودرجة العرض : ٣٥ / ١٩° ، ثم اتجه الطريق نحو مَصَبِّ
تُرْجِ في وادي بيشة فكأنه انحرف ذات اليسار عن منخفض الوادي ، الذي
تكثر فيه المنحدرات والقرى ، ووادي تُرْجِ يجتمع في وادي بيشة عند قرية
الْحَيْفَةِ بقرب خط الطول : ٣٠ / ٤٢° وخط العرض : ٥٠ / ١٩° وهي في
منطقة إمارة الحازمي ، تقع شرق بلدة الحازمي قاعدة الإمارة ، بِقُرْبِهَا .

ثم كان الاتجاه من هذه المنزلة إلى منزلة تَبَالَةَ حيث خط الطول :
٢٠ / ٤٢° وخط العرض : ٢٠° ، ومن تَبَالَةَ هذه انحرف نحو اليمين فاجتاز
وادي رَيْتَةَ ثم جزع الحَرَّةَ ، ونزل إلى وادي كَرَاءَ ، فوادي تُرْبَةَ ، واتجه
شمالاً قصداً حتى المناقب .

مما تقدم يتضح اتجاه الطريق ، والغاية من ذلك الإشارة إلى عدم دقة
كلام الهمداني من وصفه بأنه يتجه إلى الشمال حتى رأس المناقب في جميع
منازله ، كما يفهم من قوله المتقدم ومن قوله أيضاً : إن الاتجاه من كُتْنَةَ إلى
بَيْشَةَ إلى مغيب الأوسط من بنات نَعْشِ الذي يجنب السُّهَاءَ ، وإلى المناقب
على سمت مغيب الآخر منها الذي يطلع آخرها ويغيب آخرها^(٣٦) .

وهذا الانحراف الواقع في الطريق ناشئ عن اختيار ما سهل من
الأرض لسير الإبل والدواب ، وهذا يتطلب البعد عن منحدرات جبال
السراة ما أمكن ، ثم تحاشي السير في الأودية المنحدرة منها التي كثيراً

ما تجرف بسيولها ما يقع فيها .

فقد جَزَع الطريقُ فروعَ وادي تَثْلِيثٍ وَتَكْبٍ مَجْرَى الوادي وروافده الكبيرة يسارَه ، واتجه مع الأرض السهلة من منزل سَرُومِ الْفَيْضِ ، واتخذ اتجاهه الذي يُجَنِّبُه اعتراضَ الأودية حتى تساهلت له الأرض الفسيحة بعد اجتياز المرتفعات ، وانبساط وادي تَثْلِيثٍ حيث جَزَعَه إلى سهل حوض وادي بَيْشَةَ .

أين يقع يَنْبَم من هذا الطريق ؟

تحديد المتقدمين يوضّح أنه في المنتصف فيما بين بَيْشَةَ وَسَرُومِ الْفَيْضِ ، الموضعين اللذين لا يزالان معروفين ، فهو المنزل الثالث من بَيْشَةَ لقاصد سَرُومِ ، وهو المنزل الرابع من سَرُومِ لقاصد بَيْشَةَ ، والمسافة بينه وبين بَيْشَةَ ثلاثة وستون ميلاً ، والمسافة بينه وبين سرّوم الْفَيْضِ ستة وخمسون ميلاً ، والمنزلة التي تليه فيما بينه وبين سرّوم الْفَيْضِ هي كُتْنَةُ الواقعة على خط الطول ٢٠ / ٤٣° وخط العرض ١٠ / ١٩° ، أما المنزلة التي بعده وهي بَنَات حَرَب فيما بينه وبين بَيْشَةَ فغير معروفة ، وكذا الجَسَدَاءُ إلا أن الأخيرة هذه وإن كانت مجهولة فقد أشار الهمداني إلى وقوعها في منطقة وادي يَعْرا ، ووادي يَعْرا لا يزال معروفاً وهو واقع على خط الطول . . / ٤٣° و٤٥ / ١٨° . وإذْ فكأن الطريق انحرف يسيراً من اتجاهه من كُتْنَةُ إلى يَعْرا ، إذْ كُتْنَةُ على عرض ٢٠ / ٤٣° فينبغي إذْ أن تكون المنزلة الواقعة بعد كُتْنَةُ حين يُلاحظ أن الأرض مستوية وأنه ليس هناك ما يدعو إلى الانحراف فتكون المنزلة على خط طول لا يزيد على ٢٠ / ٤٣° ولا ينقص عن ٤٣° درجة ، وخط العرض ينبغي أن يكون بين ١٠ / ١٩° وهو عرض كُتْنَةُ و٤٥ / ١٨° وهو عرض يَعْرا .

أما المسافة بين كُتْنَةُ وَيَعْرا فهي على تقدير الهمداني اثنان وستون ميلاً منها عشرون قبل منزل يَنْبَم ، واثنان وأربعون بعدها .

وعلى هذا تكون المسافة بين كُتْنَةَ وَيَمِّمَ على وجه التقريب تزيد سيراً على خمسين كيلاً ، إذ الميل حسبها اتضح لي من الأميال التي لا تزال باقية في طريق زُبَيْدَةَ في طريق الحج البصري المارَّ بنجدٍ ، يتراوح بين ألفين ومئتين ، وألفين وأربع مئة متر .

أما درجة العرض فينبغي أن تكون منزلة يَمِّمَ بقرب خط العرض ١٩° درجة بدون زيادة وخط الطول ١٥ / ٤٣° .

وإذا صح هذا التقدير فإن الموقع المعروف الآن باسم (ابن ابن) تنطبق عليه أكثر تلك الأوصاف .

يبدو ان اسم (بينم) يطلق على الوادي الذي يعرف الآن باسم (وادي ابن ابن) وهذا الوادي قد رُسم له مُصَوَّرٌ جغرافي خاص باسمه ، وفروعه تقع بقرب خط الطول : ٥ / ٤٤° وهي تنحدر من جبال القهر^(٣٧) ، ويجمع بوادي يدعى وادي السَّمَّارة ، تاركاً جبال عَرَوَا جنوبه ، وجبال عروا هذه هي عَرَوَا القَهْر ، التي ذكر الهجري^(٣٨) ، وفي جنوب الوادي سهل واسع يطلق عليه اسم سهل المنقع ، وسهل منقع الحمام ، وهناك قرية بهذا الاسم (منقع الحمام)^(٣٩) في منطقة العين تقع بقرب خط الطول : ١٥ / ٤٤° وخط العرض ٠ / ١٩° ، وهذا السهل المنبسط من الأرض تُلَّبُّ به جبال القَهْر من شماله ، كما تُلْهَزه من الجنوب جبال عروا ، وفي شماله واد يعرف بوادي المَعْرَةَ ، فيه بئر بهذا الاسم ، وواد آخر يدعى وادي جَبْجَبٍ ، يتجه الواديان صوب الشمال ، وفي جنوب ذلك السهل تقع جبال تعرف باسم جبال القباقب ، وجبل الخشبية ، تنحدر منها شُعبُ أودية تفيض في وادي السمارة ، منها شعب خَمَط وشعب الخشبية وشعب مُكْسِرٍ من جبل بهذا الاسم ، وشعب ضيبر ، وأشهر الأودية الواقعة في جنوبه وادي السمارة الذي يدع سهل المُرِّيخ جنوبه ، وأكثر الشعاب تنحدر في وادي السمارة ومنها وادي (ابن ابن) .

بينم مآلف الساجعات

٢٠

ومنطقة وادي ابن ابن كما رسمت في المصور الجغرافي (الخريطة) تقع بين خطي الطول : ٠٠/٤٤° و ١٥/٤٤° وبين خطي العرض : ٣٠/١٩° و ٥٥/١٩° والمسافة إلى هذا المكان من كتنة تقارب ما حدد الهمداني عشرين ميلاً أي نحو خمسين كيلاً . يتضح هذا من أن الهمداني حدد المسافة بين سروم وبين كتنة بستة وثلاثين ميلاً وهي بسير السيارات الآن تقارب ستين كيلاً .

وقد يلاحظ هنا أن هذا الموقع بالنسبة إلى منزل كتنة منحرف شمالاً ، ولكن الانحراف بين منازل الطريق قد تسببه وعورته ، وهذا مما يكثر في منازل طرق الحج مما لا يتسع المجال لتفصيله .

وبالإجمال فلا شك أن الاسم الذي يطلق على هذا الموضع طوال السنين له صلة بالاسم القديم (أُنْبَم) بصرف النظر عن الموقع الذي كانت منزلة الطريق تقع فيه منه ، فقد يكون الاسم تقلص فصار لا يشمل إلا هذا الجزء الواقع في منطقة جبال القَهْر ، بينما كان يشمل ما هو أوسع منها بحيث كان الطريق يمر بجانب منه .

وقد يتصدى أحد الدارسين لتناول الموضوع بدراسة أدق وأوفى وأشمل مما تقدم .

الحواشي :

(١) ص ٢٦ .

(٢) « العرب » س ١٨ ص ١٠٢٦ .

(٣) كتاب فلبلي « المرتفعات العربية » ص ٤١ - ٧٤ (ARABIAN

. (HIGHLANDS

(٤) انظر هذا الاسم في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » قم شمال المملكة .

(٥) « صفة جزيرة العرب » ٣٢٥ نشر دار الجمامة ، وديوان الشاعر ٧٢ مع تصحيف

(بحجر) إلى (بحجن) .

(٦) ديوانه : ٢٦ .

- (٧) « بلاد العرب » للحسن الأصفهاني ، ص ١٤٩ .
- (٨) ٣٥٥/٤ - ط. دار الكتب المصرية .
- (٩) « التعليقات والنوادر » للهجري : ١٩ المخطوطة المصرية .
- (١٠) (عانه) : انظره .
- (١١) (تراها ديرة القوم) : هي ديرة الأعداء . (لرما تاصلينه) : أي تصلين إليه ، يخاطب ناقته .
- (١٢) ١٢٤/٣ ط. نهضة مصر .
- (١٣) ١٩٣ .
- (١٤) ١٩٨/٣ .
- (١٥) أرى أن كلمة (الفنيق) تصحيف (الفسيل) .
- (١٦) ٥٩١/١٥ .
- (١٧) « جمهرة اللغة » ١ : ١٧٧ .
- (١٨) رسم (بيم) .
- (١٩) رسم (بيم) .
- (٢٠) الرزن : هو المكان المرتفع يكون فيه الماء .
- (٢١) ص ١٨٢ .
- (٢٢) طيبي وعرعر في قول امرئ القيس واقعان في شمال الجزيرة ولا يزالان معروفين من أشهر الأودية تحدثت عنهما في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » - قسم شمال المملكة - ولعل هذا من هفوات الهمداني - رحمه الله - .
- (٢٣) ٢٥٣ .
- (٢٤) ٤٥٤ .
- (٢٥) ٣٥٩ : ٢ .
- (٢٦) ٤٢١ : ٢ .
- (٢٧) ١١٨ .
- (٢٨) ٦٤٤ .
- (٢٩) ١٥ [ص ٥٨ الطبعة المصورة لفؤاد سزكين] .
- (٣٠) « صفة جزيرة العرب » ٣٣٩ ط. دار اليمامة .
- (٣١) المصدر السابق .
- (٣٢) ١٤٥ طبع روما .
- (٣٣) « صفة جزيرة العرب » : ٤٢٩ .

بينم مآلف السآجعات

٢٢

- (٣٤) المصدر السابق : ٤٢٨ باختصار .
(٣٥) المصدر السابق : ٣٤٠ .
(٣٦) المصدر السابق : ٣٣٨ .
(٣٧) « العرب » س١٩ ص٨٤٨/٣٠٠ .
(٣٨) « أبو علي الهجري » ٣٤٠ .
(٣٩) « أطلس منطقة عسير الإدارية » ص٥٤ ، ومجلة « العرب » س٣٠٠/١٩ .

التعريف والنقد

معجم موسوعي وثائقي

بالمفردات والمصطلحات الدبلوماسية والدولية

إنكليزي – فرنسي – عربي

إعداد وشرح : الدكتور زكريا السباهي

الطبعة الأولى : ١٩٩١ – دار طلاس بدمشق

الدكتور صالح الأشر

هذا المعجم الموسوعي الوثائقي المختصر الذي صدر حديثاً عن دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق يُلَفِّتُنَا بصدوره إلى ظاهرة جديدة بأن نرصدها : وهي كثرة المعاجم اللغوية الاختصاصية التي أصبحنا نملكها في شتى المجالات ومختلف ألوان المعارف والعلوم والفنون ، وقد بدأت المكتبة العربية تزخر بأصناف هذه المعاجم منذ بداية الخمسينيات ، وكلُّها – إلا بعضاً يسيراً منها – صادرٌ عن جهود فردية آثر أصحابها أن ينكبوا على عملهم بدأبٍ وصمبٍ ، كلٌّ في مجال اختصاصه ، ليُصنِّقُوا معاجم للمصطلحات باللغات الثلاث : العربية والإنكليزية والفرنسية ، ويعملوا على نشرها ، وكان المأمول أن تُشرف الجامعات والمؤسسات العلمية العربية على إعداد تلك المعاجم وتتكفل بإصدارها ، وكان بعض أصحابها قد شاركوا أول الأمر في اللجان الجمعية العاملة في هذه المجالات ، ثم رأوا أن ينفردوا وحدهم بالعمل ، إذا أُريد له أن يبلغ دون إبطاءٍ غايته ، بعيداً عن اجتماعات اللجان وشكلياتها ، فطلبوا السماح لهم بأن يستقلُّوا بإنجاز عملٍ كان

المفروض في الأصل أن تقوم به تلك اللجان التي كانوا قد أسهموا في بعض أعمالها ، والأستاذ مجدي وهبة ، في معجمه النفيس (معجم مصطلحات الأدب) الصادر عن مكتبة لبنان في بيروت عام ١٩٧٤ واحدٌ منهم^(١) ، وعن هذه المكتبة صدر عدد وافر من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، في سلسلة قيّمة تمتاز بجودة الإعداد وحُسن الإخراج ، والمثقفون العرب اليوم بحاجة إلى أمثالها في كل مجال من مجالات اختصاصاتهم المختلفة .

وهنا ينبغي أن نذكر أيضاً تلك الجهود الطيبة التي بذلها مكتب تنسيق التعريب في المغرب ، في إصدار عددٍ من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، وكان الجناح المغربي من العالم العربي منذ بداية الستينيات ، حريصاً على تعريب المصطلحات في كل اختصاص ، لحاجته إلى إحلال المصطلح العربي محلّ المصطلح الأجنبي (الفرنسي) لتُصبح العربية على ألسنة عرب شمالي أفريقية اللغة القومية القادرة على التعبير عن كل وجهٍ من أوجه الحياة الحضارية ، ويتمّ التخلّصُ بذلك لديهم من طغيان اللغة الأجنبية وجورها على لغتهم القومية ، وقد أُتيح لي خلال إقامتي يومذاك في المغرب أن أشهد نشاط مكتب تنسيق التعريب - وعلى رأسه الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله - في تزويد المكتبة العربية بعددٍ من المعاجم الاختصاصية بمختلف المصطلحات في ألوان العلوم والصناعات والفنون ، لجعلها موازيةً ومساويةً للمصطلحات الغربية الحديثة ، باللغتين الفرنسية والإنكليزية ، وكان العاملون في المكتب يومذاك يدركون أنهم يُسابقون الزمن ، فهذه المصطلحات العلمية والفنية « تزداد بمعدّل مائة مصطلح جديد في كل يوم » كما جاء في تقرير لليونسكو ، وكانت مجلة المكتب (اللسان العربي) تحمل في أعدادها إلى القراء في أقطار العالم العربي نماذج

(١) - انظر معجم المصطلحات الأدب : التمهيد ، ص : XIII

من تلك المعاجم وهي في دور الجمع والتحضير والإعداد ، وتسأل مُوافاة المكتب بآراء العلماء والمختصين فيها.

غير أننا نلاحظ أن مكتب تنسيق التعريب لم ينشط إلى تخصيص معجم للمصطلحات الدبلوماسية والدولية ، فظل العمل في هذا الحقل مقصوراً على أفراد من العلماء العاملين فيه ، وكلهم من السوريين ، من ذوي الاختصاص في هذا المجال ، وهذا عرض سريع موجز لثمرة جهودهم :

١ - المصطلحات الدبلوماسية في الإنكليزية والعربية : للدكتور مأمون الحموي ، وهو معجمٌ صغير لا تتجاوز صفحاته الستين ، صدر في دمشق في عام ١٩٤٩ ، ويُعدُّ المحاولة الأولى لتصنيف معجم للمصطلحات الدبلوماسية ، والمصنّف رائد في هذا المجال ، وله أيضاً كتاب رائد في الدبلوماسية ، صدر في دمشق قبل صدور معجمه بسنتين^(٢) ، لِيُلبي حاجة السلك الدبلوماسي في سورية ، في السنوات الأولى من تكوينه ، بعد حصول هذا القطر العربي على استقلاله وجلاء المحتل عن أرضه .

٢ - معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية (انكليزي - فرنسي - عربي) للدكتور سمّوحي فوق العادة ، وهو معجم شامل وإف صدر في عام ١٩٧٤ بعد رُبع قرن من صدور معجم الدكتور الحموي ، ليكون حلقة من حلقات سلسلة المعاجم الاختصاصية الصادرة باللغات الثلاث عن مكتبة لبنان ، التي نوّهنا بها قبل قليل ، ومصنّف هذا المعجم ذو باع طويل في حقل الدبلوماسية تأليفاً وممارسة ، وكان قد ذُيّل بعض كتبه منذ عام ١٩٤٧ بترجمة بعض المفردات والمصطلحات الدبلوماسية باللغات الثلاث ، إلى أن تمّ له تصنيف معجمه الذي جمع فيه - أو نثر فيه - خلاصة دراساته وتجارب حياته المسلكية في الدبلوماسية والمراسم ، على مدى خمسة وعشرين

(٢) - انظر كتاب الدبلوماسية للدكتور مأمون الحموي - المطبعة الأهلية بدمشق :

عاماً ، وُحِقَّ له أن يفخر في مقدمة معجمه بأن « هذا المعجم هو المؤلف الأول من نوعه في اللغة العربية » ولا نحسب أن في هذا القول مباحةً بغير الحق ، فالمقارنة بين معجم الحموي الصغير وهذا المعجم الكبير الجامع تظهر المدى الواسع بينهما ، فقد خطا التصنيف المعجمي في مجال الدبلوماسية والشؤون الدولية خلال ربع القرن خطواتٍ فساحاً ، تجعل من معجم الدكتور سموي عملاً جليلاً مستوفياً يستحق صاحبه بالغ التقدير والتنويه .

٣ - ونصل هنا إلى الخطوة التالية (المرحلة الثالثة) في تطوير التصنيف في (المعجم الدبلوماسي) وقد نهض بها واحدٌ من قدامى العاملين في الدبلوماسية السورية بصدور معجمه الموسوعي الوثائقي حديثاً عن دار طلاس بدمشق ، فأضاف به إلى جهود من سبقوه لبننةً في بناء صرح المؤلفات السياسية والقانونية والدولية وترجمة المصطلحات والمفردات الدبلوماسية والدولية . وهي إضافة متميزة وملحوظة ، تُقدِّمها تلك الشروح الضافية لما يُقارب الأربعمئة من المصطلحات ، وتُدعمها تلك الشواهد من النماذج عن المذكرات والمفكرات والمواثيق لعددٍ وافر من المفردات والمصطلحات ، فالمعجم الجديد بطابعه الموسوعي والوثائقي قفزة موفقةٌ ومحمودة لتطوير التصنيف في المعجم الدبلوماسي العربي ، ويرى فيها صاحبها محاولة أولى يرجو أن يوفق في المستقبل القريب إلى إغنائها ، ليجعل من تلك الشروح « نواة لموسوعةٍ دبلوماسيةٍ ودوليةٍ عربيةٍ شاملةٍ » وإذا تمَّ له ذلك بعونٍ من الله وتوفيقٍ منه تحقق على يديه أملٌ كبيرٌ « طالما تاقت المكتبة العربية والاختصاصية إلى تحقيقه » كما يقول المصنف في تمهيدته لمعجمه الموسوعي والوثائقي المختصر (٣) .

وإذ كتور زكريا السباهي مصنف هذا المعجم الجديد مؤهل خير تأهيل لإعداد معجمه والشروح الضافية والمعتمة التي تضمنها : فهو ذو ثقافة

(٣) - المعجم الموسوعي : ص ١٦ .

حقوقية متمكّنة ، بدأت قبل أربعين عاماً في دراساته الجامعية والعليا في دمشق وباريس ، وتكفّلت له مطالعته الدائبة باللغات الثلاث التي يُحسّنها (العربية والفرنسية والانكليزية) بأن يكتنز معرفةً وتُضجاً مع تقدّم العمر ، وهو رجل دبلوماسي له خبرة كبيرة في الدبلوماسية والمؤسسات الدولية ، في عددٍ من العواصم الأجنبية ، وأتاح له عمله أن يُشارك في المؤتمرات واللجان والوكالات الدولية المتخصصة ، فاتّسع أفق معارفه الاختصاصية وخبرته المسلكية والعملية ، وتهيأ له بعد إحالته إلى التقاعد أن يأوي إلى مكتبته الغنية ، ويتفرّغ لانجاز معجمه ، فأتمّه في خمس سنواتٍ من العمل الصامت الدؤوب المتواصل : يجمع المفردات والمصطلحات ، ويراجع الموسوعات المختلفة والمصادر والوثائق والاتفاقيات الدولية الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة والوكالات التابعة لها ، ليُضفي على شروحه لتلك المصطلحات طابعها الموسوعي المدعوم بالإحصاءات الدقيقة والتواريخ الموثّقة ، وليتمكّن بذلك من أن « يُغني مكتبتنا العربية ، ويسدّ فراغاً طالما احتاج إليه الدبلوماسيون والدارسون والأساتذة والصحفيون ، وكلُّ من أراد أن يقرأ أو يُطالع أو يُحاضر في موضوعٍ له مساسٌ بالعلاقات الدولية ، وبالحياة السياسية والدبلوماسية » كما يقول الأستاذ عبد الله فكري الخاني في تقديمه هذا المعجم إلى القراء^(٤) ، وكما يشهد شاهدٌ آخر هو الدكتور شاكر مصطفى في رسالته إلى المصنّف بأن معجمه « عملٌ مثمر ، عملٌ باقٍ للأجيال الدبلوماسية المقبلة ، لا في سورية ، ولكن في الوطن العربي كله ، فالحاجة إليه قائمة بكل مكان »^(٥) .

ولهاتين الشهادتين من عَلمين ، لكل منهما خبرته الواسعة وعمله الطويل والتميّز في السلك الدبلوماسي ، ومكانته العلمية والأدبية المعروفة ،

(٤) - المعجم الموسوعي : ص ١٢ .

(٥) - المعجم الموسوعي : ص ٨ .

قيمة خالصة لا يشوبها ميلٌ إلى مجاملةٍ ، ولا يعدل بها عن صريح الحق هوىً ، فهذا المعجم الموسوعي المختصر الفريد عملٌ بالغ الأهمية ، وخدمةٌ للعربية جليلة وثمينة ، ويحق لصاحبه أن يفخر به ، ولئن كان تواضع العالم يدفعه إلى تذكير القراء بكلمة للدكتور جنسن ، يضعها في مقدمة المعجم^(٦) ، ويقول فيها : « يتوق كلُّ من يؤلّف كتاباً إلى المدح ، أمّا من يُصنّف معجماً فحسبه أن ينجو من اللوم ! » إته لحقُّ أن مصنّف هذا المعجم المختصر المفيد جدير بالثناء الوافي على حُسن صنيعه ، وهو ثناء خالص لا تخالطه مؤاخظة ولا يشوبه لومٌ ، وأمّا ما بُدئ به بعد ذلك من ملاحظات نقدية ، وما قد نذكره فيها من هناتٍ ، فليس ما نفعل من قبيل المؤاخظة أو اللوم للمصنّف أو الخطّ من قيمة عمله ومجهوده ، ولنذكر أن الكمال لله وحده ، وقديماً قالوا : « لاتعدم الحسنة ذاماً » فلعلّ المصنّف في حرصه على تنقية معجمه من تلك الهنات الطفيفة يعمد إلى تلافيتها وتداركها ما يرى أن يتداركها منها في طبعة ثانية قادمة .

وبودنا ألا نُطيل في سرد تلك الملاحظات وسنحاول إيجازها في نقاط معدودة تتصل بمنهج المعجم وتصميم نظامه وترتيب فهرسه ومضمون شروح مفرداته ولغة المصنّف وأسلوبه فيها :

١ - منهج هذا المعجم الموسوعي محدّد بتقديم المفردات والمصطلحات الدبلوماسية والسياسية والدولية بالإنكليزية أولاً ، ثم بالفرنسية ، لأهمية هاتين اللغتين في المجتمع الدولي ، ثم بالترجمة العربية عنهما معاً ، وقد التزم المصنّف بمنهجه هذا فلم يشدّ عنه إلا مرةً واحدةً عمد فيها إلى تخصيص مادة مفردة لعلم من الأعلام ، وهو السيد خافير بيريز دي كويلار ، الأمين العام الحالي للأمم المتحدة ، وكان على المصنّف ألا يفعل ، وأن يقصر موادّ معجمه على المفردات والمصطلحات ، والأعلام الشخصية ليست منها ،

(٦) - المعجم الموسوعي : ص ٩ .

وكان بوسعنا أن ننقل ما ذكره في شرح هذه المادة المستقلة (ص : ١٠٣) إلى مادة (السكرتير العام للأمم المتحدة) (ص : ٢٧٣) التي لم يأت بشرح لها ، ليستقيم له منهجه العام الذي يقوم عليه هيكل معجمه كله .

٢ - في تصميم المصنف لنظام معجمه كان عليه أن يعتمد إلى ترقيم المفردات والمصطلحات المشروحة ، وهي قرابة الأربعمائة ، بأرقام صغيرة خاصة متسلسلة ، ليوفر على نفسه وعلى ناشري معجمه وعلى قراء كتابه بذل المزيد من الجهد والوقت المهدور ، ذلك أن الإحالات تكثر في المعجم في المواد المشروحة على مواد أخرى فيه ، لصلتها بها ، وتلك وسيلة لا غنى عنها للربط بين المفردات والمصطلحات ، وعدم التكرار في إيراد الجوانب المشتركة في شروحيها ، وتطول أحياناً تلك الإحالات الموضوعية بين قوسين ، ومثالاً لها هذه الإحالة الواردة في (ص : ٩٠) :

(راجع أيضاً عبارة معاهدة التسوية النهائية للحرب الثانية :

Second World War Final Settlement Treaty

بسبب صلتها بالموضوع) .

ولو كانت المفردات والمصطلحات المشروحة مرقّمة ، وكان رقم معاهدة التسوية : ١١٠ مثلاً ، لاستغنى المصنف عن إيراد الأسطر الثلاثة بقوله : (راجع : ١١٠) فوفر بذلك ويسّر ؛ وقد يقع اضطراب في بعض تلك الإحالات (كما في الصفحة : ١٠٢) :

(انظر الشرح المتعلق بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

(International Declaration of Human Rights

فإذا بحث القارئ عن المصطلح الإنكليزي في باب الحرف (I) لم يجد ما يطلبه ، لأن الإحالة لم تكن دقيقة ، فالمصطلح الإنكليزي لذلك الإعلان العالمي هو : (... Universal Declaration)

والبحث عنه يتم في باب الحرف (U) في (ص : ٣٠٨) وكان ترقيم

المصطلحات المشروحة يُيسّر للقارئ الاهتداء إلى مواطن الإحالات من أقرب الطرق وأقصرها !

٣ - والمعجم الموسوعي يكتفي بتقديم فهرس يقيم واحد للمفردات والمصطلحات العربية المشروحة ، وقد أغنانا منهج الكتاب القائم على ترتيب المفردات والمصطلحات الإنكليزية أولاً فيه على أساس ألفبائي عن الحاجة إلى تخصيص فهرس لها ، ولكن الحاجة إلى فهرس للمفردات والمصطلحات الفرنسية تظل قائمة ، ليصحّ قول المصنف (ص : ١٦) : « كما يمكن للقارئ الفرنسي أن يُطلّ من خلال المعجم على معاني اللغتين العربية والإنكليزية » وفي غياب هذا الفهرس لا يقع القارئ الفرنسي على ما يريد إلا بقراءة المعجم الموسوعي كله ! ويظل المعجم الموسوعي بحاجة إلى الفهارس الكشافة التي تيسّر على مطالعيه الاهتداء إلى ما يريدون والعثور على ما ينشدون ، ولعلّ الطبعة القادمة للمعجم تضم فهارس للأعلام (الشخصيات والبلدان و ..) وللمؤلفات والكتب والمطبوعات ، ويُحسن المصنّف صنفاً بإعادة النظر في ترتيب المفردات ومراعاة التسلسل الألفبائي لأحرف المصطلح كلها ، فلا يقتصر على الحرف الأول وحده ولا على الكلمة الأولى^(٧) وحدها ، والاضطراب في الترتيب الألفبائي للفهرس الوحيد للمفردات والمصطلحات العربية المشروحة شاملٌ وينبغي تصحيحه^(٨) ، وفي المعجم مفردات مشروحة سها الفهرس العربي عن ذكرها^(٩) . إلخ .. وتلك أمور يسهل تداركها في طبعة قادمة .

٤ - والمضمون في شروح المفردات والمصطلحات مستمدٌ من المصادر

(٧) - انظر مثال ذلك في ترتيب المصطلحات الإنكليزية : ص ٢٠٣ .

(٨) - (المغاوير) في الفهرس في باب الألف (!) . ونقع على أربع مفردات تبدأ كلها

بكلمة (معاهدة ..) في مواطن متفرقة (ص : ٣٦٤ - ٣٦٥) .

(٩) - من أمثال (شرح الإبقاء على الوضع الراهن) ص : ٧٤ (وشرط الاحتكام) ص :

الغربية وذلك ما تقتضيه طبيعة موضوعاتها ، ولكننا نقع الحين والحين على أثر للتراث العربي والإسلامي فيها : كالحديث عن جذور الاشتراكية في الإسلام (ص : ٢٨٠) والحديث عن السياسة والمؤلفات العربية فيها (ص : ٢٣٨) والحديث عن المخطوطات العربية في الأندلس (ص : ٣١٩) والحديث عن السفارات والبعثات الإسلامية إلى البلدان الأجنبية (ص : ٣٢) والحديث عن التقاليد الدبلوماسية الإسلامية في مصر والمغرب (ص : ١١٧) إلخ ..

ولنا أن نأمل من المصنّف أن يعمل على إغناء الأثر التراثي في شروح المقردات في موسوعته الدبلوماسية والدولية العربية الشاملة المنتظرة ، ويستفيد فيها من كتب التراث الكثيرة المؤلفة في السياسة والأحكام السلطانية والرسوم الخلافية ، وأهمها أو أهم ما طُبع منها :

- أ - التاج في أخلاق الملوك : للجاحظ (أو المنسوب إليه) .
 - ب - الأحكام السلطانية : للماوردي .
 - ج - رسوم دار الخلافة : لهلال الصابئ .
 - د - سراج الملوك : للطرطوشي .
 - هـ - رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة : لابن الفراء .
 - و - سلوك المالك في تدير الممالك : لابن أبي الربيع .
 - ز - المنهج السلوك في سياسة الملوك : للشيخ عبد الرحمن بن نصر .
 - ح - كتاب في السياسة : للوزير المغربي .
 - ط - واسطة السلوك في سياسة الملوك : لابن زيان العبدواي إلخ ..
- وسيقع في الكتب التراثية الموسوعية على كثير مما يهم موضوعاته وشروحه من أمثال : كتاب الأغاني - ورسائل إخوان الصفا - ومقدمة ابن خلدون - وصبح الأعشى للقلقشندي إلخ .. كما سيجد في كتاب المستشرق آدم متر عن (الحضارة الإسلامية في القرن الهجري الرابع)

ما يفيد موضوعاته ، وبذلك يوفى التراث حقه في الموسوعة الشاملة الموعودة !

أما المعجم الموسوعي المختصر فحظ التراث فيه ليس بذاك : ففي شرحه لمصطلح (سفير متجول) ص : ٣٦ - ٣٧ لا نجد إشارة إلى الرحلات السفارية الإسلامية في المشرق والمغرب ، مثل (رحلة ابن فضلان) ، و (رحلة محمد بن عثمان المكناسي) ، وهما مطبوعتان في دمشق والمغرب^(١٠) ، وفي شرحه لمصطلح (المراسم) ص : ٢٨٤ لا نجد إشارة إلى (رسوم دار الخلافة) أو إلى (كتاب التاج) وهما مطبوعان في بغداد والقاهرة^(١١) ،

ولعل الموسوعة الشاملة المنتظرة تهض بما لم تستطع الموسوعة المختصرة أن تهض به .

٥ - عند نظرنا إلى لغة المصنف وأسلوبه في صياغة شروحه للمفردات والمصطلحات تطالعنا تلك العفوية التي تندفق تدفقاً سهلاً في التعبير والتي تؤثر الرصانة والمنطق والوضوح واللفظ المتداول المشهور ، ولا تحسب لتكثف الجزالة ، أو لتحري السلامة اللغوية أحياناً ، حساباً ، والمصنف يعترف في تمهيده للمعجم بأنه من أنصار المقولة السائدة في التعامل الدبلوماسي والتخاطب الدولي التي تقول « إن الخطأ المشهور خير من الصحيح المهجور » (ص : ١٥) والحق أنه يقول هذا في صدد إبقائه على ترجمة مشهورة لبعض المصطلحات « مغايرة بعض الشيء للترجمة الصحيحة » ولكن قوله هنا ينطبق على أخذه بتلك المقولة في أسلوبه ، مثل

- (١٠) - رحلة ابن فضلان بتحقيق الدكتور سامي الدهان (مطبوعات المجمع) ، والاكسير في فكاك الأسير بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي (المغرب : ١٩٦٥) .
(١١) - رسوم دار الخلافة للصائبي بتحقيق الأستاذ ميخائيل عواد (بغداد : ١٩٦٤) ، والتاج في أخلاق الملوك للجاحظ بتحقيق أحمد زكي (باشا) (القاهرة : ١٩١٤) .

استعماله بعض المفردات العربية بمعانٍ خاطئة ، ولكنها مشهورة ومتداولة ،
فالكفاءة هي الكفاية عنده حينما وردت في المعجم^(١٢) وإن أصرت
الفصحى على أنها لا تعني إلا التساوي والتماثل ، والفعل (تواجد) للوجود
عنده وليس لإظهار الوجد^(١٣) ، والفعل (صَدَف) لمعنى صادف^(١٤) وإن
تكن الفصحى تجعله بمعنى أعرض وانصرف إلخ ..

وهذا الإشار للخطأ المشهور ظاهرة عمّت في أساليب الكتاب ،
وغدت في نظر كثير منهم لا تستحق أن يقف النقد عندها ؛ فلندعها إذاً
لنقف عند بعض الأخطاء النحوية واللغوية التي سها القلم عن تصحيحها ،
ولعلّ بعضها من قبيل التطبيقات التي لا يخلو كتاب مطبوع من أمثالها ،
وستكتفي بإيراد نماذج منها ، يُغني ذكرها عن غيرها :

فمن السهو في تحطي القواعد النحوية :

- أ - من معاني .. وأماني : معانٍ وأمانٍ (ص : ١١)
ب - بذلاها صديقاى : بذها صديقاى (ص : ١٦)
ج - ويُسَمون مندوبون متعقبون : مندوبين .. (ص : ٦٨)
د - أعطوا معانٍ : معاني (ص : ٧٤)
هـ - قد يكونوا : يكونون (ص : ٢٥١)
إلخ ...

ومن السهو في صحة كتابة العدد والمعدود :

- أ - كلمات ثلاثة : ثلاث (ص : ٥٩)

(١٢) - انظر الصفحات : ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٨ - ٩٨ - ١٠٣ - ١٢٨ - ١٤٤ - ٢٧٦ - ٢٩٣ .

(١٣) - انظر الصفحات : ٦٧ - ٧٢ - ١٠٥ - ١١١ - ٢١٥ - ٢٣٩ - ٢٦١ - ٢٨٧ - ٢٩٣ - ٣١١ .

(١٤) - انظر الصفحات : ٢٤ - ٦٣ - ٧٠ - ١٠٥ - ١١٣ إلخ ...

- ب - الأعوام العشر : العشرة (ص : ١٩٣)
 ج - على أحد الروابي : على إحدى.. (ص : ٢٣٩)
 د - الرمح الواحدة : الواحد (ص : ٢٧٩)
 هـ - ثلاث طوابق : ثلاثة (ص : ٣٢٨)

إلخ ...

ومن السهو في استعمال حرف الجر المناسب :

- أ - عطفاً عن الاتفاقية : على (ص : ٥٩)
 ب - المساعدة لانتشار : على انتشار (ص : ٦٠)
 ج - ناهز على الأربعين : ناهز الأربعين (ص : ٨٤)
 د - أكد على الشيء : أكد الشيء (ص : ٨٩)
 هـ - تعاون السلطات بعضها ببعض : مع بعض (ص : ١٠٥)

إلخ ...

وهذه أمثلة للأخطاء اللغوية الأخرى :

- أ - وكانت عضوة في مجلس الكونغرس : عضواً (ص : ٧٢)
 (فالعضو اسم مذكر يستعمل على سبيل الاستعارة ، وليس صفةً ،
 فلا يصح تأنيته !)

ب - إملاء الشـواغر : ملأ الشـواغر (ص : ٧٢-٨٨-١٠٣-١٢٨-٢٣٧) (من الفعل الثلاثي : ملأ)

- ج - ولربّانها : لربابنتها أو لربابينا (ص : ٩٣)
 (لأنها جمع ربّان وهو قائد السفينة)

- د - الأفعال المشينة : الشائنة (ص : ١٠٥)
 (من الفعل الثلاثي : شان)

- هـ - دمج كلا المؤسستين : كلتا (ص : ١٤٧)
 (لتأنيث المؤسسة)

و - وكلما ازداد.. كلما تعبد : تعبد (ص : ١٧٤)

(كلما لا تتكرر ، فيجب حذف الثانية)

ز - والسواح : والسواح (ص : ٣٠٥)

(من الفعل ساح يسبح (لايسوح))

وأمثلة لبعض الأخطاء الإملائية :

أ - رؤى : رؤي (ص : ٧٩-١٩٣-٣١٥)

ب - زاد عنه (دافع) : زاد (ص : ١٠٤)

ونقع الحين والحين على ركافة في صياغة بعض الجمل التي تتكرر غير ما مرة ، من أمثال : (الأمر الذي .. كما وتشارك .. كما وأن .. فيما إذا كان إلخ ...) كما نقع على بعض الجمل المضطربة لطولها أو لنقص كلمة ساقطة منها (كما في الصفحات : ٨٨ - ٢١٠ - ٢٣٨ إلخ ...) .

وهذه الهنات وأمثالها يمكن تلافيها بيسر وسهولة في طبعة للمعجم

قادمة .

ومن الإنصاف في خاتمة هذه الجولة النقدية في صفحات هذا المعجم الفريد النفيس أن نُقرَّ بأن تلك الهنات كلها لا تحط من قيمة هذا الأثر الجليل الذي استفرغ فيه الدكتور السباهي غاية مجهوده ، بسخاء متواصل ، فظل يلاحق آخر المعلومات ، والمعجم في المطبعة ، ليضيف إلى شروحه ما يطرأ على الأحداث الدولية من تطورات ، فنقرأ في (ص : ١٩٢) مثلاً : « علم المؤلف والمعجم على الطابع أن لجنة عربية مشتركة إلخ .. » ونجد في آخر المعجم ملحقاً (الملحق الثامن) تمّ ضمه إلى المعجم بعد الانتهاء من طبعه ، فظلت صفحاته الخمس لذلك من غير ترقيم ، وقد لخص المصنف فيه آخر ما انتهت إليه أزمة الخليج مع مجموعة الوثائق والقرارات الدولية والبيانات العربية والإسلامية الصادرة بشأنها ، وقد التزم

المصنف في شروحه للمذاهب والاتجاهات المختلفة الموضوعية الكاملة بنزاهة مفكرٍ حرٍّ وعدالة مؤرّخٍ منصفٍ ، ودلّ في تعريبه للمصطلحات على ذوق أدبيٍّ وحسٍّ نقديٍّ نامٍ لديه ، ولهذا كله يطيب لنا أن نُنوّه بفضل صاحب هذا المعجم الموسوعي القيم ، وأن ندعو الله أن يمدّ في حياته ويُعينه على إنجاز تلك الموسوعة الشاملة لمصطلحات الدبلوماسية والشؤون السياسية والعلاقات الدولية التي وعد بتصنيفها ، وإذا تمّ له ما يأمله منها يكون قدّم للعربية خدمة ، وحقق بذلك لنفسه المجد والخلود .

المستدرك على شعر أبي هلال العسكري

الدكتور حاتم صالح الضامن

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الذي كان حيّاً سنة ٣٩٥هـ ، من الأعلام المشهورين ، والمؤلفين الأثبات ، له مؤلفات كثيرة نشر منها نحو تسعة كتب ، وله مؤلفات أخرى ما زالت مخطوطة(*) .

وكان أبو هلال شاعراً ، له ديوان شعر لم يصل إلينا . وقد تصدّى لجمع شعره ، المنشور في مؤلفاته أولاً ، وفي الكتب الأخرى ثانياً ، الدكتور محسن غياض ، وطبعه بيروت سنة ١٩٧٥ تحت عنوان : (شعر أبي هلال العسكري) ، ووقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة ، اعتمد المؤلف في جمعه على ثمانية وأربعين مصدراً .

وبلغ مجموع ما جمعه الدكتور محسن غياض ١٥٧٨ بيتاً .

وفي عام ١٩٧٩ صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق كتاب بعنوان (ديوان العسكري) ، جمعه وحققه الدكتور جورج قناز ، وقد وافاني به مشكوراً أخي الأستاذ عبد الإله نيهان .

وقد جاء الديوان في ٢٥٦ صفحة ، اعتمد فيه المؤلف على ستة وأربعين مصدراً وضم الديوان زهاء ١٦٠٠ بيت .

(*) ينظر عن حياته ومؤلفاته :

أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : لبدوي طبانة .

أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : لعلي كاظم مشري .

ومن اللافت للنظر حقاً أنّ هذه الطبعة أغفلت نشرة الدكتور محسن غياض إغفالاً تاماً ، على رغم أنّها صدرت قبلها بخمس سنوات ، ورغم اشتراكهما في جمع أكثر شعر العسكري ، والمصادر هي هي تقريباً في النشرتين .

وقد عوّدنا مجمع اللغة العربية بدمشق على الإشارة إلى كلّ ما طُبِع سابقاً في أول الكتاب كما حدث في شعر ابن ميادة ، إلا أننا لم نقف على شيء من ذلك في ديوان العسكري .

وعند مقابلي لديوان العسكري للدكتور جورج قنازح بشعر أبي هلال العسكري للدكتور محسن غياض تبين لي أنّ سبعة وأربعين بيتاً وقف عليها الدكتور قنازح من مؤلفات العسكري المخطوطة أخلّت بها طبعة الدكتور محسن غياض ، وهذه الأبيات موزعة على الوجه الآتي :

- قافية الهمزة : بيتان .
- قافية الباء : أربعة أبيات
- قافية الدال : بيتان .
- قافية الراء : بيتان .
- قافية السين : خمسة أبيات .
- قافية الظاء : ثلاثة أبيات .
- قافية العين : بيتان .
- قافية القاف : خمسة أبيات .
- قافية الكاف : خمسة أبيات .
- قافية اللام : ستة أبيات .
- قافية الميم : خمسة أبيات .
- قافية النون : ستة أبيات .

وبالمقابل فقد أَخَلَّت طبعة دمشق بنحو خمسة وعشرين بيتاً جاءت في مؤلفات العسكري ، ولكنها فاتت المؤلف ، وهي موجودة في طبعة بيروت .

إن الباحثين الكريمين بذلا جهداً كبيراً يُشكران عليه ، ومع ما بذلاه من جهد في تتبع أشعار العسكري فقد فاتتهم أبيات كثيرة وقفت عليها في مخطوطة (الدر الفريد وبيت القصيد) لمحمد بن ايدمر المتوفى سنة ٥٧١٠هـ .

ومجموع الأبيات المستدركة على نُشْرَتِي ديوانه بلغت ستة وتسعين بيتاً موزعة على الوجه الآتي :

قافية الباء : عشرة أبيات .

قافية الجيم : بيتان .

قافية الحاء : بيتان .

قافية الدال : بيتان .

قافية الراء : خمسة عشر بيتاً .

قافية الضاد : أربعة أبيات .

قافية الطاء : بيتان .

قافية اللام : عشرة أبيات .

قافية الميم : أربعة وثلاثون بيتاً .

قافية الألف اللينة : خمسة عشر بيتاً .

وبعد فأرجو أن يكون عملي هذا نافعاً عند إعادة طبع شعر أبي هلال العسكري ، وأزجي تحياتي إلى الباحثين الكريمين الدكتور محسن غياض والدكتور جورج قناز والحمد لله أولاً وآخراً ، إنه نِعَمَ المولى ونعم النصير .

قافية الباء

(١)

- ١ - ناسٌ وإنْ عامَلْتَهُمْ فذِنَابٌ وَإِذَا طَلَبْتَ نَوَالَهُمْ فِكِلَابٌ
٢ - وَإِذَا اعْتَرَّتْ عَقُولَهُمُ الْفَيْتَهُمُ بَقَرًا وَلَكِنْ مَا لَهَا أَذْنَابٌ
(الدر الفريد ٥/١٦٠)

(٢)

- ١ - وَمَنْ يَطْلُبُ مَسَاءَةً عَائِيهِ فَلَإِ يَسْلُكَ مَسَالِكَ مَنْ يُعَابُ
(الدر الفريد ٥/٣٣٧)

(٣)

- ١ - أَلَمْ تَسْمَعْ مَقَالَتَهُمْ قَدِيماً «سَيَقِي الْوُدَّ مَا بَقِيَ الْعَتَابُ»
(الدر الفريد ٢/٢٣٨)

(٤)

- ١ - أَرَاكَ مَا تَتَوَخَى نُصَحَهَا أَبَداً إِذْ قَدْ تُرَغِّبُهَا فِيمَا يُرَهِّبُهَا
(الدر الفريد ٢/١٠١)

وهو مع ثلاثة أبيات جاءت في شعره المجموع : بيروت ص ٦٣ ،
دمشق ص ٦٠ - ٦١ . والبيت في أعلاه هو الثاني من الأبيات الأربعة .

(٥)

- ١ - وَإِذَا اعْتَبَرْتَ عَقُولَهُمْ بَقَرًا بَلَا أَذْنَابٍ^(١)
(الدر الفريد ٥/٢٠١)

(١) [هكذا جاء البيت في مخطوطة الدر الفريد ، وهو مختل الوزن ، وانظر البيت الثاني من
النتفة رقم (١) السابقة/المجلة] .

(٦)

- ١ - تَعَلَّمْ مَا جَهِلْتَ تَعِشْ حَمِيداً
٢ - وَزِدْ فِي شَكْلِ مَا قَيَّدْتَ مِنْهُ
- وَقَيِّدْ مَا تَعَلَّمْ بِالْكِتَابِ
وَالْأَنْدُ عَنِ عَقْلِ الصَّوَابِ
- (الدر الفريد ١٥١/٣)

(٧)

- ١ - عَصَيْتُمُونِي حِينَ طَاوَعْتُكُمْ
٢ - دَاوَيْتُكُمْ حِيناً فَأَبْطَرْتُكُمْ
٣ - أَقْسِمُ لَا دَارِيَتُكُمْ بَعْدَهَا
- وَالذَّنْبُ فِي عَصِيَانِكُمْ ذَنْبِي
وَلَيْسَ لِلغَيْرِ سِوَى الضَّرْبِ
لَكِنْ أُدَارِي دُونَكُمْ قَلْبِي
- (الدر الفريد ٨١/٤)

جاء البيت الثاني فقط في مجموعي شعره : بيروت ٧١ ، دمشق

. ٧٧

قافية الجيم

(٨)

- ١ - تَصَبَّرْ فَمَا الْمَكْرُوهُ ضَرْبَةٌ لِأَرْبٍ
٢ - وَلَا تَشْكُونَنَّ الْيَوْمَ قَبْلَ انْقِضَائِهِ
- سَتَنْكَشِفُ الْبَلْوَى وَيَتَّسِعُ الْحَرْجُ
فَمِنْ سَاعَةٍ مِنْهُ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجٌ
- (الدر الفريد ١٣٩/٣)

قافية الحاء

(٩)

- ١ - أُنْحُو الْإِعْدَامَ لَا حَيٌّ يُرْجَى
٢ - أَرَى الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا كَثِيراً
- وَلَا مَيِّتٌ يُرِجُ وَيَسْتَرْجَى
وَمِنْهَا فِي يَدِ الْفُقَرَاءِ رِيحٌ
- (الدر الفريد ٢٥٨/١)

قافية الدال

(١٠)

- ١ - إذا خالفت القولُ الفِعالَ فإنَّهُ
لعمري هباءٌ لا يُفيدُ ولا يُجدي
٢ - فلا مَرَحِباً بالخِلِّ يُبدي لي الهوى
وأفعاله تُومي إلى غير ما يُبدي
(الدر الفريد ١/٣١٧)

قافية الراء

(١١)

- ١ - قالوا صَبِرْتُ وما صَبِرْتُ جلادةً
لكن لِقَلَّةِ حِيلتي أَتَصَبَّرُ
٢ - لا تُنْهني عنهم فَتُغْرِيَنِي بهم
فلربما يَنْهَى العذولُ فيأمرُ
٣ - أنا عبدٌ مَنْ أهوى ومملوكُ الهوى
ولو أنني سَابورُ أو إسْكَندَرُ
٤ - ليسَ التَكْبِيرُ شِمةً لأخي الهوى
ومن العجائبِ عاشقٌ مُتَكَبِّرُ
(الدر الفريد ٤/٢٩٤ و ٥/١٧ ، الثالث فقط في ٢/٢٨٤)

(١٢)

- ١ - هَذِهِ دَوْلَةٌ تَدُولُ لأشرا
رِ وتنبؤو عن خِيرةِ أُبْرارِ
٢ - وزمانٌ فَقَدْتُهُ من زمانِ
قد طوى خِيره عن الأَخيارِ
٣ - يا لَعِيمَ النَّجارِ عِشْ في نَعِيمِ
ودع البؤسَ للكَريمِ النَّجارِ
٤ - عِشْ كما شِئْتَ فالزمانُ حمارُ
ليسَ يصفو إلا لكلِّ حمارِ
(الدر الفريد ٥/٣٦٥ ، الثالث فقط في ٥٠/٤٧٠ ، الرابع فقط في ٤/٨٠)

(١٣)

- ١ - لا تَقْطَعِ البِرَّ إنَّ قَطْعَكَهُ
يَقْطَعُ ما تَسْتَحِقُّ من شُكْرِ
٢ - مَنْ صَنَعَ البِرَّ ثم تَبَّرَهُ
عَرَضَهُ لِلجُحودِ وَالْكَفْرِ

٣ - وَالْعُرْفُ إِنْ لَمْ تَكُنْ تُتَمَّمُهُ صَارَ قَرِيبَ الْمَعْنَى مِنَ النَّكْرِ
(الدر الفريد ٤٢٤/٥ ، الثاني فقط في ١٣٤/٥ ، الثالث فقط في
٢٢١/٢)

(١٤)

١ - قَدْ رُفِعَتْ أَلْوِيَةُ الْعَنْدَرِ وَوَسَدَّ بَابَ الْفَضْلِ وَالشُّكْرِ
٢ - وَآيَةُ الْإِحْسَانِ مَنْسُوخَةٌ قَدْ أُسْقِطَتْ مِنْ صُحُفِ الدَّهْرِ
٣ - لَا تَطْلُبِ الْخَيْرَ وَلَا تَرْجُهُ فَإِنَّ هَذَا دَوْلَةُ الشَّرِّ
٤ - سَمِعْتُ بِالْحَرِّ وَلَمْ أَلْقَهُ يَا طَوْلَ أَشْوَاقِي إِلَى الْحَرِّ
(الدر الفريد ٣٦٦/٣ و ٤١٧/٥)

قافية الضاد

(١٥)

١ - أَلَا لَيْسَ فِي الْإِعْدَامِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى وَلَكِنْ أَشَدُّ الْعَارِ فِي دَنْسِ الْعِرْضِ
٢ - وَمَا طُولُ عُمْرِي أَنْ يَطْوَلَ بِهِ الْمَدَى وَلَكِنَّهُ طَوْلُ الْمَسْرَةِ وَالْحَفْضِ
٣ - وَمَا الْمَيْتُ إِلَّا كَلَّ مِنْ مَاتَ ذِكْرُهُ وَمَاتَ عَنِ الْإِسْعَافِ بِالْقَرْضِ وَالْفَرْضِ
٤ - يُفَرِّحُنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَكُلَّمَا مَضَى بَعْضُ أَيَّامِ الزَّمَانِ مَضَى بَعْضِي
(الدر الفريد ٣٥/٣)

قافية الطاء

(١٦)

١ - أَهْزَكُمُ بِأَشْعَارِي وَأَنْتُمْ جَمَّادٌ لَا تَهْزِكُمُ السِّيَاطُ

٢ - نَعْيَرُ حُسْنَ وَجْهِكُمْ لَشَعْرِي كَأَنَّ الشَّعْرَ عِنْدَكُمْ ضُرَاطُ
(الدر الفريد ١٦/٣ ، الثاني فقط في ١٥٥/٣)

قافية اللام

(١٧)

قال من قصيدة يمدح بها عزّ المفاخر ذا المعالي :

- ١ - مَرُورٌ يَقِيمٌ وَلَا يَرْحَلُ وَنَعْمَاءٌ آخَرُهَا أَوَّلُ
- ٢ - وَيُمْنٌ يَدُومٌ وَلَا يَنْقُضِي وَسَعْدٌ يَلُوحُ وَلَا يَأْفُلُ
- ٣ - فَضَلْتُ وَأَفْضَلْتُ سَوَمَ السَّحَابِ

وخيرُ الوري الفاضلُ المُفضِلُ

- ٤ - وَجُودُ الْكَرِيمِ لَهُ جُنَّةٌ وَعَقْلُ اللَّيْبِ لَهُ مَعْقِلُ
 - ٥ - وَلَيْسَ لَدِي الْمَالِ مِنْ مَالِهِ سِوَى مَا يُنِيلُ وَمَا يَأْكُلُ
 - ٦ - وَمَا الْمَالُ مَالٌ لَمَنْ يَقْتَنِي وَلَكِنَّهُ مَالٌ مِنْ يَبْذُلُ
 - ٧ - وَبِالْجِدِّ يُدْفَعُ مَا يُتَّقَى وَبِالْجِدِّ يُدْرَكُ مَا يُؤَمَلُ
 - ٨ - وَلَمْ يَزَلِ الْفَقْرُ مُسْتَضْجِباً لِمَنْ يَتَوَانَى وَمَنْ يَكْسَلُ
 - ٩ - إِذَا النَّاسُ كَانُوا بَنِي وَاحِدٍ فَأَجْمَلُهُمْ أَثَرًا أَفْضَلُ
- (الدر الفريد ٢٩١/١ ، الأبيات ٥ - ٩ في ٣٠٦/٥ ، الأول فقط في ٣٥٤/٣)

(١٨)

- ١ - يَزِيدُ سُقُوطاً وَاتِّضَاعاً وَخِيسَةً إِذَا زَادَهُ الرَّحْمَنُ كَثْرَةَ مَالٍ
(الدر الفريد ٤٩١/٥)

قافية الميم

(١٩)

قال في وصف الدراهم :

- ١ - خَلِيلِي لَيْسَ الذُّخْرُ إِلَّا صَنِيعَةً وَلَا صُنْعٌ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الدَّرَاهِمُ

- ٢ - هي البيضُ ثني البيضَ غير صوارمٍ
وهُنَّ إذا ما ساعدتْها صوارمُ
- ٣ - ويا ربَّما تأتي السيوفُ حواكماً عليك فتأتي وهي فيها حواكِمُ
- ٤ - تُحاكي نجومَ الليلِ فعلاً وخِلقةً فهنَّ صغارٌ في العيون أعاطِمُ
- ٥ - تقومُ إذا ما الحادِثاتُ تشاجرتُ فتقعدُ منها كلُّ ما هو قائمُ
- ٦ - فمانعُها إلا عن الحقِّ عارفٌ ومؤثرُها إلا على الحمدِ عالمُ
- ٧ - فأعدِدْ لجرحِ الحادِثاتِ دراهمًا فهنَّ لجرحِ الحادِثاتِ مراهمُ
- ٨ - وعودُ بها الحاجاتِ تنفِ شماسها
- فإنَّ بها جنًّا وهنَّ تمانمُ
- ٩ - بها تُدفعُ البلوى وتُدركُ المنى وتُكتسبُ العليا وتُبنى المكارمُ
(الدر الفريد ٢٦٠/٣ ، البيت التاسع في ٩٢/٣)

(٢٠)

- ١ - إن كان من حقِّ المودَّةِ في الهوى
أن تَصيرَوا حَبْلَ التواصُلِ فاصيرِوا
- ٢ - ضيَّعتُ حقَّ تحرِّمي بودادِكُم غرَّ امرؤُ بودادِكُم يتحرَّمُ
- ٣ - وظلمتني وزعمتُ أنَّي ظالمٌ ومن العجائبِ ظالمٌ مُتظلمٌ
- ٤ - فلا بُعدنُ منكم وبالي كاسِفٌ ولأصيرنُ عنكم وأنفي مُرغمٌ
- ٥ - ولو استطعتُ جزيتكم بفعالِكُم لكنني لا أستطيعُ فأكظمُ
- ٦ - ولعلَّ دائرةَ الزمانِ تدورُ لي حتى تعودَ إلى التي هي أقومُ
(الدر الفريد ٢٨٦/٥ ، الأول في ٣١٦/٢ ، الثاني في ٤٣/٤)

(٢١)

- ١ - سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيَّةً
فوجهُكَ دونَ الردِّ يكفي المسلمًا
(الدر الفريد ٣٧٢/٣)

وجاء في حاشية الدر :

كتب به أبو هلال إلى بعض إخوانه ، يقول : إذا رأى المسلم عليك
وجهك فذاك يكفيه وإن لم تردّ عليه جواب تحيته ، وذلك على سبيل
المبالغة في المدح .

(٢٢)

قال يمدح الصاحب بن عباد :

- ١ - بَرِّقَ تَأَلَّقَ مِنْ فَنُوقِ غَمَامٍ وَمُهَنْدٌ يَجْلُو سَوَادَ قَتَامٍ
- ٢ - أُمُّ طَلْعَةِ الْمَلِكِ الَّذِي يَمِينِهِ
- سَكَبَ الْغَمَامِ وَصَوْلَةَ الصَّمَصَامِ
- ٣ - يَجْرِي فَيَسْبِقُ حَيْثُ تَبْتَدِرُ الْعُلَا حَتَّى تَرَاهُ أَمَامَ كُلِّ إِمَامٍ
- ٤ - إِنْ عَمَّ صِبَا حَاً بِالشَّاءِ مُحَبِّراً كَالرُّوضِ نَمْنَمِهِ بُكُورُ رِهَامٍ
- ٥ - تَلَقَى السَّعَادَةَ فِي مَرَامِكِ الَّتِي هِيَ لِلْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتِ مَرَامِي
- ٦ - وَمِيَامِنَاً مَوْصُولَةً بِمِيَامِنِ وَذُرُورَ إِنْعَامٍ عَلَى إِنْعَامِ
- ٧ - وَكَرَامَةً مَقْرُونَةً بِكَرَامَةِ تُبْقِي لَدَيْكَ الدَّهْرَ دَارَ مَقَامِ
- ٨ - مَا زَالَ كَفْكَ يَسْتَشِيرُ مَاثِراً مَا بَيْنَ أَسْيَافِ إِلَى أَقْلَامِ
- ٩ - قَدْ جَلَّ قَدْرُكَ أَنْ يُقَاسَ بِكَ امْرُؤٌ مَا كُلُّ مُصْقُولِ الطُّبَا بَحْسَامِ
- ١٠ - يَمْشِي بِهِ فَوْقَ التَّرَابِ تَوَاضِعٌ وَبِهِ الْعُلَى تَحْتَالُ فَوْقَ الْهَامِ
- ١١ - أَخْلَاقُ غَيْثٍ فِي شَمَائِلِ صَارِمٍ وَثَبَاتٌ طَوْدٍ فِي مَضَاءِ سِهَامِ
- ١٢ - وَمَكَارِمٌ كَغَمَائِمٍ وَعِزَائِمٍ كَصَوَارِمٍ وَشَمَائِلٌ كَمُدَامِ
- ١٣ - وَفَضَائِلٌ غُرُّ الْوَجُوهِ شَهِيرَةٌ يَحْكِينُ أَعْلَاماً عَلَى أَعْلَامِ
- ١٤ - لُقِّيتَ فِي الْعِيدِ الْجَدِيدِ سَعَادَةً تَبْقَى بِشَاشَتِهَا عَلَى الْأَيَّامِ
- ٧ - [وَبَقِيَتْ مَرْفُوعَ الْمَحَلِّ مَكْرَمًا فِي غَبْطَةِ وَكَرَامَةِ وَسَلَامِ]
- ١٥ - فَانْعَمْ بِهِ وَمَا يَجِيءُ وَرَاءَهُ مِنْ سَائِرِ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ

(الدر الفريد ٢٦٠/١ ، الرابع في ٣١٠/٢ ، الخامس في ١٦٣/٣ ،
التاسع في ٣٠١/٤)

(٢٣)

- ١ - قَدْ تَخَصَّصْتُ اللَّيْبَ بِالْإِكْرَامِ وَتَهَاوَنْتُ بِالْجَهْلِ الْعَبَامِ
 - ٢ - إِنَّمَا تَكْرُمُ الرِّجَالَ عَلَى الْأَحْ لَامِ وَالْفَضْلَ لَا عَلَى الْأَجْسَامِ
 - ٣ - وَلَوْ أَنَّ الْإِكْرَامَ يُدْرِكُ بِالْأَجْ سَامَ كَانَ الْإِكْرَامُ لِلْأَنْعَامِ
- (الدر الفريد ٣٦٤/٢)

قافية الألف اللينة

(٢٤)

- ١ - وصاحبُ الحاجاتِ مَنْ يجفو الكرى ويركبُ الهولَ إذا الجبسُ التَّوَى
- ٢ - أَرَى الْفَتَى تَغْرُهُ صِحَّتُهُ وَإِنَّمَا الصِّحَّةُ رَهْنٌ بِالضَّنَا
- ٣ - يَرَجُو لِيَانَ الْعَيْشِ وَهُوَ دَاؤُهُ وَرُبَّ رَاجٍ خَافَ مِنْ حَيْثُ رَجَا
- ٤ - قَدْ فَضَّلْتُ آمَالَهُ عَنْ عُمْرِهِ فَهَنْنٌ لَا تَفْنَى وَيُفْنِينَ الْفَتَى
- ٥ - بَنَى الْحَصُونَ حَذْرًا مِنَ الْعِدَى وَجِسْمُهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْعِدَى
- ٦ - فِي هَذِهِ الْأَمَالِ - مَا أَعْجَبَهَا - عِمَارَةُ الدُّنْيَا وَأَفَاتُ الْوَرَى
- ٧ - يَدْفَعُ أَسْبَابَ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ وَرُبَّمَا جَرَّ الْأَذَى دَفْعَ الْأَذَى
- ٨ - يَفْرُحُ بِالْأَيَّامِ يَمُرُّنَ بِهِ وَإِنَّمَا هُنَّ سِلَالِيمُ الرَّدَى
- ٩ - يَغْمِسُ فِي الْعَصِيانِ كَفًّا مَلِئَتْ مِنْ نَعَمٍ تَكْثُرُ أَعْدَادَ الْحَصَى
- ١٠ - يُعْجِبُهُ نَمَاءُ مَا يَمْلِكُهُ وَهُوَ بِنَقْصَانِ الْحَيَاةِ مَا نَمَى
- ١١ - وَيَنْدُبُ الْمَوْتِ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَأَنَّهُ مِمَّا أَتَوْهُ فِي حِمَى
- ١٢ - لَا يُطِيرَنَّكَ مَا تَرَى مِنْ نَعَمٍ فَعَنْ قَلِيلٍ لَا تَرَى مَا قَد تَرَى
- ١٣ - كَانَ مَا يَمُضِي مِنَ الدُّنْيَا مَضَى وَأَنْ مَا يَأْتِي مِنَ الْمَوْتِ أَتَى

المستدرک علی شعر أبي هلال

٤٨

- ١٤- فارحل إلى الأخرى بزادٍ من تُقَى فإنما الزاد إلى الأخرى التُّقى
١٥- هل ينفع العيش بغير صحّةٍ أو تكملُ الصحّةُ إلا بالغنى
(الدر الفريد ٣٧٢/٥ ، الثاني في ١١٤/٢ ، السادس في ٢٨٦/٤ الثالث
عشر في ٣٦٦/٤)

مصادر البحث ومراجعته

- أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : علي كاظم مشري ، رسالة
ماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٨٤ .
- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : بدوي طبانة ،
مصر ١٩٥٢ .
- الدر الفريد وبيت القصيد : محمد بن ايدر ، ت ٧١٠ هـ ،
مخطوطة مصورة ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ألمانيا ١٩٨٨ -
١٩٨٩ .
- ديوان العسكري : جمع وتحقيق د. جورج قناز ، مطبوعات
مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٩ .
- شعر أبي هلال العسكري : جمع وتحقيق د. محسن غياض ،
منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٥ .

آراء وأنباء

استقبال ثلاثة أعضاء عاملين في المجمع

في شهري تشرين الأول والثاني من عام ١٩٩١م تم استقبال السادة
الأساتذة :

الدكتور عبد الوهاب حومد .

الأستاذ جورج صدقي .

الدكتور عادل العوا .

في رحاب المدرسة العادلية موئل العلم والعلماء التي تطلع إليها مؤسسو
المجمع لتكون مقراً له ، لما لها من ماض عريق يزهو على التاريخ ، وأصالة
عربية مجيدة في سالف الدهر ، إذ نزل بها أكابر العلماء ، وتردد في أبنائها
وقاعاتها ابن خلكان وابن خلدون والتاج السبكي وغيرهم من الأجلاء
الذين عمروها وعمرت بهم .

وفي خريف هذا العام حين تخترق الثمار وتؤتي أكلها ، يختار مجمع
دمشق هذا المكان الجليل مقر المجمع السابق ليكون مكاناً لاحتفالاته في
استقبال أعضائه الجدد .

ويسعد مجلة المجمع أن تنشر على صفحاتها الكلمات التي ألقيت في
هذه الاحتفالات وهي غنية بأمارات الترحيب والإكبار التي استقبل بها
الأعضاء الزملاء ، مفصحة عن كفاياتهم العلمية التي يتحلون بها والأعمال
الجليلة التي اضطلعوا بها :

حفل استقبال

الزميل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م (الدورة الجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩١م) الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغره بوفاء الأستاذ الدكتور شكري فيصل . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٥) تاريخ ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور حومد في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٨ ربيع الآخر ١٤١٢هـ/ ١٦ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها نخبة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحضور وشكرهم على مشاركتهم الاحتفال بالعضو الجديد وهنا الأستاذ الدكتور حومد بثقة زملائه المجمعين يعرضهم ويؤازرهم في مسيرتهم لبلوغ العربية مكانتها العالمية السامية .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعى نوه فيها بمزاياه العلمية والخلقية وذكر طرفاً من سيرته .

ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور شكري فيصل .
ونشر فيما يلي كلمات الحفل .

٥٠
٤

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أرحب بكم أجمل الترحيب وأطيبه ، وأشكر لكم مبادرتكم الخيرة بحضوركم احتفالنا الذي نقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وإنها لمناسبة نجدد بها العزم والتصميم أن نوّدي حق المجمع علينا ، وأن نتابع رسالته في تعزيز العربية الميينة ، والكشف عن أسرارها وخصائصها ، ومدّ سلطانها لتكون أداة التعبير والبيان في جميع ميادين المعرفة في وطننا العربي الحبيب .

إن اللغة والأمة توأمان لا يفترقان . ومن كلمات هررد : «إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين » ، « إن روح الشعب يكمن في لغة الآباء والأجداد » ، « إن قلب الشعب ينبض في لغته »^(١) .

ولقد وعت الحكومة العربية التي قامت في دمشق في أعقاب السيطرة العثمانية مكانة اللغة وجليل شأنها في حياة الأمة ، فسعت السعي الحثيث لتعيد للغة العربية شبابها ورؤاءها ونصاعتها، بعد أن طال انزواؤها في العهد

(١) ما هي القومية لساطع الحصري : ٥٦ .

العثماني . وكان مجمع الخالدين من بواكير مؤسساتها ، أقامته (في ١٩١٩/٦/٨ م)^(٢) ليضاح للعربية الميادين الرحاب في شتى فنون المعرفة ، ويدراً عنها العجمة واللحن فتستقيم على نهجها اللاحب .

ونفض المجمع بالمهمة ، أداها على خير ما يكون الأداء ، وبذل أعضاؤه الخالدون الطاقة والوسع ، ليكشفوا عن أساليب العربية وطرائقها في وجوه التعبير وتأدية المعاني . وشاركوا في تعريب التعليم العالي حتى رسخت قدمه في بلاد الشام ، وغدا قدوة ونموذجاً ، وخطوا الطريق إلى سيادة العربية في بلدها ، فكانوا النواة الطيبة ، والحبة التي أنبتت سبع سنابل ، فتلاحق بهم من خلفهم زملاء لهم أسسوا المجمع في القاهرة وبغداد وعمان ، وتكاتف كبار العلماء الحراص على العربية في أرجاء الوطن العربي ، وتعاونوا جميعاً لتصبح العربية لغة العلم والحياة ، تستجيب لما يراد منها ، وتعبر عن مختلف علوم العصر ، فتجيد التعبير وتحسنه ، إيماناً منهم جميعاً بألا تقدم للأمة ، ولا قوام لها ما لم تصطنع لسانها العربي تفصح به وتبين عن كل ما يتناوله الفكر ، أو يهجس في النفس والضمير .

وإذا كان لنا أن نغتب بما قدم العلماء الرواد ، وبما حققتة العربية من ازدهار في شتى الميادين فإن الهجمة الشرسة على العربية وبيانها لم تقف ، وإنما لتصطنع أساليب جديدة ، وطرقاً منكراً ملتوية ، فيها الكثير من المكر والكيد والذكاء تتستر بها ، تريد أن تقضي على هذه اللغة التي ما زالت العاصمة لأبناء العروبة أن تعصف بهم ربح الشتات ، وتوزعهم يد الفرقة .

إن أمثال هذه الدعوات الغربية لن تزيدنا إلا قوة ومضاء ، وإنما لتطلع بتفاؤل وأمل إلى اليوم الذي تبسط فيه العربية سلطانها في كل ميدان ، وفي ميادين التعليم العالي خاصة ، وتخفت كل نامة ضالة مضللة .

(٢) تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتيح : ٧ .

لا يسعني إلا أن أستمطر شآبيب الرحمة لأولئك الفرسان الرواد الذين رفعوا راية العربية مشرعة ، وأعلوا منارها ، وقضوا ، بعد أن أرسوا الدعائم ، وهيئوا مَنْ يحسن خلافتهم في الذود عن العربية . وهاهو ذا المجمع ، وقد نضاً الثانية والسبعين من عمره ، يمضي إلى غايته أشد ما يكون فتاءً وعنفواناً ، تظلل أعضائه راية العربية المبينة ، يتداولونها كإبراً عن كابر ، ويسلمها سابق إلى لاحق ، يقوم مقامه في حمل الأمانة .

ونستقبل اليوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد فارساً معلماً يحل محل سلفه الأستاذ الدكتور شكري فيصل رحمه الله الرحمة الواسعة .

لقد تمّ انتخاب الأستاذ حومد عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته الجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩١م (التي عقدت في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٥ (في ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م) بتعيينه^(٣) .

وإننا لنهني الأستاذ حومد ثقة زملائه المجمعين به ، واختيارهم له زميلاً عزيزاً يعضد إخوانه ويؤازرهم في مسيرتهم ، يسعون معاً لتبليغ العربية مكانتها العالمية السامية ، لا تقصّر عن مدى .

لقد تعددت مواهب الأستاذ حومد ، فجلّى في الميدان العلمي ، وجال في ميادين السياسة ، وتولّى المناصب العامة فكان نائباً ووزيراً مراراً . ولقد أحب الأستاذ حومد العربية وبرّز فيها ، وأكّبت على الحقوق دراسة وتديراً حتى بلغ الغاية في القانون الجنائي ، وطبعت مؤلفاته في هذا الباب طبعات عدة .

فأهلاً بك ، أيها الزميل العزيز ، في رحاب مجمع الخالدين ، تعمل

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج ٣ ، ص ٥٧١ (تموز ١٩٩١م) .

حفلة استقبال الدكتور حومد

٥٤

وتدأب مع إخوانك ، لتظل راية العربية سامية .
ويسعدني أن يتقدم الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص عضو
المجمع فيلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويعرضَ لمعاً من
سيرته ومناحي نشاطه ، ليعقبه الأستاذ الدكتور حومد فيتحدثَ عن سلفه
الأستاذ الدكتور شكري فيصل ، فيسبب سيرته ، ويجلو نفائسه .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

أيها السيدات والسادة :

يستقبل مجمع اللغة العربية في هذه الأمسية أخصاً كريماً وأحد رجالات هذا البلد البارزين هو الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وقد جرى المتحدّثون الذين يقدّمون شخصية معروفة إلى الجمهور على القول إن الرجل غنيّ عن التعريف ، وأنا أخالفهم في هذه السّنة فأقول إن الدكتور حومد ليس غنياً عن التعريف ، وليس ذلك لأن جمهور المواطنين لا يعرفه ، فهو من أعلام الباحثين ورجال القانون في قطرنا العربي السوري ، وإنما لأن الجمهور لا يعرف من الرجل إلا ما يتصل بحياته العامة وعمله فحسب ، ولكنّ ثمة جوانب أخرى يجهلها الناس تتصل بخلاله وحياته الاجتماعية وصلاته بذويه وإخوانه. وسأتحدث هنا عن هذه الجوانب بالقدر الذي يتّسع له الوقت المحدّد لهذه الكلمة .

وأودّ أولاً أن أعبر عن سعادة أعضاء المجمع البالغة باستقبال الأخ الكريم الدكتور حومد وانتمائه إلى هذه المؤسسة التي جعلت وكدها العناية بلغة الضاد وبتراث العربية الخالد ، ولا يخامرهم الشكّ في أنهم سوف يفيّدون من انضمامه إلى أسرّتهم أعظم الفائدة لما عُهد فيه من النشاط الوافر والغيرة على اللغة العربية والتعمق في العلوم القانونية . ولعلّ كثيراً من الناس

يجهلون أن الدكتور حومد بدأ حياته أديباً ثم اتجه إلى الدراسة القانونية ، ولكن النزعة الأدبية لم تفارقه فاجتمع في شخصه رجل القانون والأديب . ولد الدكتور حومد عام خمسة عشر وتسعمئة وألف بمدينة حلب الشهباء ، وبعد أن أتم المرحلة الابتدائية تابع دراسته في المكتب السلطاني ، وهو يومئذ الثانوية الوحيدة في حلب ، ونال في ختامها شهادتي الثانوية العامة الأولى والثانية وشهادة دار المعلمين ، وقد أتاحت له الشهادة الأخيرة دخول سلك التعليم فعُين معلماً ثم معيداً . وفي عام سبعة وثلاثين انتسب إلى معهد الحقوق بدمشق ونجح إلى السنة الثانية ، ولكنه لم يتم دراسته القانونية في دمشق إذ اشترك في العام التالي في مسابقة لإيفاد طلاب إلى فرنسا لدراسة الأدب العربي في جامعة باريس . وكانت فرنسا تفرض على وزارة المعارف السورية إرسال جميع بعثاتها إلى فرنسا مهما يكن اختصاص موفديها لحرصها على هيمنتها الثقافية ، وكانت أولى البعثات التي خرجت عن هذه السُنَّة البعثة التي كنت والدكتور شاكر الفحام في عدادها ، فقد أوفدنا سنة اثنتين وأربعين إلى مصر بدلاً من فرنسا بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

حصل الدكتور حومد على الإجازة (الليسانس) في الأدب العربي عام أربعين وتسعمئة وألف من جامعة باريس ، على أن نفسه كانت توافقة مع ذلك إلى دراسة العلوم القانونية ، فحصل في العام نفسه على دبلوم معهد العلوم الجنائية ، وفي العام الذي يليه حصل على الإجازة في الحقوق . وهنا أصبح الدكتور حومد على مفترق طريقين كان عليه اختيار أحدهما : إما أن يتابع دراسته الأدبية التي أوفد من أجلها ، وإما أن يسلك سبيل رجال القانون فيتابع دراسته القانونية التي بدأها في دمشق ، — وقد حالت ظروف الحرب العالمية الثانية دون عودته إلى دمشق بعد حصوله على الإجازة فأتاح له ذلك متابعة دراسته للحصول على الدكتوراه — ، وما لبث أن حسم

الأمر باختياره الطريق الثاني فأعدّ أطروحة في العلوم الجنائية نال بها درجة الدكتوراه عام أربعة وأربعين .

والدكتور حومد لم يفصح لنا عن دوافع إثاره القانون على الأدب ، ولعلّه آنس في نفسه الرغبة في إنصاف من ينالهم الأذى والوقوف في جانب من تغتصب حقوقهم ، وهي نزعة لازمتها طوال ممارسته مهنة المحاماة وتتصل اتصالاً وثيقاً بخياراته الوطنية والقومية التي اتجه إليها بعد إنجاز دراسته القانونية . بيد أن اختياره الدراسات القانونية لم يبلغ ميوله الأدبية القوية الجذور في نفسه ، فسجّل رسالة دكتوراه عن حافظ إبراهيم في جامعة باريس ولكن لم يتح له إنجازها ، ففنع بمتابعة مطالعته الأدبية وحفظ الكثير من الشعر العربي ، وأعاناه على هذا الحفظ حافظته القوية ، وكان كثيراً ما يروي لنا في المناسبات الاجتماعية التي كنا نلتقي فيها جانباً من محفوظه الشعري أو يتحفنا ببعض الأحاديث الأدبية التي اختزنتها ذاكرته . وقد تجلّت موهبته الأدبية في كتاباته ومقالاته في مختلف الدوريات العربية .

بعد انطفاء نار الحرب العالمية الثانية عام خمسة وأربعين عاد الدكتور حومد إلى سوريا ليتولى تدريس الأدب العربي الذي أوفد من أجله في ثانوية حلب واستمرّ يتولّى هذا العمل لمدة عام ، وما لبث في العام الذي تلاه أن تحلّى عن تدريس الأدب ليتولّى تدريس المادة التي استأثرت باختياره ، فعُين مدرساً في كلية الحقوق بدمشق ، وتمّت ترقيته بعد ذلك إلى مرتبة أستاذ مساعد فأستاذ كرسي الجزائيات ، على أنه انقطع عن ممارسة التدريس حقبة من الزمن من جرّاء تسريحه عام اثنين وخمسين لعدم أدائه اليمين إبان حكم الشيشكلي ، ثم عاود التدريس في كلية الحقوق حتى عام تسعة وخمسين .

لم يكن الدكتور حومد خلال هذه الحقبة منقطعاً إلى التدريس وحده ، فإن خياراته السياسية دفعته إلى الانتماء إلى حزب الشعب الذي

كان مهده مدينة حلب فكان أحد أقطابه البارزين ، وقد رشح نفسه ممثلاً لهذا الحزب مرّات متعددة ، وتبوأ كرسي النيابة والعمل الوزاري كذلك مرّات متعددة قبل قيام الوحدة بين القطرين المصري والسوري ، فتولّى وزارة المعارف مرتين ووزارة المالية مرّة ، ووزارة الخارجية بالوكالة .

حينما قامت الوحدة بين القطرين عام ثمانية وخمسين وقف الدكتور حومد الموقف الذي أملته عليه عاطفته القومية فوقف إلى جانب المؤيدين لهذه الوحدة الحريصين على استمرارها ، وشارك في تلك الحقبة في تحمل التبعات التي نيطت به ، فتولى وزارة العدل مدة سبعة أشهر في العام الأول للوحدة ، ثم عهد إليه بحقيبة وزارة الخزانة فنهض بهذه المهمة وأداها على خير وجه إذ جعل إنفاق الأموال وقفاً على ما فيه مصلحة الدولة والأمة . وبعد زهاء ثلاث سنوات تولّى وزارة التخطيط في القاهرة ولكن عمله في هذه الوزارة لم يطل بسبب انفصام عرى الوحدة بين القطرين بقيام حركة الانفصال أواخر عام واحد وستين . وقد ظلّ ولاؤه للوحدة قائماً طوال عهد الانفصال وانقطع عن التدريس الجامعي وانصرف إلى مزاولة المحاماة . وبعد انقضاء هذه الحقبة عاود نشاطه السياسي فتولّى وزارة المال حقبة قصيرة ودّع بعدها العمل السياسي وانصرف إلى التدريس الجامعي خارج القطر السوري ، فتعاقد أولاً مع جامعة الرباط ثم تعاقد بعد ذلك مع جامعة الكويت وظلّ يمارس التدريس فيها خمسة عشر عاماً ، وقد تولى أثناء تدريسه في هاتين الجامعتين رئاسة قسم القانون الجنائي فيهما .

وفي عام ثلاثة وثمانين رغب إلى جامعة الكويت عدم تجديد عقده على رغم إلحاح المسؤولين عليه فيها على الاستمرار في عمله لحرصهم على الاستفادة من علمه وخبرته القانونية . وعاد بعدئذ إلى دمشق ولكن نشاطه لم يفتر فقد انصرف منذ عودته إلى البحث وتأليف الكتب وكتابة المقالات وإلقاء المحاضرات .

بالإضافة إلى ما بينت من نشاط الزميل الكريم في مختلف المجالات لا يفوتني أن أشير إلى مشاركته في عدد وفر من المؤتمرات القانونية والسياسية والأدبية أذكر منها على سبيل المثال مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بلودان عام ستة وخمسين والمؤتمر الدولي لمكافحة الجريمة في جنيف عام خمسة وخمسين ومؤتمر الجامعة العربية المنعقد في القاهرة في العام نفسه والمؤتمر العالمي للقانون الطبي في بلجيكا عام تسعة وسبعين .

ألف الزميل الفاضل عدداً من الكتب القانونية يجاوز العشرة ، ومنها رسالة عنوانها : « الاعتداء على سلامة الدولة الخارجية » نال بها دبلوم القانون ورسالة موضوعها : « معاقبة الإجرام السياسي في التشريع المقارن » نال بها درجة الدكتوراه من جامعة باريس ، وقد نشرت في باريس وقدم لها الأستاذان هوغني Hugueney ودونيديو Donnedieu ، وقد طوّر هذه الرسالة فيما بعد ونشرها بالعربية وجعل عنوانها : « الإجرام السياسي » .

ومن مؤلفاته القانونية كذلك كتاب « أصول المحاكمات الجزائية » ، وهو مرجع ضخم لا يستغني عنه المختصون في هذا المجال ، وظنّي أنه ما زال يُدرّس في جامعة الكويت . ونشر كذلك عام ١٩٨٣ كتاباً عنوانه : « دراسات معمّقة في الفقه الجنائي المقارن » وقد أثني عليه كثير من الباحثين في القانون ، قال فيه مثلاً الدكتور حسن صادق المرصفاوي عميد كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية : « مرجع ندر أن يوجد مثله في اللغة العربية ، وإنه يحتوي على علم سيستمرّ نوره لأجيال وأجيال » . وقال فيه الأستاذ أسعد الكوراني نقيب المحامين في حلب : « إنها دراسات فريدة في موضوعها في اللغة العربية ، ودراسة رائعة خليقة بالثناء المستطاب عن حق » .

وعلى أنني بعيد في تخصصي عن المجال القانوني فإنني قرأت أكثر فصول هذا الكتاب واستمتعت بها حقاً لأنها مما يتّصل باهتمامات المثقفين

عامة . فقرأت بعناية الفصل الأول الذي يتناول ظاهرة تفاقم الإجرام في المجتمعات المعاصرة والذي تحدّث فيه عن أنواع الإجرام وموقف الباحثين القانونيين والاجتماعيين من الجريمة وتعريفها ، وأورد فيه آراء طائفة كبيرة من علماء القانون والاجتماع ، والفصل مزوّد بإحصاءات وافية تبين مدى تفاقم الجرائم في العالم . وأشهد أنني استمتعت بقراءة هذا الفصل واكتسبت منه اطلاعاً على جوانب كنت أجهلها . كما أنني قرأت الفصل الذي عقده لعقوبة الإعدام والخلاف الناشب بين رجال القانون وعلماء الاجتماع بشأن إبقائها أو إلغائها . وقد عرض فيه الزميل الكريم آراء الفريقين بموضوعية تامة ثم أدلى برأيه الخاص الذي يؤيد فيه إبقاء هذه العقوبة في التشريع حين الحاجة إليها ، وهو يؤيد إلغاء عقوبة الإعدام في الجرائم السياسية باستثناء جريمة الخيانة العظمى للوطن ، ورأيه مقنع جدير بالتقدير . ومن الفصول التي قرأتها كذلك الفصل الذي عقده للقتل بدافع الرحمة (قتل المرحمة) وقد أورد فيه مختلف الآراء في هذا الضرب من القتل . وقد أعجبت كذلك بما جاء في الفصل الذي عقده لأصول تفسير القوانين الجزائية ووجوب تحري الدقة في تعريف مختلف ضروب الجرائم لتحاشي محاولة التلاعب في تطبيق القانون . ومن الأمثلة الطريفة التي ساقها على ذلك أن أحد المحامين طالب ببراءة موكله بائع الحليب الغشاش بحجة أنه لا يغشّ الحليب بالماء – كما ورد في نص القانون – وإنما يغشّ الماء بالحليب ، فهو يضع الماء أولاً ثم يصب الحليب فوقه .

ومن مؤلفات الدكتور حومد كذلك « المفصّل في شرح قانون العقوبات » وهو مرجع ضخم يقارب عدد صفحاته الألف والمئتين ، وقد شرحت فيه النظريات العامة التي اشتمل عليها قانون العقوبات مدعمةً بأحكام القضاء السوري والمقارن . ومن مؤلفاته كذلك كتاب : « الإجرام

الدولي « وهو يتضمن شرح الجرائم الدولية التي اكتسبت طابعها القانوني إثر محاكمات نورمبرغ وطوكيو والتي استهدفت سلام البشر ، ومنها الجرائم التي عرفت بجرائم الحرب ، وهو كتاب لم يؤلف في موضوعه أحد من الباحثين العرب .

وثمة مؤلفات أخرى تتصل بالقانون الجنائي المغربي وقانون الجزاء الكويتي . هذا فضلاً عن العشرات من المقالات التي نشرت في مختلف الدوريات العربية كمجلة « العربي » و« عالم الفكر » وهي تتناول موضوعات قانونية وأدبية وسياسية واجتماعية .

هذا تعريف موجز بالدكتور حومد الباحث القانوني ، بقي أن أتحدث عن حومد الإنسان والصديق ، فقد أسعدني الحظ بصحبته سنواتٍ ، يوم كنا ندرّس في جامعة الكويت ، وأشهد أنني نعمت بصحبته صديقاً وفاقاً ، حلّو المعشر ، عفّ اللسان ، كريماً مضيافاً ، يطمئن المرء إلى سموّ خلقه وصفاء دخليته وكريم خلاله ، كما عرفت فيه الالتزام الصارم بواجباته المسلكية ، والتشبّث العنيد بالمبادئ الوطنية والخلقية التي انطوى عليها ، وهو لا يحيد عنها مهما تكن المغريات والمؤثرات ، فأنعم به أحياناً فاضلاً وصديقاً عزيزاً ، وأهلاً به زميلاً مجتمعياً كريماً .

خطاب الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

في حفل استقباله

بين يدي هذه الكلمة :

اسمحوا لي أيها السيدات والسادة :

- ١ - أن أعرب لكم عن خالص الامتنان لتفضلكم بحضور هذه الأمسية ، تكريماً منكم لرجال العلم .
- ٢ - وأن أخص صديقي العزيز الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص بأصدق آيات الشكر والعرفان على كلمته الكريمة . وما قاله في شرف لا أدعيه ، وثهّم لا أبرئ نفسي منها .
- ٣ - وأن أشكر أخي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، نائب رئيس المجمع ، على ترحيبه الجميل بي .
- ٤ - وأن أوجه تقديري العميق للزملاء الأفاضل من أعضاء المجمع الذين انتخبوني بإجماع أصواتهم لأكون واحداً منهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها السيدات والسادة :

حين بدأت بقراءة مؤلفات المرحوم الدكتور شكري فيصل وأبحاثه الغزيرة ، لأتكلم عنه وفاءً بحقه عليّ ، حسبت أنني أجالس الصديق الهادئ ، صاحب الطلعة الصافية والنظرات العميقة التي لا تكاد تخفي قلقها ، وصاحب الصوت الخفيض الناعم والتفكير السديد .. ولكن ما إن انتهيت من مطالعة ما دمجته يراعته ، حتى أدركتُ أنني على متن زورق فوق بحر محيط ، أنس إلى هدوء السطح وأحلامه فلما اجتذبه أولى الموجات عن شاطئ السلامة ، أخذ يُحسُّ بما في الأعماق من تلاطم تيارات وتصادم انفعالات ... عندها أحسست بجسامة العبء وثقل المسؤولية .. ولكن الذي أغراني بعدم النكوص على عقبيّ ، شعورٌ دفين بأنني لست غريباً تماماً عن هذه الأجواء الأدبية ، التي تقلبتُ في أحضانها زمناً ما ، قبل أن تنتزعني من جناتها الوارفة وأنغامها الشجية ، صرامة القانون وتجهُّم قسامات مواده المستعصية ، التي لا تنشر الدفء دوماً في النفس ...

وأحب أن أعرفكم بحياة الدكتور شكري تعريفاً موجزاً ، لأن باحثين أخياراً من أخوانه كتبوا عنه وأجادوا بحيث وجدتي أتساءل : هل غادر الشعراء من متردم ؟ ثم أتبسّط في تعريفكم على إنتاجه الغني ..

ولد الدكتور شكري - كما يتحدث عنه الدكتور عدنان الخطيب في دراسته عنه^(١) - لأب أصله من مدينة حمص ، هو المرحوم عمر فيصل ، جاء إلى دمشق قبل الحرب العالمية الأولى واستقر في حي العقيبة وتزوج إحدى بنات الحي ، فولدت له المرحوم الدكتور شكري عام ١٩١٨ وكان أخوها من أفاضل المربين في دمشق ، وكان يدير مدرسة ابتدائية في حي المسكية . ومات أبوه وتركه وحيداً ، فامتدت إليه بالرعاية يد خاله ، فاحتضنه ونشأه في بيته وزوجه ابنته الأستاذة الفاضلة « أم معتز » . وقد بقي طيلة حياته يشعر بعاطفة من العرفان نحو هذا الخال ، وعبر بصورة حسية عن هذا الشعور ، فأهدى إليه كتابه الرائع « المجتمعات الإسلامية » بقوله :

« إلى روح نخالي محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين ، أهدى هذا الكتاب . فهو رُوح من رُوحه ، وعَبَق من عبقه ، وفاءً ببعض حقه وإيماناً بفضله » .

وخصلة الوفاء هذه ظلت « فيضله » المميز طيلة حياته في علاقاته بأساتذته خاصة وبأصدقائه ... وكأنا لقي من بعض أصحابه ما لا يحب في بعض الأحيان ، فسالت مرارته على قلمه تشكو إلى الله تنكراً المتنكرين ... وأتم دراسته الابتدائية في مدرسة معاوية ، ثم انتقل إلى مكتب عنبر وهو المدرسة الثانوية الوحيدة التي كانت إذ ذاك في دمشق . وقد تلقى العلم فيها من أساتذة أجلاء ، كانوا في تلك الأيام ملء السمع والبصر ...

وقد حصل على الشهادة الثانوية بقسمها العلمي عام ١٩٣٦ والفلسفي عام ١٩٣٨ وبذلك جمع بين الحسنيين : تنظيم العقل وتذوق الأدب ..

(١) الدكتور فيصل وصداقة خمسين سنة .

وانتسب إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فحصل منها على الشهادات التالية :

- ١ - الإجازة في الآداب عام ١٩٤٢ بدرجة الإمتياز .
- ٢ - الماجستير في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٤٨ .
- ٣ - دبلوم معهد اللهجات العربية « قسم اللغات الشرقية » عام ١٩٤٩ .
- ٤ - الدكتوراه في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٥١ .

وعلاوة على هذه الشهادات الأدبية الرفيعة ، وجد رحمه الله وقتاً كافياً ليدرس الحقوق ، في كلية الحقوق بدمشق ، ويظفر بشهادتها عام ١٩٤٦ ، وهي السنة التي عينت فيها أستاذاً في هذه الكلية . وحين توثقت علاقاتنا بعد سنوات لم ينس أبداً أن يتزلي في تعامله معي ، منزلة واحد من أساتذته !..

وقد أهلتته مؤهلاته العالية لتبوء كرسي الأستاذية في كلية الآداب بدمشق منذ عام ١٩٥٢ . ومن سدة هذا المنصب أخذ إشعاعه الأدبي يغزو قلوب طلابه في الكلية وأقنعة الأدياء والمتأديين المعجبين بقلمه وفكره من خارج الجامعة ، سواءً في محاضراته النفيسة التي كان يلقيها على رجال الأدب والعلم في المؤتمرات أو الحلقات أو الندوات ، أو ما كانت تنشره له المجلات الأدبية المتخصصة .

وقد مثل سورية في مؤتمر الأدياء العرب الذي عقد في بلودان عام ١٩٥٦ ، وفي مؤتمر القاهرة عام ١٩٥٧ . وفي تلك السنة مثل بلدنا في مهرجان أحمد شوقي ، وحاضر عن « نثره » ، كما مثلنا في مؤتمر الأدياء العرب في الكويت عام ١٩٥٨ وألقى فيه محاضرة بعنوان :

« البطولة في الأدب العربي الحديث منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة » .

وتعود بي الذاكرة إلى ذلك المؤتمر الأول للأدباء العرب الذي عُقد في بلودان عام ١٩٥٦ ، والذي كان أول مؤتمر يحضره المرحوم ممثلاً لبلده .. فقد كان عليّ أن أسمى أعضاء الوفد السوري ، بوصفي وزيراً للمعارف .. ولم تكن المهمة يسيرة : فقد كان في الوفد المصري طه حسين وأحمد رامي ويوسف إدريس وأمينة السعيد وفي الوفد العراقي محمد بهجت الأثري وبدر شاكر السياب وفي الوفد اللبناني ميخائيل نعيمة وقسطنطين زريق .. وكانت السعودية ممثلة بخير الدين الزركلي ... وشُكّل الوفد السوري من الأساتذة خليل مردم بك وفؤاد الشيايب وبدر الدين الحامد وأسعد طلس ... وشكري فيصل .. وعدد من الأدباء .

ولم يتكلم في المؤتمر من الوفد السوري غير الأستاذ فؤاد الشيايب عن « الأديب والدولة » والدكتور شكري فيصل الذي ناقش محاضرة الشيايب .. عن « وسائل تعريف العرب بنتائجهم الحديث » .

وهنأته على كلمته .. وكانت تلك مناسبة حلوة لتعارفنا الأول ... ويطول بي الكلام لو أنني عدت المؤتمرات والندوات الأدبية والثقافية التي حضرها .. على ما فيها من استفادة وإفادة ، ولكني أذكر أنه ظل ملحقاتاً ثقافياً مدة عامين في القاهرة عمل خلالها في الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية مع الأستاذ أحمد أمين والأستاذ ساطع الحصري ، وبعد عودته إلى دمشق ، عيّن في لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف . وكانت هذه اللجنة تخطط لبرامج التعليم وتراقب الكتب المدرسية .. وكنت أنظر إليها نظرة تقدير واحترام لأنها كانت الرأس التي ترسم للتعليم مساره في البلاد .

وهكذا فمنذ أولى درجات السُّلم كانت تناط بالدكتور شكري الأعمال الحساسة ... وكان يقوم بأعبائها بكفاءة تدعو إلى الاعتزاز :
وما الحدائث عن حلم بمناعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

ولم يقف إشعاعه الثقافي الفذ عند حدود الوطن الصغير ، فقد مَدَّ فيه بعيداً حتى عم أكثر بقاع الوطن الكبير ، وأتاح لأبناء جلدتنا من مشرق العروبة إلى مغربها أن يَنْهَلُوا من عطاء عبقريته . فقد حضر كأستاذ زائر في جامعات فاس ووجدة ومراكش والجزائر وطرابلس واليرموك وعمان والرياض وبيروت والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .. وفي مقامه في جوار قبر المصطفى لقي ربه ودفن إلى جوار النبي الذي أحبه حباً أخذ عليه مجامع قلبه ، عام ١٩٨٥ ...

وقد عرَفَتِ المحافلُ الثقافية قدرَه فاختر عضوًا في مجمع اللغة العربية الأردني ، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان والمجمع العلمي العراقي وبيت الحكمة في تونس .. وكان واسطة العُقد في مجمعنا وأميناً لسره ...

وقد تفجَّر من هذه الفعاليات الثقافية فيضٌ من الدراسات التاريخية الإسلامية ومجموعة نادرة من المؤلفات والأبحاث الأدبية والاجتماعية أُعْرِضُ لها دون أن أتعلم في مضامينها مراعاة للوقت ، فيما يلي :

أولاً - الدراسات التاريخية الإسلامية

درس الدكتور شكري « حركة الفتح الإسلامي » دراسة جديدة لا تقتصر على دراسة النصوص القديمة واختيار أفضلها والتعليق عليها ، كما يفعل المؤرخون في العادة .. لأنه اختار في دراسته طريقةً حديثة متأثرة بأسلوب البحث العلمي الحديث . وقد أشار إلى هذا التجديد في مقدمة كتابه الثاني « المجتمعات الإسلامية » فقال :

« واستقر عندي أن موضوعاً يَعْرضُ لدراسة الفتح الإسلامي وتكون غايته البعيدة أن يبلِّغ آثاره من حيث التطور اللغوي والأدبي في المجتمعات الإسلامية ، يجب أن يقوم على دعامتين : أولاهما من التاريخ نفسه والثانية

من علم الاجتماع وعلم الاجتماع اللغوي بوجه خاص .. واني إن لم أفعل ذلك ، لم يكن الموضوع إلا تلاعباً بهذه الحفنة من الأخبار والروايات التي تُديرُ الحديث عنها كتبُ الأدب واللغة ... » .

وهكذا جاء كتابه التاريخي الأول « حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول » دراسةً نفيسة لم تكتف بعرض قصص المعارك وسرد الانتصارات ، بل إنه خرج فيها من المجال العربي إلى الأفق العالمي فأخضع النصوص إلى ما يسير عليه العلماء المتطورون من تحليل واستقراء دقيقين .. وعلى سبيل المثال فإنه بحث في فتوح الشام موقفَ عرب الشام وموقف الروم وموقف النصارى من الحركة العسكرية الإسلامية القادمة من الجنوب . وانتهى إلى القول بأن « الحرب اتخذت شكلاً دينياً واضحاً .. وكان مما لجأ إليه الروم أنهم استشاروا مشاعر الجماعة الدينية واستثمروا في ذلك رجال الدين أنفسهم . والتفاصيل التي وردت في روايات بعض المؤرخين تُطلِّعنا على أن قواد الروم كانوا يُقدِّمون أمامهم الشمامسة والرهبان والقسيسين يُغرُون الجند ويَحْضُونَهُمْ على القتال . ولا يختلف موقف نصارى الشام في مقاومتهم الفتح الإسلامي عن مقاومة الروم له . وهذا طبيعي كما يقول . فالإسلام دين جديد يدعو إلى غير ما تدعو إليه الديانةُ السائدة في الشام آنذاك ، وليس غريباً أن يقفوا في وجهه دفاعاً عن معتقداتهم الراسخة .. واذن فليس هناك أهمية تذكر لما يقال عن خلاف بين الكنيسة السورية التي كانت تقول بأن للمسيح عليه السلام طبيعةً واحدةً ، وبين الكنيسة البيزنطية التي تؤمن بما أقره مجمع خلقدونية عام ٤٥١ ميلادية من أن للمسيح طبيعتين : إلهية وبشرية ...

ومن المؤكد فإن إثبات الحقيقة ، ولو كانت مرةً المذاق ، أثنى في نظر العالم المتبئ من أحاديث المجاملة التي تدغدغ بعض الأحلام ، لأهداف غير علمية ولكنها تسيء إلى الحق والتاريخ ..

وعلى كل حال ، فإن كتاب « حركة الفتح الإسلامي » هذا ، دراسةٌ تمهيدية لنشأة « المجتمعات الإسلامية » التي تشكلت بعد الفتح في الشام والعراق ومصر والمغرب العربي والشرق الإسلامي . وهو الكتاب الذي حصل به على درجة الدكتوراة في الآداب . وهذا الكتاب الذي يقع في ٤٥٠ صفحة طبع خمس مرات حتى تموز ١٩٨١ . وقد أخذ المؤلف رحمه الله على عاتقه أن يغوص في أعماق تلك المجتمعات الحديثة غوصاً رقيقاً واعياً ، لأن الإسلام لم يُحطَّم نواميسها ونظمها وعقائدها وعاداتها ولم يقلبها رأساً على عقب بل سار فيها السير الواعي الذي أمر به الشرع في قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ وقوله ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ ؟ .

وقد تتبع حركة انتشار الإسلام المذهلة في أراضٍ متعطشة إلى نور المعرفة ، فجرّت وراءها حركة تعريبٍ واسعة . وواكبت حركة انتشار الإسلام ، حركة التعريب على نطاق واسع .. إلا أن هذه المواكبة اصطدمت في بعض المجتمعات الجديدة ، فقَصَّرت حركة التعريب عن حركة انتشار الإسلام . ومن خلال استقراءه الوقائع ، وجد المؤلف أن اللغة الفارسية قاومت اللغة العربية في بلاد الفرس مقاومة عنيدة . وقد أرجع فشل تعريب هذه البلاد إلى سببين : الأول أن المقاتلة العرب لم يكونوا يتجاوزون – يوم استُخلف سليمان بن عبد الملك عام ٩٦ هـ – على حد تقدير المؤرخ البلاذري ، وهو حجة موثوقة ، أربعين ألفاً من مقاتلة البصرة وسبعة آلاف من مقاتلة الكوفة وسبعة آلاف من الموالي . وكان من وراءهم من العرب في تلك البلاد لا يزيدون على أربعة أمثال هذا العدد .. وبذلك لم يكن العرب الموجودون في تلك البلاد يزيدون عن ربع مليونٍ فقط ، في وسط تلك الامبراطورية الواسعة ذات الأبحاد الفارسية التليدة والمعترزة بماضيها .

والذي يتتبع حركة التاريخ ، بعد الفتح الإسلامي إلى أزمدة متأخرة ، يلاحظ أن الفرس ظلوا على الدوام يرفضون الامتزاج بالعرب الذين اجتثوا قوتهم العسكرية في ميادين القتال ونشروا في بلادهم دينهم الجديد .. ومن مظاهر رفض الامتزاج ، أنه حين كانت غالبية العالم الإسلامي تدين بالمذهب الشيعي في ظل الدولة الفاطمية ، ومنها بلاد الشام ، كانت فارسُ سنيةَ المذهب ... فلما قضى الأتراك السُّنة على حركة التشيع بانتصارهم على المماليك عام ١٥١٦ ، عاد المذهب السني إلى بلاد المسلمين .. غير أن الصفويين الفرس غيروا من قناعاتهم وتبنوا المذهب الشيعي وفرضوه على أتباعهم بقوة الحديد ... لكي يظلوا مجتمعاً متميزاً عن المجتمع العربي ...

أما السبب الثاني في فشل تعريب فارس ، فهو انقسام الفاتحين العرب في فارس ، وتخاصُّمهم فيما بينهم ، الأمر الذي حملهم على الاهتمام بأمورٍ أخرى غير التعريب ..

ومع ذلك ، فإن القرون التالية سوف تشهد فرساً استعربوا وأصابوا حظاً عالياً من الثقافة العالية والتأليف في مختلف علوم اللغة العربية ..

وليس بدعاً أن تأخذ اللغة العربية عن لغات الشعوب غير العربية التي أسلمت كثيراً من ألفاظها ، فاعتنت بها ووسعت قاموس ألفاظها . كما أنه من طبيعة الأشياء أن يأخذ الفاتحون العرب من الشعوب التي أخضعوها كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم بسبب المعاشة المشتركة ، بعد أن كيَّفوها وَعَدَّلُوا فيها لتنسجم مع أحكام الإسلام ، الذي أصبح دينَ الدولة .. وقد كان للزَّواج المُختلَط أثر كبير في ولادة أجيال جديدة ، تشرَّبَت الواقعَ الجديد ونشأت في أحضانه ، كما كان للسيبي وعيش السبايا في بيوت الفاتحين العرب مثل هذا الأثر في تطوير العادات العربية .. وقل مثل ذلك عن عيش الجنود المقاتلة من عرب وغير عرب في ثكنات عسكرية عيشةً

مشتركة .. ويذكر التاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وُفِّقَ توفيقاً كبيراً في عدم تقسيمه الأراضي المفتوحة بين الغزاة العرب باعتبارها من الفياء ، ولكنه - على حد قول الدكتور شكري - لم يوفق في الحد من اصطناع السبي ، خاصة وأن الإسلام شجع كثيراً على عتق السبايا وجعل ذلك قرى من الله ، واعتسب المحررات كالعريبات زوجات مؤمناتٍ هن ما لسائر الزوجات المؤمنات من حقوق كاملة ..

وكان من آثار هذا الإختلاط تسرّب اللكنة الأعجمية إلى الألسنة . فالصاأ مثلاً عسيرة اللفظ على الأعاجم ، فكانوا يلفظونها سينا . فيقولون : (ما تسناً بدلاً من : ما تصنع ..) . وكانوا يخطئون في تركيب الجمل نفسها حتى لتستعصي على الفهم . ويروي صاحب البيان والتبين (ج ٢ ص ٢١٣) أن امرأة من الأعاجم قالت لولدها : « جردان دخل في عجان أمك » تريد أن الجرذ أكل من عجينا .. وهذا وضع طبيعي ولا عيب فيه ، فنحن حين درسنا اللغات الأجنبية ، كنا نرتكب مثل هذه الحماقات .. غير أن كثرة الأعاجم واختلاطهم القوي بالعرب ، أثرا في اللغة العربية أثراً سيئاً ..

وقد عرفت حركة الفتوح أدباً جديداً تمثّل أكثر ما تمثل في تمجيد البطولات في خوض المعارك ورفع راية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ونشر الدعوة .. ولكن حين تدخّل السيوف في أعماها ، ويضمّد المقاتلون جراحهم في أرض الغربية يأخذهم الحنين في هدأة الليل إلى الأب والأم والزوجة والولد في أرض الوطن ، فيترجمون عواطفهم هذه بأبيات أو قصائد أخذت تعرف بشعر المواجهد .

غير أنه بعد أن يتحقق النصر ويسود السلم ، عن رضى أو عن كره ، تكون الهجمة العسكرية قد حققت أهدافها .. عندها يأخذ المقاتل

بالاندماج في الحياة المدنية .. ويُخَلِّدُ إلى راحة الأسرة ، التي أنشأها كثيرٌ من العرب في أرض الغربية .. وعندها تعود الشاعرية إلى القلوب تُحْفِرُ في ثناياها مساربَ لينابيع صافيةٍ تترقق على جنباتها شعراً غزلياً ناعماً متأثراً برقة البيئة الجديدة ، وهي على كل حال بيئةٌ بعيدة عن بكاء الأطلال وبعر الآرام أو مراجيع الوشم في نواشر المعصم .. غير أن السياسة ما لبثت أن حركت عقاربها ، في صورة أشعار نظمتها الفرق الدينية في الدعوة إلى مبادئها ..

ثانياً – المؤلفات الأدبية

في نطاق فعاليات الدكتور شكري الأدبية ، نجد كتابين من أجمل وأصفي ما دجته براعته ، وهما :

- ١ – مناهج الدراسة في الأدب العربي .
- ٢ – تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام .
وإلى جانبها نجد له :
- ٣ – أبحاثاً أدبية كثيرة .
- ٤ – تحقيق بعض الكتب القديمة ونشرها .

وسوف أتناول تباعاً وبإيجاز هذه الأعمال في أربعة مباحث ، هي التالية :

١ – مناهج الدراسة الأدبية

خصص الدكتور شكري هذا الكتاب النفيس لدراسة « مناهج البحث في أدبنا العربي والطرائق التي غلبت على الدراسات الأدبية والنظريات التي تتحكم فيها من ورائها ، فتوجهها هذه الوجهة أو تلك » ، كما يقول .

ومرتكز بحثه أنه « خير للأدب أن ينطلق فيسعى إلى منهج جديد يضبط دراسته ويوحد وجهته ويجعله ينشد وجدانه في هذه المدارس الفنية

العميقة بدل أن ينشدها في مظاهر خادعة من وحدة العصر أو وحدة المنشأ والوطن أو وحدة الغرض والموضوع .. » .

والذي أقلقه وجعله يفكر في واقع دراسة الأدب العربي ، التي لا تزال ضئيلة الحظ من النماء ، قليلة النصيب من النضج « أن الدراسات الإنسانية الأخرى تتقدم ... أما درس الأدب فلا يزال في مكانه من البساطة حيناً والغموض حيناً آخر ... » .

وعلة هذا التأخر ترجع إلى فقر المناهج .. ومن هذا المنطلق خصص هذا الكتاب لدراسة ست نظريات تعاورت دراسة الأدب العربي حديثاً ، لكي يخلص من هذه الدراسة الشاملة إلى المناداة بطريقة جديدة أخذت عليه مجامع قلبه ..

وفيما يلي نظرة موجزة في هذه المدارس مستقاة من دراسة الدكتور شكري :

١ - النظرية المدرسية

وهي تقسم الأدب العربي إلى خمس مراحل متطابقة مع تقسيم العصور السياسية . وأبرز ممثليها أحمد حسن الزيات والشيخ أحمد الإسكندري . وبموجبها يقسم الأدب العربي إلى عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام والدولة الأموية وعصر الدولة العباسية بما فيه الأدب الأندلسي ، وعصر الدول المتتابعة ، وربما تُخصَّص عصر النهضة الأخيرة بتسمية مستقلة .

ويأخذ الدكتور شكري على هذه المدرسة أنها تربط بين السياسة والأدب وتعلي كثيراً من شأن العامل السياسي . كذلك فإنه يلومها على هذه المطابقة غير الصحيحة بين العصر السياسي والتيار الأدبي الذي لا يمكن أن يُحدَّ ببدء عهدٍ سياسي وانقضائه .. لأن الأدب لا يمكن أن يكون ظلاً لنوازع السلطان وأصحابه .. وإذا كان صحيحاً وميسوراً أن نقول إن الدولة العباسية قامت عام ١٣٢ هـ ، فإن من الصحيح أيضاً أن

نقول إنها كانت في أذهان بني العباس منذ أن اختلف المسلمون في سقيفة بني ساعدة واستمرت حية في قلوبهم حين اشتبكت قوات علي ومعاوية .. وإذن فعام ١٣٢ هـ . ليس أكثر من الميلاد الرسمي للدولة العباسية ، وهو تاريخ لا يمكن أن تلتزم به الدراسة الأدبية ، كبداية عهد جديد للأدب ..

كذلك يؤخذ على هذه المدرسة تشبثها بالعامل الزمني ونسيانها أثر العامل المكاني . وهو فرق نلمسه في التباين بين شعر البادية وكتبان الرمال والدَّمن وبين الشعر المتردد في جنان الشام وأرض السواد ودجلتها وأنفاس الحضارة في بساتين قرطبة ووادي آش ..

وقد نبذ المؤلف هذه النظرية لأنها أصيبت بالجمود ووقفت بالدراسة الأدبية عند القمم الشاخنة من كل عصر ، دون أن يكون للمقلين كبير نصيب من الدراسة والاهتمام .. في حين أن دراسة واحد من المقلين النوابغ تكشف حسب تعبير الدكتور شكري « عن كثير من الخبيء المستغلق في تاريخنا الأدبي » .

وإذا كانت هذه النظرية قد أدت خدمة جلي لدراسة الأدب ، بأن أقامت له بنياناً كان جديراً بالإعجاب : فإن من حق التطور أن يسعى إلى إقامة بنيان جديد على أنقاض بنيان لم يصمد لضربات الفكر ، يكون من شأنه تفادي عيوب النظرية المدرسية .

٢ - نظرية الفنون الأدبية

يبدو أن أول من حاول بذر بذرة هذه المدرسة ، المرحوم جرجي زيدان . وقد كان هذا الباحث الكبير طليعة أصحاب النظرية السابقة ، غير أنه عمد في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » إلى تبني أسلوب غير أسلوب التقسيم التاريخي ، ويعتمد الأسلوب الجديد - أو النظرية الجديدة - إلى اعتماد تقسيم النشاط الأدبي على مواضيعه أي فنونه المختلفة ، كالحماسة

والغزل وشعر الطبيعة والفخر والهجاء والتصوف ... وحين ندرس واحداً من هذه الفنون فإننا نكون ملزمين حكماً بدراسة المشاهير الذين نبغوا في هذا الفن ، وكذلك الأدباء الذين لم ينالوا درجة عليا من الشهرة ، حتى يتاح للباحث الإحاطة بجميع عناصر هذا الفن ويستوفيّه . وبذلك ينال المغمورون حقهم من الدراسة ...

ولكن الدكتور شكري يأخذ على هذه النظرية أنها تهتم بالفن ، وتهمل الفنان ، أي الشاعر أو الناثر ، فلا تُعنى بشخصيته أو سيرته الذاتية بصورة مقبولة ..

كذلك فإن الشعر القديم لم يكن يعرف وحدة القصيدة ، إذ كان الشاعر يجمع في قصيدة واحدة مجموعة من الفنون المتعددة المواضيع ، مثل البكاء على الأطلال ومدح الجواد ووصف الحرب وأبطالها وآثارها المدمرة .. والفخر بالقبيلة . ودم المناوئين .. وربما ضمنها أيضاً بعض مواعظ استقاها الشاعر من حياته الطويلة وخبرته العملية ...

ولم يستقم أمر هذه النظرية ، فقال قائلون بنظرية أخرى ، هي :

٣ - نظرية الجنس

مرتکز هذه النظرية أن العرب حملوا راية الإسلام من جزيرتهم إلى بحر الظلمات فأكناف الصين .. كما حملوا إلى هذا العالم الفسيح اللغة العربية .. وكان في هذا العالم أقوام أخرى ، كانوا موجودين في أماكنهم قبيل الغزو الإسلامي وهجرة الفاتحين العرب إليهم .. وأسلم كثيرون من أبناء هذه الشعوب وساهموا في بنیان الحضارة الإسلامية .. منهم عن قناعة ومنهم عن مصلحة ..

ويشهد التاريخ على أن هذه الشعوب لم تُدب في البوتقة العربية ، بل ظلت تحتفظ بجذورها وكثير من رواسبها النفسية والثقافية والمذهبية ..

ومن منطلق هذه الفوارق العرقية ، دعا بعض الباحثين إلى دراسة الأدب العربي على أساس الأجناس .. فندرس الأدب العربي الذي تفرد به الأدباء العرب ، وندرس الأدب العربي الذي صاغه الأدباء الفرس بالعربية ..

ولم تظفر هذه الدعوة باستجابة جدية ، لأنها تنطلق من مفهوم غامض هو أثر الوراثة العرقية في النتاج الأدبي .. كذلك فإن الإسلام ساوى بين المسلمين في الحقوق والواجبات ، ولم يضيق في الزواج على عرق دون آخر .. فالمسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم .. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى .. وقد اندمج المسلمون بعضهم في بعض اندماجاً واسعاً ، بحيث لم يعد ميسوراً القول بوجود شاعر من عرق صاف ، وآخر من عرق هجين .. فقد تصالبت الأعراق تحت لواء الإسلام ، وأخذ قول الرسول الأعظم مداه الأوسع مع مرور الزمن : « يا بني هاشم لا يأتوني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم .. » .

٤ - واستعرض الدكتور شكري بعد ذلك النظرية الثقافية ، التي تتطلب دراسة الأدب العربي بعد أن امتزجت الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية كالفارسية واليونانية والهندية .. ومن أبرز نماذجها امتزاج الثقافة العربية والثقافة الفارسية في عبد الله بن المقفع ، وامتزاج الثقافات العربية والفارسية واليونانية في الجاحظ .. فقد حذق كثير من الأدباء ، وخاصة الفرس منهم الأدب العربي والأدب الفارسي ، فجمعوا بين محاسن الثقافتين . وهكذا نشأ أدب جديد يحمل خصائص مشتركة ومزايا جديدة ، هي أثر لهذا التزاوج الثقافي .

وينقل الدكتور شكري هذه الواقعة المعبرة . قال : يروى أن الرشيد أوصى أستاذه أبنائه الكسائي بما يلي : « يا علي بن حمزة : قد أحللتناك المحل

الذي لم تكن تَبْلُغُهُ همتك ، فروّنا من الأشعار أعفّها ومن الأحاديث أجمعها لمحاسن الأخلاق ، وذاكرنا بآداب الفرس والروم .. « . مما يعني أن دراسة الأدب يجب أن تُعنى عناية خاصة بدراسة الثقافات المختلفة التي تعاونت على الإنتاج الأدبي .

ونظن أن هذه النظرية تأخذ اليوم مداها الواسع في اختلاف المناهل الأجنبية التي ينهل منها أدباؤنا ومفكرونا أثناء دراساتهم في الجامعات الأجنبية . فجماعة السوربون يتحسسون برقة الأدب الفرنسي وجماعة اكسفورد يتذوقون عذوبة الآداب الإنكليزية ، والذي درسوا في جامعات الاتحاد السوفيتي يستطيعون كتابات تولوستوي وديستوفسكي .. وهؤلاء وأولئك ينقلون إلى بلادهم وتلامذتهم روائع ثقافتهم الأجنبية .. وعن التفاعل الثقافي بين الثقافات المتعددة ينشأ أدب منفتح على أرجاء الأرض ..

ومع ذلك فإن الدكتور شكري لا يستمسك بهذه النظرية ، لأن التركيز في نظره على تضافر الثقافات يظل ناقصاً لأنه يتشبث بالقوالب المادية ويهمل شخصية الأديب ونفسيته . ومن أبرز عوامل الشخصية ، **العاطفة والخيال** . فهي نظرية تظلم الأديب « لأنها تهدر أثره الفردي في الإبداع الفني » .

وإذن فالنظرية الثقافية تصلح لدراسة تطور الحضارات واستقراء عناصرها المتمثلة في تزاوج الثقافات ، ولكنها لا تصلح وعاءاً لدراسة الأدب بصورة عامة ، والأدب العربي بصورة خاصة ...

٥ - نظرية المذاهب الفنية

هذه نظرية مغربية ، موضوعها دراسة الأدب العربي وفق اسس الناحية الفنية التي تسود في عصر من العصور الأدبية .

فابن رشيقي مثلاً ، وهو من قدماء مؤرخي الآداب ، حاول أن يصنف الشعراء في أربعة زمر :

شاعر خنثيد ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره .

وشاعر مُفلق ، وهو مجوّد إلا أنه لا يروي لغيره .

وشاعر فقط ، وهو فوق الرديء بدرجة .

وشعرور ، وهو لا شيء .

ويأتي من المعاصرين الدكتور طه حسين ليبرز هذه المدرسة في كتابه الأدب الجاهلي . فهو يدرس زهيراً وأوس بن حَجْر والحطيئة وجميل بن معمر ، ويرى أنهم يشكلون مذهباً فنياً واحداً ومتكاملاً ، وخاصية هذا المذهب أنه يهتم باللفظ الرصين ويعتني بالأسلوب المتين ويجوّدُه ويحفلُ بالعناصر المادية للتشبيه ..

ويمكن الاستفادة من هذه المدرسة في التعرف إلى الشعر المنحول . وهذا أمر مهم جداً ، لأن الشعر العربي لم يُدوّن إلا بعد حياة الاستقرار ، بعد الفتوحات الكبرى .. وحين بدأ التدوين تدخلت العصبية القبلية والعصبية الشعوية لاختلاق شعر مكذوب ينسبه مخترعوه إلى شاعر من الشعراء القدامى ..

فإذا طبقت النظرية الثقافية على شخصية شاعر وعرف الباحث عناصرها الإبداعية والفكرية ، جاز لنا أن نقول عن أبياتٍ إنها من شعره أو أنها منحوّلة عليه . ولكن هذا القول يصح من الناحية النظرية . أما من الناحية العملية ، فالجزم بنسبة الشعر إلى الشاعر لا يخلو من مجازفة غير مضمونة !.. ثم إنها كما ينتقدها الدكتور شكري تجازف بأن تنقلب الوسيلة عندها هدفاً والهدف وسيلة ، فتصنف المدارس الأدبية أولاً ثم تحاول أن

تقيس بها الأدباء ثانياً وبذلك تنقلب إلى عمل خيالي فيه مجال كبير للظن ..

وهذا سبب يكفي للتخلي عنها والبحث عن منهج آخر ، أو نظرية أخرى ، هي :

٦ - النظرية الإقليمية

ومؤداها أن تدرس الآداب ، لا ككل في البلاد الناطقة بالعربية ، وإنما وفق التقسيمات الإقليمية ، فهناك الأدب المصري ، والأدب السوري والأدب المغربي . فمثلاً أحمد الإسكندري قسم دراسة الأدب العربي إلى قسمين :

حالة اللغة العربية وآدابها في الممالك الشرقية .

وحالتها في الممالك الغربية .

ويقول جرجي زيدان : « من القواعد الثابتة في علم الطبيعة أن للإقليم تأثيراً في أخلاق الناس وأبدانهم فيختلفون صحة ونشاطاً وبديهة وذكاء باختلاف الإقليم .

وبناء على اختلاف الأمزجة باختلاف الإقليم فقد امتاز كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر . فاشتهر أهل الحجاز بالرقعة وأكثر شعرهم الغزل ، واشتهر أهل نجد بالبلاغة ، وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب .. » .

وعلى هذا الأساس قسم الشعراء إلى سبعة أقسام بحسب مواطنهم : شعراء مصر والشام والعراق والجزيرة وفارس والأندلس والمغرب وجزيرة العرب .

وكان من حظ الدكتور شكري أن الذي أشرف على رسالته هذه أستاذ عرف بتشده الإقليمي هو الأستاذ أمين الخولي . ولكن عناد الأستاذ

لم يستطع ليّ زند الطالب ، فكان أن تابع الدكتور شكري سيره في نظريته القومية إلى الأدب العربي .

وللأمانة فأنا علّمتُ طيلة حياتي أهمية البيئة الإقليمية في حركة الإجرام بعد أن استهوتني لفترة نظرية الوراثة .. ولكن شتان بين الانحراف الخلفي من البيئة الفاسدة ، وبين حركة ابداع منطلقة من روح شاعرية تتحسس بالواقع دون شك ، ولكنها تظل تحوم في الأجواء العليا ، التي هي مواطن الوحي والإلهام ..

وتعود النظرية الإقليمية في جذورها الأدبية إلى الفرنسي الأستاذ Taine ، ومنطلقها قاعدة مادية هي أن لكل واقعة سبباً ، ولكل نتيجة مقدمة . ولكن إذا صح تفسير القوانين المادية بهذه الحتمية المتزمتة ، فإن في الحياة الأدبية نوازع وأخيلة وعواطف وإلهامات تتمرد على كل القيود والقوالب المادية .. وفي أيامنا نجد بروز نظرية نفسية في تحليل الإجرام ، إلى جانب نظرية البيئة التي يرفع لواءها عالياً الأستاذ الأمريكي سذرلاند .. وإذن فالعناصر الذاتية تبقى في حياة الأدب أقوى المؤثرات الإبداعية ...

ونحن الذين نشأنا على الإيمان بوحدة العرب ، نشعر بشيء من الصدمة والإمتعاض حين يراد أن يفرض على مشاعرنا مفهوم إقليمي لا يمكن أن تستسيغه نفوسنا .. وعلى أساس هذه النظرة ، قلب الدكتور شكري ظهر المحن لهذه النظرية أيضاً ..

إذن ، طالما أن كل هذه النظريات التي عرضنا لها لم تقنع المرحوم ولم تقنعنا من بعده أيضاً ، فهل يجب أن تظل دراسة الأدب بدون منهج مقبول تسير عليه ؟ والجواب ! أبداً .. لقد نادى الدكتور فيصل بمنهج جديد ، خصص له القسم الأخير من كتابه .. وقد أوجز تعريفه له بقوله :
« وحدة في الهدف وكثرة في الوسائل » .

وهذا المنهج يدعو إلى الافادة من النتائج التي وصلت إليها المدارس السابقة والحقائق التي توصلت إليها .. بحيث إنها تتعاون وتتضامن تضامناً مثمراً ، دون أن يخلط المنهج الجديد بين تلك المدارس أو يمزج بينها مزجاً أعمى ..

وهو يُتقى على كل نظرية ، ويعمل على الانتفاع بما حققته ، مع بقاءه مخالفاً لها في الأصل ..

وهو يعترف بأن هذا « المنهج الجديد » ليس منهجاً جديداً كل الجدة « ولكنه هذا التفاعل الذي تحققه المناهج المختلفة بعد توجيهها ولفتها هذا اللفت الخاص والخروج بها من منطقة الاستثثار الضيق بالدراسة الأدبية ، إلى منطقة التعاون الواسع » (ص ٢٢٦) .

« ... إنه نوع من التركيب الذي يعتمد الإبداع وأسلوب الجمع الذي يستند إلى الخلق » .

ولست أدري إذا كانت المناسبة مواتية هنا ، لأتساءل : عما إذا كان الدكتور شكري يدعو إلى مذهب انتقائي بين المذاهب الأدبية *éclectisme* نحن نتبناه في نطاق العلوم الجنائية ، وقد علمناه في الجامعة قرابة نصف قرنٍ خاصة بعد أن استقرت النفس وهدأت ثورة الشباب وجموحه ...

وهذا ما انتهى إليه :

« نحن نرحب بدراسة أثر الأقاليم الإسلامية في أدبها .. ونحن نفرح بالتعرّف الصادق إلى خصائص الجنس عند شاعرٍ أو كاتب .. ونحن نُكبر دراسة الثقافات وتفاعلها وما أَلَقَتْ على الأدب من ظلال وما أَعَدَّتْ عليه من فكر . ونحسُّ لذلك الأثر في نشأة مذاهبٍ فنية جديدة ، ونحن نتناول الدراسة الزمنية وما يكون من هذه الصلة بين الشعر والسياسة .. ومن هنا لم يكن المنهج الجديد قسماً للمناهج السابقة ولا خصماً لها ، ولكنه توجيهٌ

وتتويج لها وتركيبٌ بيدع النتائج التي تصل إليها .
ولكنه يشترط أن تُعتبر القضية الأدبية أصلاً ، فلا تكون مثلاً مرتبطةً
بعجلة السياسة ، كما يبدو من تعاليم النظرية المدرسية .. أي أن يكون جوهر
الدراسة الأدبية هو هذه الظاهرة الأدبية بالذات ، وليس حوادث السياسة
وعمل الإقليم وأثر الثقافات ..
أما القضايا الجانبية ، كالاقتصاد والواقع الاجتماعي والسياسي ، فتكون
قضايا جانبية مساندة (أي مسعفة كما يقول ص ٢٣٠) ..
ولذلك « فإن المنهج الذي يجب أن نصطنعه يقوم على هذا الانتقال من
الفردى إلى العام ومن الجزئى إلى الكلى .. فندرس الأديب أو الشاعر في
كل أوضاعه وألوانه ونحيط بكل مظاهره وصوره ونتعمق عوامله الداخلية
وترصد كل أحاسيسه . فإذا نحن نكشف عن هذه الروح التي سادته والمثل
التي أظلمت .. » .

٢ - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام

الحديث عن الغزل يظل حديثاً جذاباً ، محبباً إلى القلب ، أثيراً إلى
العواطف .. إنه خلجاتُ الهوى في أعماق النفس ، ولوعةُ الشوق تترقق
على مرارة الحرمان . ويكون الغزل أحلى إذا تحدث عنه مؤلفٌ عُرف
بعواطفه الدينية القوية واستمساكه بالقواعد الشرعية ...

وقد بحث الدكتور شكري هذا التطور بحث العالم الموضوعي لرسم
مساره ، وإبراز الفوارق بين عصرٍ لم يكن يردع الشاعر فيه رادعٌ ، وعصرٍ
كان على الشاعر فيه أن يعرف أنه يتحرك بين الحلال والحرام ، وبين المباح
والتعرض إلى حد القذف ...

والغزل في جانب منه حسي ، وكان الغالب في الجاهلية ، ولكنه في
جانبه الروحي نفحةً سماوية ...

وقد خصص الدكتور شكري كتابه المتألق والمتأنق ، لدراسة تطور الغزل العربي من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، من الذي قالت له فاطمة وقد مال بهما الغبيط :

« عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل » ...

إلى عمر بن أبي ربيعة .. الذي نقل عنه الرواة وهو يحتضر أنه أقسم بالله على أنه لم يرفع ثوبه على حرام .. أي أن غزله كان نفاثات قلبٍ موجه يتغذى بالأوهام ... والكتاب كبير الحجم نسبياً يقع في ٥٨٤ صفحة وثلاثة أبواب خصصت للغزل الجاهلي والغزل في عصر صدر الإسلام والغزل في العصر الأموي . وقد برهن المؤلف عن تمكن من النصوص الأدبية ، وطاقة عجيبة على تحليلها واستخراج أعمق المعاني منها .. فهو يأخذ النص ، كمشاهد الارتحال والتحمل ، ووصف المحاسن ، ويتقصي هذه الفنون في شعر عددٍ من مشاهير شعراء الجاهلية ، ويخلص إلى القول بأن الغزل الجاهلي يتَّصف بأنه غزلٌ تشبيهي يُعنى بالمظاهر الخارجية ، ومنه ما يمتاز بالدقة ومنه ما يظل سطحياً .. والمرأة عند الجاهليين شيء هام في حياتهم العاطفية والجمالية .. وجمالها هو الصورة المثلى للجمال (ص ١٧٨) .. وفي الحديث عنها كان امرؤ القيس مثلاً يتمتع بجرأة متناهية في القول الماجن .. وكان عنتره يتغزل باحتشام في عبلة ، لا يُسِفُّ ولا يترخص في القول ..

وجاء العهد الإسلامي بمفهوم جديد عن الغزل ، اختار له الدكتور شكري نموذجاً من قول ابن قيم الجوزية في تحميدة كتابه :

« الحمد لله الذي جعل المحبة إلى الظفر بالمحجوب سبيلاً .. وأثار بها الهمم السامية والعزمات العالية إلى أشرف غاياتها تخصيصاً لها وتأهيلاً » .
وإذن فالحب في الإسلام - على حد قوله - ليسَ قَصْرَ هذه العاطفة

السامية على ارواء الهوى واشباع الغرض .. وإنما يجب أن يكون قوة حافزة ودافعة إلى تحقيق غايات الدين من إعمار المجتمع وإنشاء الأجيال المؤمنة .. ويبدو لنا أن الغزلين الإسلاميين لم يَتَّقُوا على هذا الفهم ، فقد انشطروا إلى شعراء أحبوا محبوباتهم حباً عذرياً وشبيهاً بهن إرواءً لعاطفة متقدمة لم تُوجَّهْ إلى غير الناحية الفنية المثالية ، كجميل بن معمر ، وإلى شعراء اتخذوا من الغزل مطية لإثبات شاعريتهم القوية ، ولم يَقْصِرُوا حُبهم على بثينة والأخيلية ، بل عددوا النساء اللواتي تغزلوا بهن ، وتخلوا عن الأطلال ، وتمتلوا حضارة عصرهم فانعكست في هذه الموسيقية الطليقة الخفيفة التي تنطق بها قصائدهم ، وما أحلى ما قاله عمر بن أبي ربيعة في هذه الأبيات العفيفة :

نظرت إليها بالمحْصَب من منى ولي نظر لولا التحرُّج عازمٌ
فقلت أصبح أم مصايح بيعة بدت لك تحت السَّجف أم أنت حالم
بعيدة مهوى القُرط إما لنوفلر أبوها ، وإما عبدُ شمس وهاشم

ويأتي على رأس هؤلاء المجددين عمر بن أبي ربيعة ، الذي خصه الدكتور شكري بدراسة عميقة ، وخاصة رائيته المشهورة ، بلغت أكثر من ثلث الكتاب ..

ويكفيني أن أقول في هذا المؤلف الرائع إنه عمل إبداعي حقاً ، ما أظن أن أحداً من المؤلفين في الأدب سبقه إليه .. وليس من الضروري أن نتبنى وجهة نظر المؤلف دون نقاش .. في كل ما قاله عن الغزل .

ثالثاً – أبحاث أدبية أخرى

وهذه الأبحاث كثيرة تناول فيها عدداً من المواضيع ، التي تتصف بأنها تندفق من ينبوع ثر .. أذكر بعضاً من عناوينها .

١ - شفيق جبري الشاعر والشعر

ويقول عنه « إنه كان مشدوداً إلى ثروة أدبية عربية ، وكان مزوداً بتراث كبير . وهو ينفي عن أدبه وجود الرومانتيكية التي نقلها بعض الأدباء من الغرب . وجبري ، العربي الفخور بعروبتة ، يطرب ليوم الجلاء فيقول :
أتكذب العين والرايات خافقةً أم تكذب الأذن والدينسا أغاريد

٢ - البيان النبوي

وهو دراسة نشرتها وزارة الشؤون الدينية الجزائرية بحث فيها أشكال البيان النبوي (الأحاديث الشفوية والرسائل المكتوبة والخطب المرتجلة) وأبرز القيم التي يتضمنها (دينية وأخلاقية واجتماعية وشعورية) ..
وقد قال في هذا البيان : « لقد تحقق له هذا المستوى الرفيع في الأداء ، وهذه الروعة في إخراج الكلام هذا المخرج أو ذاك ، وهذا الإعجاز المشتق من الإعجاز القرآني والمتصل به .. حتى أن الرسول أحسه من نفسه فسماه جوامع الكلم » .

٣ - مقالة في الأستاذ محمد كرد علي

٤ - مقالة في محمد جميل بيهم

٥ - مقالة في الدكتور ميشيل حنا الحوري

٦ - مقالة في الشيخ محمد بشير الإبراهيمي

٧ - مقالة في الأستاذ المجمع عز الدين التوخي

٨ - مقالة في السيدة المرحومة عادلة بيهم الجزائري

وهذه سيدة فاضلة رائدة عملت بكل كرامة وثبات على نشر تعليم المرأة وتحريها في اطار المثل الروحية السامية .. وقد قال فيها الدكتور شكري ما يلي : « لا بد أن تأخذ المرأة العربية مكانها .. لا بد أن تخرج من

إسار الجهل إلى ضياء العلم ، ومن ربة التأخر إلى أفق التفتح . ولا بد أن تخرج من ذلك في كثير من الحذر ، حتى لا تضل الطريق ولا تنزلق بها المزالق .. » .

وهذا قول جدير بالتأييد ، فتحرير المرأة ضرورة دينية وقومية واجتماعية ، وهو يعني تمكينها من ممارسة حقوقها الإنسانية والقانونية .. ولا يعني أبداً الانحلال والفساد ..

٩ - مقال عن خير الدين الزركلي الشاعر الرقيق . فقد درس شعره وأشاد بموسيقيته وامتدح عاطفته الجياشة .. وفيما يلي أبيات اختارها من ديوانه الدكتور شكري :

يَجْنِي وَأَشْكُرُ فِي الْهَوَى يَدُهُ وَطَنٌ شَقِيْتُ بِهِ لِأَسْعِدُهُ
أَلَيْتُ ، لَا بِالَيْتُ بِي الْمَاءُ وَبِهِ دَمٌ حَتَّى أَضْمُودُهُ
يَوْمِي لَهُ ، وَغَدِي لَهُ هَبَةٌ وَعَسَايَ أَحْمَدُ فِي غَدِي غَدَهُ
كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ أَنْجَمَهَا مَتَرَقِبًا فِي الشَّرْقِ فَرَقَدَهُ
وَيَجِ السِّيَاسَةَ فِي قَلْبِهَا يَسْلُو الْحَلِيمُ بِهَا تَجْلِدَهُ

١٠ - مقالة عن الشاعر القروي ...

وللقروي مكانة خاصة في نفسي ، ليس هنا مكان الإشادة بها ...

١١ - دراسة مطولة عن كتاب « روح القدس في محاسبة النفس »

لابن عربي .

١٢ - الصحافة الأدبية . وهي دراسة مفصلة عن مجلة المجمع

العلمي العربي في عشر محاضرات ألقاها عام ١٩٥٩ على طلبة معهد الدراسات العالية في القاهرة .

١٣ - المصلحون ، وهي مقالة بعنوان « بين تشرين الذي كان

وتشرين الذي يكون » درس فيها دعوات الإصلاح التي نادى بها محمد عبده

ورشيد رضا وابن تيمية وساطع الحصري ، وفيها هجوم شديد على النُّعرة الإقليمية ..

١٤ - ثلاثة أحاديث في الإذاعة عن كتاب الثعالبي .

وقد قال الدكتور شكري عن هذا الكتاب :

« إنه يتناول لوناً من ألوان التعبير الفني الذي يَعْتَمِدُ على عَقْدِ جملة من المشابهات بين جملة من الأشياء ، لا يبدو أن بينها من الصلات ما يسمح بإقامة هذا التشابه . ولكن الشاعر بموهبته الفنية قادرٌ على أن يلتقط هذه المشابهات ثم يعرضها على الناس » .

وفيا يلي مثل اختاره الثعالبي من شعر أبي تمام لتوضيح الفكرة :

ما اليوم أولُ توديع ولا الثاني	البينُ أكثرُ من شوقي وأحزاني
دَعِ الفراقَ فإنَّ الدهرَ ساعده	فصار أملكَ من روعي بُجْثاني
بالشام قومي وبغدادُ الهوى وأنا	بالرقتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما فعلتُ	حتى تجاوز بي أقصى خراسان
خَلَّفْتُ بالأفق الغربي لي سَكناً	قد كان عيشي به يحلو بجلوان

رابعاً - كتب قديمة حققها

هذه كتب قديمة ظفرت بولع الدكتور شكري وعنايته ، فعمل على إخراجها سليمةً من العيوب مرآةً من التصحيف والتحريف . وهذه الكتب

هي :

- ١ - مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام .
- ٢ - خريدة القصر وجريدة العصر للثعالبي (أربعة أجزاء) .
- ٣ - ديوان الشاعر الزاهد أبي العتاهية ، مع أخباره .
- ٤ - ثلاثة أجزاء من تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر .
- ٥ - الوافي للصفدي ، الجزء الخامس عشر .
- ٦ - ديوان النابغة الذبياني (صنعة ابن السكيت) .

هذا بالإضافة إلى سلسلة من المقالات لم ترد في هذا السرد ، في مجلتي المجمع والمعرفة . وقد قدم لائحة بها الدكتور عدنان الخطيب في دراسته الممتازة بعنوان « شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً »^(١) .

وأود أن أشير إشارة خاصة إلى عمل كبير قام به الدكتور شكري هو جمعه أهم أعمال الدكتور طه حسين في ثلاثة أجزاء كبيرة ، انتقاها وأشرف على طباعتها . والذي دفعه إلى هذا العمل وفأؤه لأستاذه ، وهو المعروف بالوفاء ، ورغبته في وضع كتاب نفيس تحت أيدي الأدياء العرب . وهاكم ما قاله عن طه حسين في مقال نشره في مجلة المعرفة (عدد تشرين الثاني ١٩٧٤) :

« أُجَلُّ هو في عيني وفي نفسي من أن أتناول حياته يبحث ، أو أن أعرض لكتاب من كتبه بدراسة ، أو أن أتوقف عند جانب من جوانب أدبه بالتحليل ... فلم يكن عندي المؤلف ولا الباحث ولا الناقد ، ولم يكن عندي الأديب الذي لا يُجَارَى ، وصاحب البيان الذي لا يُضَاهَى .. وإنما كان قبل ذلك الأستاذ .. ولا يحتمل وفائي لأساتذتي أن ألقاهم بغير النظرة الحيئية . إني لأغضي حياءً منهم وتوقيراً لهم .. » .

خامساً - العروبي الإسلامي

أشعر بأن دراستي هذه تبقى ناقصةً ، إذا أنا اكتفيت بعرض أعمال الدكتور شكري دون أن أتحدث عن قناعاته الشخصية ، كما تظهر من كتاباته . وأبرز هذه القناعات ، العروبة والإسلام ، والربط بينهما ربطاً عضوياً لا انفصام له . فمن هذين الينبوعين الثرّين ، تفجرت عدة دراساتٍ على جانب كبير من الغنى واستشراف آفاق المستقبل .

١ - ففي موضوع العروبة ، نلمس إيماناً راسخاً بوحدة العرب

(١) دار الفكر للطباعة ١٩٨٦ ، ص ٤٨ ، ٤٩ و ٧٢ و ٧٣ .

لا يتزعزع ، كما نلمس عاطفة مقاتلة في حب اللغة العربية والدفاع عنها . ويعرف كل من كان على صلة به ما كان يعمل في صدره من قناعة وحدوية بدت ظاهرة على سن قلمه منذ أمسك به يافعاً ، وظل على إيمانه الذي لم يساوره شكوك ، حتى أسلم الأمانة راضياً مرضياً إلى الأجيال الكثيرة من طلابه في شتى أرجاء الوطن العربي . وليس من عجب في ذلك ، فقد كان أبناء جيله من الذين عاشوا تحت كابوس الانتداب والحماية الفرنسيين والبريطانيين يقاتلون لمستعمرين بكل وسيلة متاحة .. وكان أساتذتنا وقادة النضال الوطني يعلموننا أن مقارعة الأجنبي المحتل دينٌ وشرف وفريضة .. ولم يكن معقولاً أن يبقى الدكتور شكري خارج الحلقة . فقد عمل مع أعضاء عصبة العمل القومي ، وكانوا من خيرة شباب الوطن .. وكتب في جريدتها معرضاً نفسه لفضب الانتدابين .. وحين أعلنت الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ أصبح عضواً في الاتحاد القومي .. ثم اختير عضواً في مجلس الشعب الموحد . وحين وقع الانفصال في ليلة مشؤومة تداعى عدد من القوميين الوجدويين وشكلنا الجبهة العربية المتحدة من أجل إعادة ربط ما انفصم من الرابطة القومية .. وكان للجبهة قيادتان ، علنية وسرية .. وكان المرحوم أحد أعضاء القيادة السرية . وقد قاتل بالسيفين في سبيل إعادة دولة الوحدة ، ولكن كان للأحداث منطلق آخر . ثم جمعني به غير الأحداث التالية خمسة شهور في المعتقل ، فألفيت فيه المؤمن الصابر على قضاء الله .

وكان رحمه الله يربط ربطاً قوياً بين قوميته وعقيدته ، ففي قناعته أن جميع الحروب والمآسي التي نزلت بهذه المنطقة ، بدأ بالحروب الصليبية ومروراً بالانتدابات الأجنبية وانتهاء بقيام إسرائيل ، إنما كان بسبب إسلامها أولاً واستمساكها بأهدابه .. وكان راسخ القناعة بأن هذه المآسي كانت قادرة على محق العروبة ومفاهيمها ، غير أنها إذا ظلت صامدة ولم تتمكن

الرياح العاتية من بعثرتها شذر مذر ، فإنما مرد ذلك إلى رسوخ الإسلام في النفوس ..

اقرأوا له هذا المقطع من خطابه في حفل استقبال الدكتور أمجد الطرابلسي : « في سنوات الوحدة الثلاث ، وهي أحلى السنوات في تاريخ الوطن وأحفلها بتجاربه وأقواها أثراً في مستقبله ومستقبل العروبة ، كانت في آذاننا أصوات من كل فج وفي نفوسنا تطلعات في كل أفق وفي قلوبنا آمال هي أغنى الآمال ... كنا نشعر أننا نصوغ من جديد حياة العرب بعيداً عن إقليمياتهم وعن تحلفهم ، وكنا نحس أننا نصل ما كان انقطع من هذا التاريخ ، وأنا بدأنا رحلة الوحدة بعد رحلة الإستقلال ...

ولكن التجربة ، وارحمتهاه للوطن المتعثر ، آلت إلى غير مصيرها الطبيعي الذي كان يجب أن يحكمها وانفرط العقد وفي العين دموع .. » .
وهذا المقطع من مقال له في مجلة المعرفة عن « الرومانتيكية العربية » (عدد كانون الثاني ١٩٧٤) :

« ولكن لماذا تظل الحركة العربية سلسلةً من المفاجآت يشتد تواترها ثم يضعف ، فإذا هي في مكانها ..؟ لماذا تتخذ هذا الطابع الرومانتيكي ثم لا تجاوزه إلى ما وراءه من طابع عقلائي ..؟ » .

حتى وحدة ١٩٥٨ ، هذا الأمل الذي أعاد العرب من جديد إلى ساحة التاريخ ، وقهر للمرة الأولى - بعد صلاح الدين - تفرقهم ، حتى هذه الوحدة لم تعدم بعد ستة أشهر من كان يشرب الشاي في القاهرة ويقسم على قطعها .. هل كان تاريخ هذه المنطقة إلا هذه الحركة المتكاملة بين مصر والشام ؟ ..

وأسأل : هل الذي بدأنا نسمعه من فترة قصيرة على ألسنة القادة في هذه المنطقة غير هذا الذي قاله الدكتور شكري ؟ ..

وهل يلومه لائم ، حين يرفض تعبير « التضامن العربي » لأنه في نظره هرطقة وهل يقول قائل عن نظرتة « بأن أي رفاه اقتصادي أو تقدم اجتماعي مستقل عن المجموعة العربية إنما هو رفاه مكذوب وتقدم خادع » بأنه ليس على صواب ؟..

ولن يجد المرء شغفاً صوفياً بحب اللغة العربية كشغف الدكتور شكري بها . وكان له نشاط ضخم في موضوع التعريب ، أي إعادة اللغة العربية إلى أهلها ، خاصة في البلاد المغاربية التي أفسدها فيها الاستعمار ، والجزائر أقيح صورة لما جنى فيها الاستعمار الفرنسي خلال قرن وثلث .. حيث حارب العروبة واللغة والإسلام حرباً لا هوادة فيها ..

ومن كتابات المرحوم في هذا الصدد ما يلي^(١) :

« إن القَدْرَ الذي يحتاج إليه الوطن العربي من التقدم العلمي ومن شيوع المعرفة العلمية ومن تحديث الفكر المعاصر ، لا يمكن أن يتم إلا عن طريق اللغة العربية ». وهو يعرف اللغة العربية تعريفاً شاعرياً ينم عن احساس عميق بعظمة هذه اللغة ودورها الحضاري ، في كتابه « المجتمعات الإسلامية »^(٢) فيقول : « اللغة ليست إلا نسيجاً من أفكار وأنظار ، تزينه وتُحليها عواطف ومشاعر . ووراء الغلاف اللفظي لكل كلمة ، تستقر حقيقة لها ..

والعقائد الكبرى والأساطيرُ والمثل ، إنما تبلور جميعاً في ألفاظ اللغة وكلماتها ..

فلغتنا ليست هذه الألفاظ الجامدة التي تتصامم فيها الحروف ، ولكنها

(١) في بحثه « الدراسات الإسلامية اللازمة لمدرسي اللغة العربية » الرياض

١٠-٣-١٩٧٧ .

(٢) ص ٢٢٦ .

هذه الأصوات العميقة التي تتركز فيها عواطفنا وأفكارنا وتصوراتنا البعيدة .
ولكل صوتٍ منها شمولٌ عريض ومدى واسع ونفاذٌ خاص ، وفي أصدائه
وحناياه تعيش المخلفات الفكرية والعاطفية لكل القرون التي تقدمت قبلنا .
وعنده أن عبء التعريب يجب أن تقوم به المجامع الثلاثة في دمشق
والقاهرة وبغداد .

وتتلخص نظرتي إلى واقع اللغة العربية في بحثه الذي قدمه إلى الندوة
التي أقامها اتحاد مجامع اللغة العربية في عمّان في شهر كانون الأول ١٩٧٨
كما يلي :

- ١ - يجب أن تكون اللغة العربية واحدة على امتداد الوطن العربي .
- ٢ - وأنها قضيةٌ تمتد على تاريخ الوطن العربي في ماضيه وحاضره
ومستقبله .
- ٣ - وعليها أن تتحدى اللغات الأجنبية ، لصدا أخطارها من جهة ،
ثم للتفاعل معها لمواكبتها في طريق التقدم ..
- ٤ - وهي وسيلة الجمع بين أبناء العروبة الذين عصفت بهم أيدي
التمزق .

ولكنه لا يتردد في الدعوة إلى فتح النوافذ على لغتنا ، من أجل إدخال
التجديد فيها . والتجديد يجب أن يقوم على ثلاثة أسس هي :

- ١ - طواعية اللغة ، وأفهم من هذا القول ، تخليصها من كل تعقيد يجعلها
عسيرة المأخذ والاشتقاق .. أي مراجعة قواعد النحو والصرف بصورة
خاصة .

٢ - يسر الأسلوب وتبسيطه .

٣ - الخلاص من الزخرف بصورة نهائية .

ولا أريد أن أمر مرور الكرام بالمبدأ الثالث ، وهو « تفاعل العربية مع
اللغات الأخرى » ، لأن هذا المبدأ الأساسي يفرض علينا تقوية اللغة في
مدارسنا الثانوية وفي جامعاتنا .. لا لكي ينجح الطالب في امتحان اللغة

الأجنبية ، وإنما لكي تصبح لغة مراجعة ودراسة جديتين ، يُعَوِّضُ بها عن نقص المؤلفات العربية في جميع نواحي المعرفة ، من فلسفة وقانون وطب وعلوم وتكنولوجيا .. فليس سراً أن المكتبة العربية ، على امتداد الوطن العربي ، تشكو في هذه المراجع نقصاً لا يغتفر .. والمراجعة في اللغة الأصيلة تفوق قراءة الكتب المترجمة .. خاصة إذا كانت الترجمات سقيمة ..

٢ - وفي موضوع الإسلام ، أشير إلى أن الدكتور شكري مؤمن بممارس للشعائر الدينية . وكل الذين يعرفونه يعرفون أن باطنه في هذا كظاهرة الطيب .. وهو كذلك من دعاة التراث بصورة عامة . ولقد وقفت عند هذه المسألة لأشير إلى أن المرحوم يريد من هذا التراث أن ينسجم مع مقتضيات التطور العلمي والاجتماعي . ففي بحثه الذي قدمه إلى ندوة مجامع اللغة العربية المنعقدة في عمّان عام ١٩٧٨ يقول مايلي :

« إذا كانت الحروب الصليبية وحروب أخرى بعدها لم تُعْطِ الغرب الأوربي ما كان يطمح إليه من تفوق ، فإن الركود الإسلامي أعطى هذا الغرب أئمنَ فرصة حين ساعد بضعفه على أن يجد المسلمون أنفسهم في موقف التخلف . وقد حارب الاستعمار اللغة العربية لكي يضعف العقيدة الدينية .. » .

ومن شدة حرصه على سلامة العقيدة والتراث ، كان ينظر بحذر شديد إلى غالبية المستشرقين ، وخاصة الأوائل منهم . فقد كان يجد دراساتهم بعيدة عن الموضوعية في البحث ، وعن الطهارة في الهدف^(١) ، لأن أبحاث الاستشراق تصب ، في نظره ، في دوائر وزارات الخارجية أو المستعمرات أو التبشير ...

وتقتضي الأمانة العلمية ألا أذهب معه إلى نهاية تفكيره ..
فقناعتي أن هؤلاء المستشرقين الجواسيس هم القلة .. أما هؤلاء الذين
(١) مقاله « على هامش مؤتمر المستشرقين » الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ .

أحبوا الحضارة العربية وساعدوا في نشر كنوزها ، وألّفوا عنها المؤلفات العميقة والرائدة ، وعلمونا طرق البحث في تاريخنا وآدابنا ، فإنهم الكثرة الكاثرة .. ولقد عرفت من بينهم ، رحمهم الله ، من كانوا أساتذة لي ، وكانوا يعلنون عن ضرورة احتلال الحضارة العربية مكانها المرموق .. حتى أن منهم من شارك العرب في مظاهراتهم التي طالبوا فيها باستقلال الجزائر وفي قلب باريس ... ولن أذكر من أعمالهم الرائعة إلا L' Encyclopédie de L' Islam ومؤلفات بروكلمان وبلاشير و Gibb وغوستاف لوبون وغولدزير .. وليس من حقنا أن نرميهم جميعاً بسوء القصد ، إذا توصلوا في أبحاثهم إلى نتائج لا نستطيعها ... والمرحوم لم يعمم القول فيهم جميعاً ، لأنه استثنى من سماهم « الأنقياء » الذين قال عنهم :

« وعلى هذا الطريق تلقى الذين يموتون وهم يقبلون صفحات الكتب بحثاً عن حقيقة ، والذين يبحثون عن أشباه الحقائق يمتنون بها الشعوب » .
و حين عالج موضوع ما يسميه « الصحوة الإسلامية بين الواقع والطموح » في بحث له تحت هذا العنوان ، قال :

« إن أبرز ما تعنيه الصحوة اللّحاق بالركب الإنساني . إنها تتمثل في إنسانٍ نائمٍ خَلَفَتْهُ القافلة ورائها ، ثم صحا فوجد نفسه في مثل حالة الضياع ... فمضى يسعى وراء الركب . وإني أرد هذه الصحوة إلى أنها مظهر من مظاهر التملل وأن لها أثراً تحديرياً » .

ويسوق عدة أمثلة على عدم صحة هذه الصحوة المزعومة .. الثورة الأفغانية والتقاطع بين أقطار الإسلام والدماء التي تسيل أنهاراً على حدود الديار الإسلامية ، والأمية التي تصل إلى نسبة ثلاثة أرباع المسلمين ... ويتساءل « كيف نتحدث عن صحوة إسلامية إذا كنا لم نستطع أن نحقق الحد الأدنى الحضاري »؟

ويطالب بعد ذلك بقوة « بالتحول إلى صحوة إسلامية فاعلة » يجب أن تُعني في نظره « تعمق الأساس النظري الذي جاءنا من عند الله .. تعمق فهمه وتعمق فقهه دون أي خروج عن نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية المشرفة أو ما التقى عليه إجماع المسلمين .. » . وهذا في نظري هو العمل المثمر للتوفيق بين التراث ووجوب فهمه بنصه وبروحه ، في ظل مقتضيات العصر .. حتى يصح لنا أن نقول بحق : إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .. غير أنه يضع شرطاً جديراً بالتأييد ، هو الآتي :

« إن الحركة الإسلامية لا تتطلع إلى سلطة أو تحكّم ولا تسابق أصحاب السلطة والحكم عليهما . وعلينا أن نستخدم ما يسمونه الديمقراطية بأصح معانيها ، لأن الصحوة تريد أن يتاح للشعوب في حكومات الإسلام أن تحقق وجودها .. » .

وقد أوضح رأيه في موضوع ممارسة الديمقراطية في مقال له عن « حركات الإصلاح الاجتماعي في العالم الإسلامي »^(١) قال فيه :

« وليس للشورى شكل واحد ثابت لا يقبل التغيير ، ولكن لها مفهوماً ثابتاً لا يقبل جوهره التغيير . والقرآن الذي أقر المبدأ لم يتناول من قريب أو بعيد الشكل . وقد حاول جمال الدين الأفغاني نشر مبدأ الشورى فحورب بشراسة . أما العلم فليس شرطاً من شروط النهضة بل هو النهضة بذاتها » . وقد حلقَ عالياً حين كتب في مقاله « نحو حضارة عربية جديدة »^(٢) مايلي :

« حين ننظر إلى أقطارنا العربية ... تُروِّعنا مسافة هذا الخلف بيننا وبين الحضارة المعاصرة . وأقصى ما يروِّعنا أننا لا نصنع الحضارة ، وإنما نحن

(١) من كتاب وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية والإسلامية .

(٢) نشره في مجلة المعرفة ، شباط ١٩٧٥ .

نستهلك الحضارة التي يصنعها الآخرون .. لذلك يجب علينا أن نحقق هدفين متكاملين : اللحاق بالركب الحضاري والإسهام في قيادة هذا الركب ... وقد كان لنا ماضٍ حضاريٌّ متميز .. فلماذا يظل الوطن العربي خارج دائرة الإسهام الحضاري ؟ » .

ويضرب مثلاً على تقدم الشعوب التي كانت نائمةً فاستيقظت : اليابان « التي استطاعت أن تُحطم أسطورة التخلف الشرقي ، وتزرع في ملايين الملايين من الشرقيين حُضرةَ الأمل » حسب تعبيره .

ولكن من الذي يعمل على بقائنا متخلفين ؟ في رأي الدكتور شكري المسؤول عن تخلفنا هي « هذه القوى غير المجهولة .. قوى أعداء الإنسانية الذين يؤمنون بالتمايز ويضعون الشعوب طبقات ... أولئك أكلة لحوم البشر الذين يختلسون ثروات هذه الشعوب ويُجهضون ثوراتها .. » .

ونحن أليست لنا مسؤولية مباشرة وضخمة في تخلفنا ؟ يقيناً لو أن الله مدد في عمره فعاش أحداث ١٩٩٠ و ١٩٩١ المبكية على الساحة العربية ، لكان أدخل تعديلاً جذرياً في تفكيره القومي وفي تحديد المسؤولية عن أسباب تخلفنا ...

وما هو سبيلُ سلامة العرب ومنطلقُ تقدمهم ؟ جوابه هو أن دخول العرب التاريخ الحضاري يجب أن يبدأ بتحريك الوحدة العربية : « لأن الذين تلهيهم أو تقنعهم في الوطن العربي الممزق بعض المنجزات التي استطاعوا أن يحققوها ، فإن عليهم أن يحسبوا قبل أن يفرحوا بما أنجزوا ، المدى الذي لا يزال يفصلُ بينهم وبين الحضارة الموصدة من دونهم ..

وإذن فطريق الوحدة وحده بالنسبة إلى العرب هو الذي يمكن أن يكون إنهاءً لمرحلة القربة المقطوعة . ذلك أن الذي نعمله لا يعدو كثيراً أن يكون وهم محاولة ملء قربة مقطوعة ... » .

ومن عجب أننا نشهد اليوم ميلاد عملاقٍ ضخم في أوروبا ، التي

تناست دولها أحقادها القديمة والدماء التي سفحت بغزارة في ساحات الحروب قروناً طويلة واندججت في مجموعة اقتصادية كبرى ، وهي تعمل جاهدة على الذوبان في كيانٍ سياسي مُدهش .. ومع ذلك فنحن ننظر كالمهوت الذي لا يتعظ ولا يستوعب ...

وكل ما قاله الدكتور شكري في أسباب التخلف العربي بشيء من التعميم ، يتساقق خير تساقق مع الصرخات المدوية التي ارتفعت في عصرنا تطالب بتجديد الفكر العربي .. والفكر الإسلامي أيضاً ..

« فالشيخ محمد عبده قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد والتحرر من قيود التقليد ، فاستعمل عقله الحر في بحوثه ولم يَجْر على ما جَمَدَ عليه غيره من أفكار المتقدمين »^(١) .

بل إن مفكراً إسلامياً من طلابنا في جامعة دمشق ، هو الدكتور فاروق النبهان يذهب أبعد من ذلك فيقول :

« ظهر في العصر الحديث لونٌ جديد من التفسير يختلف عن المدارس السابقة التي عرفناها . ويهتم هذا التفسير بالجوانب الأدبية والاجتماعية التي يشتمل عليها النص القرآني .. وقد لاقت هذه المدرسة قبولاً طيباً لدى الناس »^(٢) .

ويضرب الأستاذ مصطفى الزرقا مثلاً ملموساً عن تطور التفسير الفقهي في أيامنا هو نص المادة ٢٢ من قانون الأحوال الشخصية . فقد قرر واضعو هذه المادة أن طلاق السكران والمدهوش والمكره لا يقع ، وكذلك لا يقع الطلاق ثلاثاً إذا تم بلفظ واحد ، كما أجازوا تفويض المرأة بتطبيق نفسها . ويقول إن هذا التجديد جاء خلافاً لرأي الأئمة الأربعة أخذاً من فقه

(١) انظر الشيخ محمد حسين الذهبي ، المفسرون والتفسير ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٢) في كتابه نظام الحكم في الإسلام ص ٣٤٠ .

الإمامين ابن حزم وابن تيمية رضي الله عنهما .
ومنذ العشرينات من هذا القرن أدرك فقيه كبير هو الأستاذ شاكر
الحنبلي^(١) مدى أهمية تحديد معنى الربا في الشريعة الإسلامية ، فقرر في
دراسة مُدعَمةٍ بالحجج بأن الودائع المصرفية لا تدخل في مفهوم الربا
المحرّم ..

وهو مذهب أيده الدكتور معروف الدواليبي في دراسته التي قدّمها عام
١٩٥٢ إلى مؤتمر إسلامي عقد في باريس . وجاءت فتوى المفتي العام
للجمهورية المصرية الشيخ سيد طنطاوي منذ وقت قريب تفتح الباب أمام
تحرير الرأس المال الوطني وتمكين المصارف المحلية من القيام بأعباء التنمية
ودعم الصناعات وتأسيس شركات كبرى تقوى على المزاومة في مصطرع
دولي لا يرحم ، في زمن أصبحت فيه الشركات عابرة القارات أُخطبواً
هائلاً تهدد برأسمالها الفلكي كل الاقتصادات الصغيرة .

ومن أسف أن دار الإفتاء في مصر لم تتحرك إلا بعد أن فقدت مئآت
آلاف من صغار المدّخرين أقوات أسرهم بسبب تلاعب مجموعاتٍ من
الذين لا يخافون الله ، تحت ستارٍ شرعي مزعوم .

ولا يجوز أن يكون ذلك خاتمة المطاف ، بل بدايةً صحيحة للشوط
الذي يدجنا في العصر ، ويجعلنا نساهم في إنشاء الحضارة لا أن نستهلكها
وتنعم بفتات موائد المتقدمين ، كما ذكر المرحوم شكري ..

ومن المهام التي تقع على عاتق المجتهدين ، ولست منهم ، مسألة رفع
العوائق التي تقف في سبيل نوال المرأة حقوقها ، تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ ولهن
مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ . وهو مذهب نادى به المرحوم أيضاً .. ومن

(١) الأستاذ البارز في معهد حقوق دمشق (كلية الحقوق الحالية) .

الأمثلة على هذه العوائق منع شهادة المرأة في الحدود والقصاص ، ومسألة تحديد ديتها بنصف دية الرجل .. وهي حلولٌ رسخت من قديمٍ ، دون أن يكون لها سندٌ في الشريعة السمحاء ... وبصورة عامة فتح باب الاجتهاد واسعاً لإعادة النظر في تفسير التراث تفسيراً منفتحاً على العصر ، ليكون قادراً على مواكبة التطور والخلاص من الجمود الذي تردى فيه ...
أيها السيدات والسادة :

إني أعرف أنني لم أوف سلفي الكبير حقه ، لا من حيث تعداد ما دبحته يراعته من كتب وأبحاث مشرقة ، ولا من حيث تحليل مضامينها وتأثيرها في الأدب والاجتماع وتطوير الفكر العربي والفقهاء الإسلاميين . وقد قدمت لكم غيضاً من فيض وبقيةً من بستان ..

ولن أجد خاتمة لهذا الخطاب خيراً من قول شاعر قديم :

إذا نحن أثينا عليك بصالح فأنت كما نشني وفوق الذي نشني
والسلام عليكم ورحمة الله .

حفل استقبال

الزميل الأستاذ جورج صدقني

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م (الدورة الجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩١م) الأستاذ جورج صدقني عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغره بوفاة الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٦) تاريخ ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ صدقني في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٢٢ ربيع الآخر ١٤١٢هـ / ٣٠ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها ثلة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاکر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحاضرين ، وشكر لهم شهودهم هذا الاحتفال الذي أقامه المجمع ، وهنا الأستاذ صدقني بثقة زملائه المجمعين به واختيارهم له زميلاً كريماً يعزز مسيرتهم في تحقيق غايات المجمع المباركة .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمع هناً فيها زميله المجمع ونوه فيها بمزاياه الخلقية والعلمية وذكر طرفاً من سيرته .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أهلاً بكم في رحاب مجمع الخالدين ، وشكراً لكم أن تشهدوا معنا هذا الاحتفال نقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ جورج صدقي .
لقد تمّ انتخاب الأستاذ صدقي عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته الجمعية ١٩٩٠-١٩٩١م (التي عقدت في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٦ (في ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م) بتعيينه^(١) .

وإننا لنهنئ الأستاذ صدقي ثقة زملائه المجمعين به ، واختيارهم له زميلاً كريماً ، يعزّز مسيرتهم ، ويشدّد من عضدهم ، يمضون معاً في تحقيق غايات المجمع ، لتظلّ العربية المبينة أداة الإفصاح والبيان في جميع ميادين المعرفة والحياة ، تجاري اللغات العالمية ، تغنيها وتغني بها .

لقد ولد الأستاذ صدقي ونشأ في الثلاثينات ، تلك السنوات التي شهدت نضال شعبنا العربي لانتزاع حريته واستقلاله من مستعمره الذين ظنوا جهلاً أنه قد استتبّ لهم كل شيء بعد أن قضوا على الثورة السورية الكبرى التي شبّ أوارها في العقد الثالث من القرن ، وقدم فيها شعبنا العظيم آلاف الشهداء ، وعانى من فظائع المستعمر أشدّ ما عاناه شعب . ولكن

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج ٣ ، ص ٥٧١ (تموز/١٩٩١م) .

حفلة استقبال الأستاذ صدقني

١٠٢

جذوة النضال لم تحمد ، وهبَّ الشعب من جديد بعد أن أعدَّ واستعدَّ ، وفوجئَ المستعمر بمعركة أخرى من معارك شعبنا قد استعر لهيبها في كل مكان . كان الكفاح في سورية قد بلغ أشده ، وكانت الثورة في بطاح فلسطين تدافع عن الأرض والوجود ، وتالت المعارك متتابعةً لا تتوقف حتى عام ١٩٤٥ م .

وكان صدقني ابن بيئته الشعبية ، يصغي إلى أحاديث جمهرة الشعب ، وينفعل بعواطفها المتأججة حباً للحرية ، وشوقاً إلى النضال ، وحنقاً على المستعمر الغاشم . فامتألت نفسه وتروى بما رأى وسمع ، ونشأ هذه النشأة الوطنية ، وصار من أكبر همومه ، على صغر سنه ، التفكير في مصير الوطن ، وطرق انتزاع الحرية .

لقد كان صدقني في الرابعة عشرة من عمره حين حدثت مجزرة البرلمان ، وعدوانُ فرنسة الغاشم في التاسع والعشرين من أيار ١٩٤٥ م ، الذي أرادت به أن تجدد عدوانها الذي ارتكبته في الجزائر الشقيقة في الثامن من أيار ١٩٤٥ م ، فقضت على الألوف من المواطنين الجزائريين الآمنين الوادعين .

و شاء الله أن تكون يد الحق هي العليا ، وانتزع شعبنا حرته واستقلاله وكان الجلاء العظيم في السابع عشر من نيسان ١٩٤٦ م ، ففتحت الأبواب مشرعة لتعاظم حركة النضال العربي ، وأحرزت البلاد العربية استقلالها واحدة إثر واحدة ، وتوَّج ذلك كله بالنصر العظيم باستقلال الجزائر عام ١٩٦٢ م .

وبدأت سورية بعد إشراقة فجر الاستقلال حياتها الجديدة الحرة ، وأخذت الأجيال العربية الجديدة ترسم صورة المستقبل العربي وتخطُّ طريقه ، وتطلعت إلى الحركات العربية التي تستجيب لمطامحها وآمالها . وهنا نجد الإجابة الصادقة في تطلع الأستاذ صدقني إلى الالتحاق بحركة البعث العربي

كلمة الدكتور شاكر الفحام ١٠٣

في تشرين الأول ١٩٤٦ م . وكان آنذاك طالباً في المرحلة الثانوية باللاذقية ، لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره .

إنه نموذج الجيل العربي الجديد الذي نشأ في أيام الاستعمار فشارك في التظاهرات والاضرابات ، فلما أشرفت شمس الحرية انضم إلى المؤسسات التي تلمي مطالبه وتطلعاته .

ولقد رأى الأستاذ صدقني في حركة البعث العربي ما يُرضي طموحه وتشوّفه : فقد رفعت : وحدة النضال العربي لتحقيق الوحدة العربية ، وشعار الحرية ، والدعوة لاقامة العدل الاجتماعي والقضاء على استغلال الإنسان للإنسان .

وشارك الأستاذ صدقني في نشاط الحزب ، وقاسم رفاقه تبعاتهم ومسؤولياتهم الحزبية . وانغمس في ميادين السياسة ، والفكر السياسي . وتولّى وزارة الإعلام في السادس والعشرين من أيلول ١٩٧٣ م ، فبذل ما بذل ليرتفع بمستوى الإعلام إلى مستوى بطولات المقاتلين وتضحيات الشهداء في حرب تشرين التحريرية (١٩٧٣ م) .

ولا يزال الأستاذ صدقني يتابع نشاطه الفكري السياسي ، وقد نضاً العام الخامس والأربعين من حياته الحزبية .

أيها الحفل الكريم

لقد قلت ما قلت ، وعيني وقلبي يتطلعان إلى ما يحدث اليوم في مدريد . لقد ناضلت الأمة العربية النضال الطويل لتسترد حريتها ووحدتها وعزتها منذ أن صدّت غزوة نابليون عن ديارها عام ١٧٩٨ م حتى اليوم . وعانت الأمة العربية ما عانت طوال مئتي عام ، وقدمت من التضحيات ما لم تقدمه أمة قط . وقد وقف لها الاستعمار بالمرصاد يعوق تقدمها ، ويعرقل مسيرتها ، ويفتنّ في أساليبه الماكرة ليحول دون وحدتها وازدهارها .

حفل استقبال الأستاذ صدقني

١٠٤

ولقد كانت الصهيونية أخطر ما تفتقت عنه أساليب المستعمرين فزرعوها في قلب الأرض المقدسة فلسطين ، ليحولوا دون وحدة الأمة العربية .

وها نحن نشهد اليوم انعقاد مؤتمر مدريد ، فهل نتوقع أن يكون مبدأ الفجر الذي نتطلع إليه ؟ أرجو وآمل والله الموفق والمستعان .

أعود فأرحب الترحيب كله بالزميل العزيز ، يشارك زملاءه المجمعين في أعمالهم وهمومهم وتطلعاتهم ، تظللنا جميعاً راية العربية المبينة التي نجد فيها أمننا وسلامتنا ووحدتنا .

لقد أحب الأستاذ صدقني العربية حباً جماً ملك عليه نفسه ، فعني بها أتم العناية ، وتوحي في كتابته السهولة والفصاحة ، ووفر لعبارته أناقة اللفظ وجمال الأسلوب . وتميزت صياغته بالوضوح والبيان . وأحب الأستاذ صدقني أن يشارك المشاركة الجادة في نهضة قومه الفكرية ، ورأى أن خير ما يقوم به أن ينهج نهج الأسلاف العرب في نهضتهم الأولى حين نقلوا إلى العربية تراث اليونان والفرس والهند وغيرهم من الأمم ، فأكب على اختيار المصادر الينايبع ينقلها إلى العربية وشارك في نقل تراث الإنسانية ليكون في متناول أبناء العربية .

ليس من همي أن أتحدث عن سيرة الأستاذ صدقني ، أو أعرض لآثاره وإنما هي كلمة قصيرة أقدمه بها .

ويسعدني أن يتقدم الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع فيلقني كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويتحدث عن سيرته العلمية ، وآثاره ، ليتلوه الأستاذ جورج صدقني فيعرض لنا جوانب من سيرة سلفه الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد رحمه الله ، وما كان له من جليل الشأن في عالم الفكر ودنيا الناس .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم في حفل استقبال الأستاذ جورج صدقني

أيها الحفل الكريم .

لقد أسعدني حقاً أن كلفني مجمع اللغة العربية الموقر استقبال العضو العامل الجديد الأستاذ جورج صدقني . والأستاذ صدقني صديق قديم عرفته منذ زمن بعيد قريب معاً ، منذ ثلاثة وأربعين عاماً عندما عينت مدرساً للفلسفة في اللاذقية . وإن فاتني أن ألقاه وهو على مقاعد الدراسة ، لكونه أنهى المرحلة الثانوية قبيل مباشرتي العمل ، فقد كنت ألقاه بين الحين والآخر في مدينته الجميلة . وإني أذكر جيداً أن نظرته إلى التفكير الفلسفي كانت ، منذ ذلك الحين ، عميقة الاتصال بهموم الحياة القومية وبالتطلع الدائم إلى نهضة أمتنا العربية .

وعندما عُينت في جامعة دمشق توقعتُ أن أراه منتسباً إلى قسم الفلسفة ، بعد أن لمست شغفه الشديد بمتابعة هذا الأسلوب من التأمل والعمل . ولكنني علمت أن ظروفًا مادية صعبة دفعته إلى الالتحاق بالتعليم الابتدائي مدة عامين . ثم ما لبث أن نجح في مسابقة حكومية أوفد بعدها لدراسة الفلسفة في جامعة دمشق . وعند ذلك أحس بأنه وجد طريقه المفضل .

لن أتحدث عن مرحلة دراسته الجامعية . ويكفيني أن أشهد بأنه كان متفوقاً لامعاً يمثل الأمل العريض لمستقبل الأجيال العربية .

١٠٥
٥٩

حفلة استقبال الأستاذ صدقي

١٠٦

للأستاذ صدقي اهتمامات متنوعة ابدأ بالإشارة إلى كتب وبحوث نقلها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية . وأول ما ترجم كتاب لكارل يسبرز بعنوان مدخل إلى الفلسفة . والكتاب مؤلف من مجموعة من الدراسات عرض فيها يسبرز خصائص الفلسفة الوجودية بمعناها الإنساني والمنفتح على ارتباط الفرد بالعلو، أي بما يتجاوزه ويضعه وجهاً لوجه أمام مسؤوليات التحرر وتحقيق الذات تجاه المصير . ويمتاز الكتاب بالوضوح والسهولة كما تمتاز الترجمة العربية بالدقة وجمال التعبير .

والكتاب الثاني لفرانسوا شاتليه عن فلسفة هيغل . وهو كتاب يشهد له الباحثون بعمق الدراسة وبطابعها الشامل . ولا شك أن اطلاع القارئ العربي على مذهب هذا المفكر العالمي يضعه أمام منبع أساسي من منابع الفكر المعاصر في صورته المختلفة .

وكتاب ثالث ممتاز ترجمه الأستاذ صدقي هو كتاب لجان هيوليت بعنوان « دراسات في ماركس وهيغل » . ولا شك أن المؤلف هيوليت قد كان راعياً للدراسات الهيجلية والماركسية الكثيرة في ميدان الفكر الفرنسي .

الكتاب الرابع كان لروينيه عن الفيلسوف جان جوريس . وكلنا يعرف أن جوريس قد ربط ربطاً وثيقاً بين الفلسفة النظرية وبين الاشتراكية النابعة من النزوع الديمقراطي ومن النظرة الأخلاقية .

والكتاب الواسع والغني فعلاً هو لجان جاك شوقاليه عن أمهات الكتب، السياسية وفيه عرض واضح ودقيق لأفكار مكياڤلي ولوك ومونتسكيو وفيشته وتوكفيل وماركس وموراس وسوريل ولينين . وهو كتاب استعين به في التدريس بالمعهد العالي للعلوم السياسية .

أما البحوث التي نقلها الأستاذ صدقي فأهمها لبول ريكور الفيلسوف الفرنسي المعاصر والتي تدور حول فكرة المفارقة السياسية وفكرة العلاقة بين القول والعمل .

وأحب أن أشير هنا إلى مسألة فيها طرافة ودقة ملاحظة تتصل بمفهوم الأمة في اللغات الأجنبية وفي اللغة العربية . فقد كتب الأستاذ صدقي يقول : « لقد رأى المترجمون أن كلمة Nation تقابلها كلمة (أمة) في اللغة العربية . هذا صحيح ، أو ليس خطأ على الأقل . ولكن الخطأ حصل عندما ظن المترجمون أن كلمة Nation تعني (أمة) دائماً ، وفي كل الأحوال ، وأنها لا تعني شيئاً آخر ، في حين أن المطلعين على خفايا اللغة الفرنسية يعرفون أنها ، في كثير من الأحيان ، تعني (الأمة – الدولة) ... أو الأمة التي أصبحت دولة . وعلى سبيل المثال : ان اسم منظمة الأمم المتحدة باللغات الأجنبية يدل على أنها مؤلفة من Nations فترجم اسم المنظمة إلى العربية على مألوف العادة ، فقبل إنها منظمة مؤلفة من أمم . ولا يخفى على أحد... أن عضوية المنظمة لا تُمنح للأمم بل للدول . إن لغتنا العربية تفصل مفهوم الأمة عن مفهوم الدولة فصلاً تاماً ... ذلك أن الأمة العربية مجزأة إلى دول متعددة .

ومن الأمور المتصلة بهذه المسألة أن الأجانب ترجموا كلمة « العروبة » ترجمات مختلفة أدت إلى حدوث نوع من الالتباس . فمنهم من ترجمها بكلمة Pan - Arabisme . وأرجح الظن أنهم ترجموها على هذا النحو مدفوعين بنيتهم السيئة في الاساءة إلى معنى العروبة ، لأننا لو أعدنا ترجمة هذه الكلمة مرة أخرى إلى العربية ، لما وجدنا لها مقابلاً أفضل من « النزعة التوسعية العربية » . ومنهم من ترجمها بكلمة Arabisme لكي يخلصها من صفة النزعة التوسعية . ولكن هذه الترجمة مع ذلك ظلت تواجه مشكلة حقيقية : فهي – فضلاً عن أنها لا تؤدي من معاني العروبة إلا المعنى الحركي – توحى للقارئ الأجنبي بأنها نزعة توسعية أيضاً ، لأنها تذكر بالنزعة الجرمانية Germanisme . والتي عانت الشعوب الأوربية منها الأمرين . وفي الآونة الأخيرة بدأت بعض الأوساط تستخدم كلمة

Arabité للدلالة على معنى « العروبة » ... وفي رأينا أن هذه الكلمة أفضل من غيرها ... لأنها تخلصها في نظر الأجانب من سمة التوسع والعدوان المزعومة ... ولكن هذه الترجمة تعاني من نقص أساسي هو عجزها عن التعبير عما تحمله العروبة في طياتها من معنى حركي . باعتبارها حركة نضالية تحررية . ثم ينتهي إلى القول : « إن العروبة لا تعبر عنها تعبيراً مطابقاً إلا كلمة العروبة » ، ولذلك فإنني على مثل اليقين بأنه سوف يأتي يوم تنقل فيه هذه الكلمة إلى اللغات الأجنبية بلفظها كما هو لكي تعبر عن نفسها بنفسها » .

لقد أردت في ما أوجزته من أقوال الأستاذ صدقني أن أقدم أمثلة تدل على تدقيقه المتصل في ما ينقله إلى العربية ، وتدلل في الوقت نفسه على نزوعه الدائم إلى إيضاح كل ما يتصل بمعنى العروبة .

الميدان الرئيسي الثاني الذي اهتم به الأستاذ صدقني هو ميدان الدراسات القومية . ففي سلسلة من البحوث ، نُشرت في مجلة المعرفة السورية كتابات عن قضية الوحدة العربية بين أنصارها وبين أعدائها . وأحب أن أشير إلى عبارة تكشف عن الطابع الشخصي لأفكاره ، ويقول فيها : « إنني أعلم علم اليقين أن ما قررته يخالف الفكر السياسي الوجودي الشائع في نقطة أو في أكثر من نقطة . ولذلك لن استغرب إذا اصطدم بأفكار شائعة بلغت مرتبة القناعات المفروغ منها » . ومن أقواله إن المناضلين في سبيل الوحدة العربية لا يضعون شروطاً أمامها تتحول إلى عوائق .. إنهم يناضلون لخلق الشروط الملائمة .

فالموقف الوجودي موقف ثوري ، وهو فعل إيجابي يخلق الظروف المناسبة لغاياته . وأكتفي هنا بإيراد عبارات موحية وذات دلالة ، منها أن الفكر لا يكون تقدماً إن لم يكن وحدوياً ، وأن شيئاً من اللبس والغموض قد انتشر بتأثير ما يطرحه المثقفون الذين ينطلقون من مواقع لا قومية .

ويوجز الأستاذ صدقني حديثه عن أعداء الوحدة العربية في الخارج والداخل بقوله : « إن أعداء الوحدة كثيرون : الاستعمار والامبريالية والصهيونية العالمية والطبقات المستغلة وأنظمة الحكم التي أفرزتها للمحافظة على مصالحها الرجعية والإقليمية والطائفية والعشائرية والعائلية والشعبوية الجديدة » .. ولكن هذا كله لا يدعو إلى اليأس . فهذه القوى المعادية كلها ليست من قوى المستقبل . إنها - دون استثناء - قوى سائرة إلى الاندحار والزوال . ويبقى للوحدة العربية ، رغم كثرة أعدائها ، قوة أقوى من هذه الأعداء مجتمعين ، تبقى لها الجماهير الشعبية الواسعة العريضة .

أنتقل الآن إلى بحوث مبتكرة حاول فيها الأستاذ صدقني أن يقدم على مغامرة روحية كبيرة تتعلق بالعقلية العربية التي يمكن أن تستنبط من بنية اللغة العربية ومن عالم الأمثال العربية . ويؤسفني أني لن أستطيع ، في هذه الكلمة ، الإمام بهذا الموضوع الجديد في تفرعاته ونتائجه . وسأكتفي بإيراد موجز أرجو أن يعطي فكرة سريعة عن جهود الأستاذ صدقني في هذا الميدان .

يرى الأستاذ صدقني أن الآراء المطروحة في مقالاته تدخل في مجال فلسفة اللغة . وهي تمثل محاولة لقراءة بعض الكلمات العربية قراءة جديدة ، تعتمد على العلاقات والروابط القائمة بينها . فهي جهد تحليلي استقرائي يهدف إلى استخلاص معاني الكلمات التي قد تكون غائبة عن الأفهام لطول العهد باستخدامها ... يقول الأستاذ صدقني : « اللغة العربية هي العقلية العربية ، وهي تصور العرب وفهمهم للوجود . فالمرأة ، مثلاً ، مؤنث المرء ؛ والمرء والمروءة من أسرة واحدة . فالمرء يكون كذلك في العقلية العربية إذا كان من أهل المرءة ، أي شهماً ذا نخوة . وكون المرأة مؤنث المرء يعني أن العقلية العربية تتصور المرأة إنسانة ذات مرءة ، تسارع إلى نجدة الملهوف .. وكلمة « انسان » تنتمي مع الكلمات أنس وأنيس وأنيس وغير

حفل استقبال الأستاذ صدقني

١١٠

ذلك إلى أسرة واحدة . وهذا يعني أن الإنسان قد سمي إنساناً لأنه يأنس بغيره أو يؤنس غيره . أما العقل فيشير إلى الربط والترتيب . ويستخلص الأستاذ صدقني من تحليل مثل هذه الكلمات ، في اللغات المختلفة ، إلى أن العقلية اللاتينية أقرب إلى الفلسفة الواقعية . ذلك أن تصورهما للوجود قائم على أساس أن العالم الخارجي مؤلف من علاقات وأن لدى الإنسان استعداداً لسبر أغوار هذه العلاقات ... وحسابها حساباً كمياً دقيقاً . وهذا التصور كان في أساس ما حققه العلم الحديث من تقدم ونجاح .. أما تحليل الكلمات العربية فيؤدي بنا إلى القول بأن العقلية العربية الأصلية (القديمة) أقرب إلى الفلسفة المثالية . ذلك أن هذا التحليل يوحي بأن تصورهما للوجود قائم على أساس أن العالم الخارجي يبقى مفكك الأوصال ، تسوده الفوضى ، لولا تدخل الإنسان ، الذي يقوم بفعل « العقل » فيصبح العالم مرتباً مترابطاً منظماً .

ولو انتقلنا إلى كلمة واقع ، بالفرنسية Réalité ، لوجدنا أنها مأخوذة من الكلمة اللاتينية Res ومعناها الشيء ، واستطراداً ما هو موجود بالفعل . فهي بذلك حيادية لا تتضمن أي حكم من أحكام القيمة .

فالموجود بالفعل لا هو صاعد ولا هو هابط . أما الكلمة العربية « واقع » فهي تتضمن حكم قيمة وتعبر عن نظرة « سلبية » إلى الوجود الواقعي ... وهذا يعني أن الاختلاف بين النظرة العربية والنظرة اللاتينية إلى الواقع يكاد يبلغ حد التناقض .

والعقلية العربية لا تقيم هوة بين الواقع وبين المثل الأعلى ، بل هما في نظرها متواصلان . الواقع مقصر عن المثل الأعلى ، ولكنه صبوة دائمة إلى بلوغه . ثم إن المثالية في اللسان العربي ليست مثالية بالمعنى المعروف في تاريخ الفلسفة الغربية ، بل هي مثالية من نوع خاص تقيم تواملاً بين المثل

والواقع ، فترى في الواقع قصوراً عن بلوغ المثال يجب تلافيه ، وهو أمر ممكن .

وعندما ينتقل الأستاذ صدقني إلى تحليل الأمثال العربية القديمة يورد عدداً كبيراً منها ، ويقرر أن الأمثال العربية تنفرد ، دون غيرها ، بأن لكل مثل قصة . ولهذا الأمر دلالة هامة ومغزى عميق . فهو يعني أن المثل الأعلى في الفكر العربي القديم ليس فكرة مجردة خالية من الحياة بل هو من صميم الحياة نفسها .

كل ذلك يعني أن الإنسان قادر على بلوغ المثل الأعلى في الواقع . ثم إن الفعل الماضي في المثل العربي يدل على أن واقعاً معيناً قد سما إلى مرتبة المثل الأعلى . فالمثل العربي بهذه الصيغة ليس حكمة ، وليس دعوة إلى الحكمة . إنه انبهار أمام بهاء الواقع المتسامي ، وقصته تهز النفس من الأعماق ، وتستنهض الهمم ، وتبشر بقدرة الإنسان على الارتقاء في مراتب الكمال .

أيها الحفل الكريم

لقد حاولت في كلمة الاستقبال هذه ، على الرغم من الصداقة التي تربطني بالأستاذ صدقني ، ومن الاهتمام المشترك بمسائل الفلسفة التأملية ، ومن الإيمان غير المشروط بأهداف الأمة العربية ، أقول لقد حاولت أن أتخذ موقف الحياد الموضوعي قدر الإمكان وألا أغفل عن أمور تبقى موضع جدل ونقاش .

لقد اجتهد الأستاذ صدقني وأخلص في اجتهاده ، وتحمس لقضايا أمته أجمل حماسة ، فأهلاً به في مجمع اللغة العربية طالباً للعلم الصادق ، وباحثاً عن أهداف عزيزة غالية ومفكراً يملؤه النشاط الحي كما يملؤه الشباب (الشباب النسبي طبعاً) ومتطوعاً لخدمة اللغة العربية بكل ما يستطيع بل بأكثر مما يستطيع . حتى تتحد هذه اللغة مع الفكر العربي ذاته .

حفلة استقبال الأستاذ صدقني

١١٢

وإني لأذكر دائماً أنه كتب مرة يقول : « إني لأشهد بأن لسان العرب هو أجمل لغة على وجه الأرض . ولا عَجَبَ في هذا ، فهو لغة السماء أيضاً » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الأستاذ جورج صدقني في حفل استقباله

أيها السيدات والسادة

إن لساني لعاجز عن التعبير عن مدى اعتزازي بالثقة التي أولاني إياها أعضاء المجمع الكرام بانتخابي زميلاً لهم ، فشكراً لهم من صميم القلب ، وعهداً أن أبذل وسع طاقتي في خدمة لساننا العربي المبين ، ما حييت . وإني لأعرب في الوقت نفسه عن أعمق مشاعر الامتنان والعرفان للأستاذ الدكتور شاكر الفحام لترحيبه بي بهذه الكلمات الجميلة الطيبة ، النابعة من نفسه الكريمة وخلقه النبيل ، وكذلك لأستاذنا الدكتور بديع الكسم لما غمرني به من صفات هي بعض البعض من طيب سجاياه وكريم شمائله .

أيها السيدات والسادة

لو أن الأقدار أسعدتني بمعرفة الأمتاذ الدكتور محمد كامل عياد ، رحمه الله ، لسقت إليكم حديثي اليوم عنه بعنوان « كامل عياد كما عرفته » . لكن الأقدار لم تسعدني فأنا لم ألتق هذا المعلم العربي الكبير في حياتي البتة . ولو جريت على مألوف العادة لسردت على مسامعكم سيرة حياته ، لكنني أستأذنكم ألا أفعل ، وأترك لمن يشاء أن يبحث عنها في مظائنها ، وليس هذا بعسير . والواقع أنه لم يبق لي ما أقوله عن سيرة عياد بعد الكلمة العاطفية الحارة التي استقبله بها ، في هذه القاعة نفسها في أرجح الظن ، صديقه وصفيّه الأستاذ الدكتور جميل صليبا في ٢٠ كانون الأول عام ١٩٥٨ ، والتي فصل فيها سيرة حياته منذ ولادته في ليبيا عام ١٩٠١ ،

١١٣

٦٧

حتى انتخابه عضواً في المجمع ، وكذلك الكلمة البليغة التي كتبها تلميذه الوفي الأستاذ الدكتور محمد حرب فرزات بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته ، ناهيك عن الكلمة الجامعة ، التي ألقاها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في حفل تأبين فقيه المجمع في ١٤ كانون الثاني ١٩٨٧ ، وجلا فيها فضائل الفقيه وشيمه وعرض سيرة حياته كلها فلم يترك زيادة لمستزيد .
إنني لا أحب لنفسي ، ولا أحب لكم ، أن أردد على مسامعكم وأعيد ، لهذا أستاذنكم في أن أقصر حديثي على الجانب الفكري والثقافي من شخصية كامل عياد .

ولكن كيف لوقت هذه الأمسية المحدود أن يتسع لجلاء جوانب شخصيته الموسوعية كلها ؟ أحدثكم عنه فيلسوفاً ، أم مؤرخاً ، أم عالم تربية ، أم صحافياً ، أم كاتباً يترجم القصص والمسرحيات وينقلها من الألمانية ، أم منشئ أجيال ؟ لقد جمع في إهابه هذه الشخصيات كلها على نحو متكامل لا تناقض فيه . إنه لضرب من ضروب المحال أن أحيط الآن بكل جانب من جوانب شخصيته الفكرية ، ويبدو لي أنه لا بد لي من معاناة حيرة الاختيار . ولما كانت هذه الجوانب كلها وجوهاً متعددة لشخصية واحدة ، فإنني أؤثر التركيز على « فلسفة التاريخ » عنده ، لأنها كانت من اهتماماته كلها بمشابهة البؤرة ، أو المحور . والحق أن العشق الحقيقي ، الذي أخذ بمجامع نفسه كلها ، لم يكن الفلسفة وحدها ، ولا التاريخ بمفرده ، وإنما « فلسفة التاريخ » ، لأنها تجمع الفلسفة التي موضوعها الحقائق الكلية ، إلى التاريخ ، الذي موضوعه الحوادث الجزئية ، فكأنني بكامل عياد كان يرمي دائماً إلى الارتقاء من حوادث التاريخ الجزئية إلى حقائق الوجود الكلية .

لقد سمعت كثيرين يقولون إن الدكتور عياد كان ماركسياً . وهذا أمر ليس لي أن أنفيه أو أثبته . لقد وجدت بالفعل نكهة ماركسية خفيفة في

بعض مقالاته ، لكنها لا تجعلني أصنفه في عداد الماركسيين . لقد كان الدكتور عياد معتدلاً بعيداً عن التعصب ، خلافاً للماركسيين . وهذا يجعلني على القول إنه لو كان الماركسيون يتحلون بمثل اعتدال الدكتور عياد وبعده عن التعصب ، لما صاروا إلى المصير الذي تعرفون . والحق أن الدكتور عياد كان « خلدونياً » - إذا جازت النسبة على هذا النحو - جعل من ابن خلدون قدوة ومثالاً ، وكان الأثير على قلبه ، فاصطفاه دون سواه من المفكرين والفلاسفة العرب ، كابن رشد والغزالي والكندي وابن سينا ، موضوعاً لرسائله ، التي وضعها باللغة الألمانية ، ونال بها درجة الدكتوراة من جامعة برلين . وأصدر بالاشتراك مع الدكتور جميل صليبا كتاباً يضم نصوصاً مختارة لابن خلدون . وجعل من ابن خلدون محطة يستوقف القارئ عندها في معظم كتاباته المتصلة بالتاريخ ، مثال ذلك أنه أفرد في أمليته الجامعية « تاريخ التربية » فصلاً ضافياً عن التربية عند ابن خلدون . صفوة القول إن عياد كان خلدونياً في الأساس ، وإذا كان قد وجد في الفكر الماركسي جوانب حازت على إعجابه ، مثل فكرة القوانين في التاريخ والحتمية التاريخية ، فمرد ذلك - في تقديري - أنه وجد فيها تطويراً وإغناء لفكر ابن خلدون الأصيل .

أيها السيدات والسادة

للدكتور عياد مقالات عديدة في فلسفة التاريخ ومعناه ، على أن واحدة منها عنوانها « عبر التاريخ » ، نشرت عام ١٩٧٦ ، تعد أنموذجاً لأسلوب عياد ، الذي يتصف بعبقرية البساطة ، وتفصح عن خلاصة فكره في فلسفة التاريخ خير إفصاح . وإليكم زبدة القول فيها :

يستهل عياد مقاله بقوله : « من السهل جداً أن نذم التاريخ . فقد لاحظ الناس منذ القديم أن الأخبار التي يرويها المؤرخون لا يمكن الوثوق بصحتها ، يختلط فيها الصدق بالكذب ، ويعتريها التشويه والتحريف

والتزوير ... ». ثم ينقل عن ابن الأثير قوله : « رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغنها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار » . ويستعيد عياد رد ابن الأثير على هؤلاء ، وتعداده فوائد علم التاريخ ، إلى أن يختم الرد بقوله : « ولهذا الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد » . وبعد أن يشير عياد إلى كتاب « الإعلان بالتوخيخ لمن ذم التاريخ » لشمس الدين السخاوي ، من علماء القرن الخامس عشر الميلادي ، يقول : « وما زال بعض الباحثين يدعون أن التاريخ ليس علماً بالمرّة ، لأنه لا يكشف عن حقائق وقوانين عامة .. بل يقتصر على سرد وقائع فردية وحوادث جزئية .. وتساهل آخرون فقالوا : إنه لا يمكن اعتبار التاريخ علماً إلا من حيث طرائق بحثه فقط ... ويتساءل الكثيرون : ما الفائدة من الاشتغال بالتاريخ والرجوع إلى الماضي ، في هذا العصر الذي ... أخذت فيه الأمم تتسابق نحو المستقبل ؟ » .

ويروي عياد أن هنري فورد ، صاحب مصانع السيارات المشهورة ، دعي عام ١٩٢٧ لزيارة بعض الأماكن الأثرية ، فاعتذر ، وصرح بأن التاريخ كلّه هراء وسخف . ثم يقول عياد إن هذا التصريح « يدل على تفكير صبياني ، سطحي من رجل أمريكي ، ليس لبلاده في الماضي تاريخ يذكر » . ثم يضيف في ما يشبه الشماتة : « لم يكن المستر فورد يعرف شيئاً عن تاريخ الأزمان الاقتصادية الدورية ، التي رافقت تطور النظام الرأسمالي ، وكان هذا التاريخ أراد أن ينتقم من المستر فورد ، ويلقنه درساً ، فلم تمض ستان حتى حدث الانهيار الاقتصادي الهائل في سنة ١٩٢٩ .. » .

ويشير عياد إلى هجوم (نيتشه) على التاريخ وادعائه أن الالتفات إلى الماضي يحرم البشر من التمتع بحياتهم الحاضرة ، ويهزأ به ضمناً عندما يقول : « كان نيتشه يغبط الحيوانات لأنها تعيش في الحاضر فقط ، فهي سعيدة .. »

لأنها لا تتذكر الماضي ، ولا تفكر في المستقبل . وينتهي عياد إلى القول : « إنه من السهل حقاً أن نطعن في التاريخ ، ولكن من الصعب جداً أن نتحرر منه ونستغني عنه » .

ويعلن عياد « أن التاريخ يقوم لدى الشعوب مقام الذاكرة عند أفراد البشر » ، ويسهب بعد ذلك في شرح دور الذاكرة في تكوين شخصية المرء ، ويبين أهميتها في مراحل العمر المختلفة ، ويركز اهتمامه على ما تتصف به الذاكرة من انتقاء في ما تجمع وتخزن ، فيقول : « إن شرط التذكر الصحيح هو النسيان ... وهكذا التاريخ بالنسبة إلى الشعوب : فإنه ... لا نفع في استقصاء كل الأمور ... لا بد من عملية اصطفاء لابرز الحوادث الخطيرة ... وانتقاد الأخطاء ، وبيان أسباب النكبات والنكسات لاستخلاص العبر منها ، وكم لدينا من تقاليد وعادات بالية ... لا بد لنا من نسيانها والتخلص منها ، إذا أردنا السير في طريق التقدم ... » . ثم يقول : « إن الشعوب الفتية لا تهتم إلا بالمستقبل ، وتنصرف في الحاضر إلى تكوين ذاتها وبناء حضارة جديدة . وحين تتوقف ... عن النمو ... والابداع تتجه إلى الماضي ، تتغنى بأمجاده ، أو تدعو إلى إحيائه والرجعة إليه . ثم عندما تهرم ... تبدأ في دراسة تاريخها ، وتبحث في أسباب التقدم والتأخر ... » فيتكون (الوعي التاريخي) التام والواضح ، الذي يجعلنا نعرف من نحن ، وإلى أي مرحلة من التطور وصلنا ، وفي أي طريق نسير ... هناك شبان يرغبون في التحرر من الماضي ... يصرخون قائلين : نريد أن نعيش الحياة الحاضرة ، حياة عصرنا ، ولا يهمننا الماضي الميت « لكن عياد يرد على هؤلاء ويقول إن « الحاضر ليس سوى امتداد للماضي ، ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة ، وأن نعالجها معالجة صحيحة ناجعة ، وأن نرسم الطريق إلى المستقبل ، إلا بالرجوع إلى الماضي وإدراك الأسباب الفاعلة .. التي أدت إلى خلق تلك المشاكل (التي) لها جذورها وأصولها في

التراث» . ويفصل عياد في هذا الباب تفصيلاً حتى يقول : « إن العالم الذي يحيط بنا يظل لغزاً إذا لم نعرف كيف تكوّن ... وإذا تساءلنا لماذا يختلف موقف العربي عن موقف الانكليزي مثلاً ، أو الفرنسي في الظروف الخاصة أو العامة ، فإن التاريخ وحده يعطينا الجواب » .

أما فائدة التاريخ على صعيد حياتنا العملية فيتناولها عياد مشيراً إلى اعتقاد « الناس في جميع العصور بأنه من الممكن استخلاص عبر ودروس من التاريخ يسترشدون بها في أعمالهم » . ويعرض آراء هيروودوت وتوكيديديس وديودورس الصقلي في هذا الباب ، ويسهب في عرض آراء المؤرخ اليوناني بوليبيوس ، الذي كشف الغطاء عن الأسس المتينة ، التي قامت عليها عظمة روما ، وعلل الاستقرار الذي عرفه نظام الحكم فيها ، ويبيّن أن معرفة الماضي هي أفضل وسيلة لإصلاح الطبيعة البشرية ، ونصح المؤرخين بأن يركزوا اهتمامهم على كشف الأسباب ، ومعرفة النتائج ، لا على سرد الوقائع ورواية الأخبار .

ثم انتقل عياد إلى المؤرخين العرب ، فاقطف من كتاب (تجارب الأمم) لمسكويه قوله : « إني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت كتب التاريخ وجدت فيها ما يستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها ويتنظر حدوث شبيها » إلى أن يقول مسكويه : « ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها متناسبة صار جميع ما يحفظه الانسان من أحداث التاريخ كأنه تجارب له ، وكأنه عاش الزمان كله » .

وينقل عياد من كتاب (الآداب السلطانية) هذه الحكاية : « حذب الخليفة (المكتفي) من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعتها وقته . فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيل ذلك ، وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة . فحصلوا على بعض كتب التاريخ ، وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من ... معرفة التحيل في استخراج الأموال . فلما رأى الوزير ذلك قال

لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ! أنا قلت حصلوا له كتباً يلهو بها عني وعن غيري . وقد حصلتم له ما يعرفه مصارع الوزراء ، ويرشده إلى الطريق لاستخراج المال ، ويبين له خراب البلاد من عمارتها .

ثم وقف عياد وقفة غير قصيرة عند « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون ، « الذي أراد أن يجعل من التاريخ علماً ... يقوم على دراسة العمران والاجتماع البشري ومعرفة قوانين التطور » . وأوضح أن « ابن خلدون كان يطالب بملاحظة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال مع مرور الأيام ، واختلاف الأخلاق والعوائد والمذاهب من عصر إلى عصر » . وكان يدعو إلى المقارنة بين الحوادث لمعرفة ما بينها من تشابه أو تباين ، وتعليل ذلك ، ويحذّر من أن نحكم على أخبار الماضين حسب أوضاعنا . وذكر عياد بنظرية ابن خلدون التي تقول بجمالية التطور التاريخي ، وتذهب إلى أن كل مجتمع يجتاز في تطوره أدواراً معينة ، تتكرر بانتظام ، وتشبه مراحل نمو الكائنات الحية وفنائها ، وتدعي أن هناك قوانين تاريخية، مثل القوانين الطبيعية ، لا تتغير لذلك لا مجال في التاريخ للمصادفات أو المعجزات . وأشار أيضاً إلى أن ابن خلدون يبيّن أن الحوادث التاريخية تخضع لقانون السببية . وهنا يكمن السر في إمكان الاستفادة عملياً من عبر التاريخ : لأن الأسباب نفسها لا بد أن تؤدي إلى النتائج ذاتها .

ولكن لما أطل القرن التاسع عشر ، أخذ الاعتقاد بالاستفادة من عبر التاريخ يتزعزع . وأيد عياد هذا التحول مستشهداً بما كتبه هيجل في ذلك الوقت ، إذ قال : « الشيء الوحيد ، الذي نتعلمه من التاريخ هو أن لا أحد يتعلم من دروس التاريخ شيئاً » . إن في التاريخ أمثلة كثيرة عن العقاب الوخيمة التي ينتهي إليها الظلم والطغيان ، غير أن هذا لم يردع الطغاة المستبدين ، وظلوا يطمعون في الاستئثار بالحكم وخنق حرية الشعوب . ونابليون أخطأ خطأ فاحشاً بهجومه على روسيا وزحفه على موسكو ، ولكن

حفل استقبال الأستاذ صدقني

١٢٠

هتلر لم يتعلم من هذا الخطأ ، بل سرعان ما وقع فيه . وبعد أن يورد عياد أمثلة كثيرة وطريفة من هذا القبيل ، استقاها من الحريين العالميتين، يقول معلقاً على كلمة هيغل « إنها لا تعني أنه يستحيل استخلاص العبر من التاريخ ، ولكنها تعلن أن البشر ، أفراداً وشعوباً وحكومات ، لا يستفيدون من هذه العبر ، إما لجهلهم ، أو طيشهم ، أو ضعف إرادتهم وانقيادهم للأنانية وما يتفرع عنها من طمع وحسد وخوف وحقد » . وبينه عياد إلى أنه « للاستفادة من دروس التاريخ يجب أن تكون لدينا معرفة جيدة دقيقة للحوادث ، وأن نحسن تفسيرها ونلاحظ اختلاف الظروف التي وقعت فيها بالنسبة إلى الأوضاع الجديدة » . ويضرب أمثلة عديدة على ذلك من حرب القرم وحرب سنة ١٨٧٠ وثورة البلاشفة والثورة الفرنسية .

وبعد كلمة هيغل « ارتفعت أصوات كثيرة تؤكد على أن أهم درس نتعلمه من التاريخ هو أنه لا يعيد نفسه ، وأن الصفة المميزة للحوادث التاريخي هي أنه فريد ، ومقيد بمكان معين وزمان محدود وظروف خاصة ، وأنه لا يتكرر أبداً .. على الصورة نفسها وبجميع التفاصيل و...أنكر قسم من العلماء أن تكون هناك قوانين تاريخية ثابتة مثل القوانين الطبيعية ، وحجتهم في ذلك .. أن المصادفات لها دور كبير في حياة البشر ... وأن حوادث التاريخ تنبعث من إرادة الأفراد الحرة ، فهم الذين يصنعون تاريخهم ، وزعماء الشعوب يتبعون أهواءهم الذاتية ، فكيف يمكن أن نستخلص الدروس والعبر من التاريخ ؟

وينبري عياد لمناقشة هذه الاعتراضات والرد عليها بالتفصيل فيؤكد أن القول بحرية الإرادة من وجهة نظر ما بعد الطبيعة لا ينفي أن الأعمال البشرية تخضع لقوانين منتظمة . ويستند في رده هذا على اجتهادات علماء الكلام المسلمين وعلى الفيلسوف الألماني (كنط) ، وينتهي إلى القول مع هيغل « إن الشخصية التاريخية العظيمة ليست سوى الفرد البارز في

المجتمع ، والذي هو محصول الأحداث التاريخية ، وفي الوقت نفسه صانع هذه الأحداث والمؤثر في توجيهها .

وعن دور المصادفة في التاريخ يورد عبارة باسكال الساخرة : « لو كان أنف كليوباترا أقصر لتبدل مجرى أحداث العالم » . يقصد أن أنطونيوس ما كان ليقع في غرامها وينهزم في معركة (أكسيوم) . كما ينقل عن تشرشل أن قرداً صغيراً عض اسكندر ملك اليونان ، فتسمم الجرح ومات الملك في خريف سنة ١٩٢٠ . ويضيف تشرشل قائلاً : « بسبب هذه العضة مات ربع مليون من البشر » ، ذلك أن اليونانيين أعادوا الملك قسطنطين إلى الحكم فاستأنف الحرب ضد الأتراك ، وسقط فيها هذا العدد من القتلى . ثم يفسر عياد المصادفة بأنها نقطة التقاء سلسلتين من الأسباب الحتمية ، ولهذا فالمصادفة لا تتنافى مع قانون السببية والحتمية ، ولا يمكننا أن نستنتج قاعدة عامة من التقاء أنطونيوس وكليوباترا فحواها أن قادة الجيوش عامة يخسرون المعارك إذا هم وقعوا في غرام ملكات جميلات . ثم يعترف عياد بأن التاريخ لا يعيد نفسه ، لكنه يؤكد أن في تاريخ الشعوب أوضاعاً متشابهة قد تؤدي إلى نتائج مماثلة ، ويضرب مثلاً على ذلك أن الأزمات التي سبقت الثورة الإنكليزية سنة ١٦٤٠ والثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ والثورة البلشفية سنة ١٩١٧ كانت أزمات متشابهة .

وينبها عياد إلى أننا نخطئ كثيراً إذا اعتقدنا بأن التاريخ يقدم لنا وصفات جاهزة وحلولاً كاملة . إن الفرد يستفيد من التجارب التي مرت به . والتاريخ إنما هو ذاكرة البشرية التي تحوي خلاصة تجارب الشعوب على مر العصور . وتجارب التاريخ ليست نماذج نفتدي بها ونقلدها ، بل هي مادة للتأمل والتفكير والمقارنة . نتعلم من التاريخ أن أحوال البشر في تطور دائم ، كذلك يعلمنا التاريخ كيف نفكر تفكيراً واقعياً انتقادياً ، ويحررنا بذلك من الأوهام والأضاليل والأساطير . إن مقدرات الأمم مرتبطة

بإدراكها للعوامل التاريخية ، التي نشأت عنها أوضاعها الحاضرة ، وبمعرفتها للرواسب ، التي انتقلت إليها من الماضي ... يجب ، في تاريخنا القومي أن نربط بين أجدادنا وتقاليدها الماضية وبين حاضرتنا ، فلا يجوز أن نفرق في الماضي ونستسلم إلى سحره وننسى واقعنا ومتطلبات عصرنا . إن الانغماس في الماضي قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشل الإرادة عوضاً عن أن يدفعنا إلى النهوض ..

ويورد عياد أمثلة من التاريخ كثيرة ومملوءة عبراً ، أقتطف منها هذا المثال : في سنة ١٨٠٤ استدعى ملك بروسيا السياسي الألماني فون شتاين لتولي الوزارة وتنظيم حركة المقاومة ضد نابليون ، فلم يقبل إلا بشروط ، بينها إصدار قانون بتحرير الأتقان وآخر بتنظيم ملكية الأراضي ، رغم أنه كان من النبلاء الاقطاعيين المحافظين ، ومن المعارضين لمبادئ الثورة الفرنسية . قال فون شتاين للملك : « كيف أستطيع ، يا صاحب الجلالة ، أن أدعو الفلاحين ، الذين يؤلفون أكثرية الشعب ، إلى الدفاع عن أرض لا يملكون منها شيئاً ؟ وكيف نطالب أفراد الشعب بأن يقاتلوا في سبيل حرية بلادهم ، إذا لم يكونوا هم أنفسهم أحراراً ؟ » .

وفي النهاية يصل عياد إلى زبدة الزبدة فيقول :

« وأخيراً هانحن في الوطن العربي ، عندما نفكر كل يوم في تحرير فلسطين ، تعود بنا الذاكرة رأساً إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي ، الذي طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . وعلى الرغم من معرفتنا بالفروق العديدة بين الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الثاني عشر ، وبين الحالة في الوقت الحاضر ، فإننا نعتقد بأن أعمال صلاح الدين يمكن أن تكون عبرة ، وحافزاً لنا ، ودرساً نتعلم منه . وبديهي أننا لا نستفيد شيئاً من إحياء ذكرى صلاح الدين ، إذا اقتصرنا على الإشادة بصفاته السامية ، ومزايه النادرة ، والتغني بأعماله المجيدة . إنه لا بد لنا من دراسة دقيقة

١٢٣

خطاب الأستاذ صدقني

للخطط السياسية البعيدة ، التي رسمها ، والأساليب العملية ، التي اتبعها لبلوغ الهدف ، ليس بحشد الجنود وجمع العتاد والذخائر فحسب ، بل كذلك بإنشاء الطرق والجسور ، وتسهيل وسائل العيش للشعب ، بإلغاء المكوس وخفض الضرائب ، ثم تنوير الأفكار بتأسيس المدارس ونشر العلم . وهو لم يكتب له النجاح في طرد الصليبيين إلا لما اتصف به من بعد النظر ، والمهارة السياسية ، والثقة بالنفس ، والحزم في تنفيذ ما يصمم عليه ، والصبر على الشدائد ، والعمل المتواصل دون كلال أو ملل . فكان حقاً مثال البطولة في تاريخ الإسلام ، بل كان ، باتفاق آراء المؤرخين المسلمين والفرنج على السواء ، من أعظم عباقرة العالم . وإن في سيرته لعبرة لمن يتفكرون ؟» .

أيها السيدات والسادة

هذا نزر يسير من عطايا الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد لأمتة العربية ، وما أعظم ما أعطى ، وما أقل ما أخذ ، وما أفدح ما فقدناه برحيله . رحم الله هذا المعلم العربي الكبير رحمة واسعة بقدر ما أوسع في البذل وأجزل في العطاء .

أشكر لكم حسن إصغائكم والسلام .

حفل استقبال

الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوا

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م (الدورة الجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩١م) الأستاذ الدكتور عادل العوا عضواً عاملاً في المجمع . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٤) تاريخ ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوا في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٧ جمادى الأولى ١٤١٢هـ/ ١٣ تشرين الثاني ١٩٩١م حضرها نخبة من رجال الفكر والأدب والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحاضرين لمشاركتهم في هذا الاحتفال ، وهنا الأستاذ الدكتور العوا ثقة زملائه المجمعين به واختيارهم له لانضمامه إلى صفوفهم يؤيد مسعاهم في خدمة اللغة العربية والذود عنها .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمع . أشاد فيها بسجاياه الخلقية ومكائنه العلمية وذكر طرفاً من سيرته .

ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور عادل العوا كلمته التي تحدث فيها عن اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية .

ونشر فيما يلي كلمات الحفل .

١٢٤

٧٨

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم :

أحييكم أجمل تحية ، وأرحب بكم ، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور ، لتشاركونا في الاحتفال باستقبال الأخ الكريم والزميل العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا .

لقد انتخب الأستاذ العوا عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع ، في دورته الجمعية ١٩٩٠-١٩٩١م (التي عقدت في ٧/٥/١٤١١هـ = ٢٤/١١/١٩٩٠م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٤ (في ١٤/١١/١٤١١هـ = ٢٧/٥/١٩٩١م) بتعيينه^(١) .

فهنيئاً للأستاذ العوا ثقة زملائه الجمعيين به ، واختيارهم له زميلاً عزيزاً ينضم إلى صفوفهم ، ويؤيد مسعاهم ، قد أعدّ عدته ليقدم لمجمع الخالدين صفوة تجربته ، وخلاصة خبرته .

والأستاذ العوا ، هو ما هو علماً ومعرفة ، قد فطر على القراءة والمطالعة والبحث ، ووقف نفسه على التعلم والتعليم .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج ٣ ، ص ٥٧٠ (تموز/١٩٩١م) .

بدأ يدرّس ويحاضر منذ عام ١٩٤٥ م ، وها هي ذي ستة وأربعون عاماً قد مرت ، وهو دائب في عمله ، متفان في تحقيق هدفه ، يعطي دون توقف ، قد تخرّج به مئات ومئات من الطلاب ، بعد أن ملؤوا عيابهم من المعرفة ، واكتسبوا ما أهّلهم لحياة البحث ومتابعة العلم .

ولكن كان مركز نشاطه العلمي في جامعة دمشق ، إنه قد مدّ من حدود نشاطه فدرّس وحاضر في الجامعة الأردنية ، والجامعة اللبنانية ، وجامعة الجزائر ، وجامعة هلسنكي ، كما حاضر في جامعتي الكويت واليرموك . وكان له المشاركات الواسعة في المؤتمرات والندوات العلمية العربية والعالمية ، وقام بقسط وافٍ في المناصب العلمية الإدارية بجامعة دمشق ، قرأ قسم الدرامات الفلسفية والاجتماعية ، وكان وكيلاً لكلية الآداب وعميداً لها سنوات عدة .

كان الكتاب صديق الأستاذ العوا وجليسه طوال حياته ، فهو مشغوف بالمطالعة ، لا يفرّ عن القراءة والتقييد ، وقد واثته موهبة التعبير الجميل ، والأسلوب السلس ، فاستجاب لها ، وسلك في كتابته طريقي التأليف والترجمة ، وقدمّ لدنيا الثقافة والكتب مجموعتين من نفائس مؤلفاته وترجماته أغنى بهما المكتبة العربية ، وهياً للناشئة العربية الجني الطيب تزود منه بخير زاد ، ويفتح لها النوافذ لتطل على آفاق الفكر الواسعة .

صدر أول تأليف الأستاذ العوا (الفكر الانتقادي لجماعة أخوان الصفا) سنة ١٩٤٨ م ، وتابع الأستاذ طريقه بهمة وعزيمة لا يعرفان الكلال ، ليصدر كتابه الثالث والعشرون (مذاهب السعادة) سنة ١٩٩١ م .

وقدمّ أول كتبه المترجمة (المدنية : سراها و يقينها) سنة ١٩٥٧ م ، ليصدر كتابه المترجم التاسع والثلاثون (الحرية) سنة ١٩٩٠ .

إنه النتاج الطيب الوفير ، قد آتى أكله أضعافاً مضاعفة . لقد أعطى الأستاذ العوا فأكثر وأطاب ، ولم يُمسك ، وإنه ليحق له أن يزهى بما قدم ، وإننا لنعتزُّ بالزميل العزيز رفيقاً يؤازر ويسعف ، لتظل الفصحى اللسان المبين في كل المؤسسات والبيئات العلمية في الوطن العربي .

لقد أسعدني الحظ بصداقة الأستاذ العوا ، وقُدِّر لنا أن نعمل معاً فقد كان الأستاذ العوا عميداً لكلية الآداب ، وكنا نلتقي أسبوعياً في مجلس الجامعة طوال ثلاث سنوات (١٩٦٨-١٩٧١) ، فعرفنا فيه سماحة الخلق ، وحصافة الرأي ، وثقوب النظر ، وحسن التأتى لحل المشكلات .

أعود فأرحب بالزميل العزيز رفيق درينا في خدمة اللسان العربي المبين . وأدعو الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع ليتفضل بالقاء كلمة المجمع في استقبال الأستاذ العوا ، ويعرض سيرته العلمية ، ثم يُعقبه الأستاذ العوا فيسلقي كلمته التي يتحدث فيها عن اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عادل العوا

السيد العماد مصطفى طلاس نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع
سيادة وزير الأوقاف والسيد الأستاذ الدكتور نائب رئيس مجمع اللغة العربية
السادة الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية سيداتي سادتي .

حينما كُلفت من قِبَل مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق الكلامَ عن
السيرة العلمية للأخ الزميل والصديق العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا ،
احتفالاً باستقباله عضواً عاملاً في المجمع المذكور ، عادت بي الذاكرة إلى
عام ١٩٣٨ حينما أقام الأستاذ المرحوم جودت الهاشمي ، مدير الثانوية الأولى
بدمشق ، حفلاً تكريمياً للطلاب المتفوقين في نهاية الامتحان ، وكان
الدكتور العوا الأول في شعبة الفلسفة من الصف الثاني عشر في النظام
القديم .

وفي ذلك العام أعلنت وزارة المعارف في سورية عن مسابقة لإيفاد
عندٍ من حملة الشهادة الثانوية إلى فرنسا ، للتخصص في فروع العلم
المختلفة . وقد تقدم الدكتور العوا إلى امتحان تلك المسابقة للتخصص في
الفلسفة ، فنجح فيه بتفوق ثم سافر إثر ذلك إلى فرنسا ، وانتسب إلى
جامعة السوربون في باريس لتحضير شهادتي الليسانس والدكتوراه . وقد
شاءت الأقدار أن يحظى بالتلمذة على أيدي مجموعةٍ من خيرة أساتذة

الفلسفة في ذلك الحين ، كما كان المُشرف على تحضير رسالة الدكتوراه ورئيسُ لجنة الحكم العلامةُ والمستشرقُ الشهير لويس ماسينيون .
أما موضوعُ تلك الأطروحة التي قدمها عام ١٩٤٥ فكان (الفكرُ الانتقادي في رسائل أخوان الصفا) . لقد طُبعت هذه الرسائل ونُشرت عدة مرات ، في الهند والقاهرة وبيروت ، ولكن دون تحقيقٍ علمي صحيح أو دراسةٍ منهجية . لذلك انتخب الأستاذ العوا نسخة القاهرة ، المصححة والمنشورة من قبل المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي عام ١٩٢٩ . وقام بدراستها دراسة تحليلية ونقدية باللغة الفرنسية ، وخلصَ منها إلى النتائج الرئيسة الآتية :

لقد كان القصدُ من كتابة هذه الرسائل ونشرها الدعوة في مختلف الأوساط الاجتماعية والقومية والثقافية والدينية ، للانضمام إلى حركة أخوان الصفا ، يبلغ عددُ هذه الرسائل اثنتين وخمسين رسالة . وهي أشبهُ بمحاضرٍ جلسات لهذه الجماعة ، يثونها في الناس لشرح أفكارهم بأسلوبٍ علمي وفلسفي أصيل .

كانت حركة أخوان الصفا في أول أمرها متميزةً بتجاوز الانحياز إلى أي مذهب أو دين . وكان هدفها التقاء الناس كافةً على مذهبٍ إنساني يجمع ما سبقه وعاصرَه من مذاهبٍ وحركاتٍ دينية وفلسفية . كما امتازت حركتهم بنزعة اشتراكية بالإضافة إلى النزعة الإنسانية المثالية .

لقد قاموا بتصنيف الناس في أربع زمر ، فمنهم من رُزق العلم والمال ومنهم من حُرم منهما . ومنهم من رُزق العلم دون المال أو رُزق المال دون العلم . ولكي ينعم جميع هؤلاء الناس بالسعادة والخير يجبُ عليهم أن يتعاونوا في السراء والضراء ، وأن ينشروا العدل في صفوفهم ثم في مجتمعهم .
لقد أطلق أخوان الصفا على أنفسهم اسمَ أهل العدل وأبناء الحمد . وفي

تسميتهم أنفسهم بأهل العدل إشارةً جليةً إلى إجلالهم الاسم الذي هو أحبُّ الأسماءِ إلى المعتزلة .

إن الدراسة الموضوعية لرسائل أخوان الصفا ، والتحليل النقدي لنصوصها يُبين خصائص تفكيرهم ، مما يُبيح لنا تحديد هويتهم الثقافية واعتبارهم معتزلةً متأخرين .

تابع الأستاذ العوا بعد تخرجه ، دراسته للفكر العربي الإسلامي ، وعُني بنشر نصوص إسماعيلية في كتاب عنوانه « منتخبات إسماعيلية تُنشر لأول مرة » ، مع مقدمة وافية تشير إلى الحركة الإسماعيلية وتطورها .

ثم توسع بعد ذلك في بحث جانبيين أساسيين من الفكر الإسلامي وهما « علم الكلام والفلسفة » فنشر كتاباً بهذا العنوان عام ١٩٦٤ ، تحدث فيه عن مختلف الفرق الكلامية ، والمسائل الرئيسية التي عالجها أصحاب الكلام .

وفي مضمار الفلسفة العربية سبق الأستاذ العوا مؤرخي الفلسفة إلى تمييز تيارين في الفلسفة العربية المشرقية ، دعا أحدهما التيار الانتقادي ، وبحث فيه عن آراء ابن المقفع والنظام والجاحظ والمعرّي وأخوان الصفا . أما الفريق الثاني فهم الفلاسفة المسلمون الذي اهتموا بالتوفيق بين الشرع والفلسفة ، وكان منهم الكندي والفارابي وابن سينا . لقد امتاز الفريق الأول بنظرته الإنسانية الشاملة ، بينما اقتصر اهتمام الفريق الثاني على الإنسان المتدين المسلم .

وفي عام ١٩٨٧ نشر الأستاذ العوا كتاباً بعنوان (المعتزلة والفكر الحر) ، أوضح فيه أسباب ظهور حركة الاعتزال ، واعتبراها ارتكاساً تاريخياً وثقافياً وسياسياً ، على تطرف الخوارج المتزمتين ، وتراخي المرجئة السلسبيين . ثم حلل خصائص حركة المعتزلة من شتى الجوانب العقلية

والعلمية والانتقادية والإنسانية . وتحدث عن آراء بعض زعمائهم أمثال :
واصل بن عطاء والعلّاف والنظام والجاحظ والفوطي وابن أبي دواد
وغيرهم . وفي نهاية كتابه قدم بحثاً شاملاً عن تأثر المعتزلة وتأثيرهم ،
وأوضح استمرار روح الاعتزال في الفكر العربي والإسلامي إلى وقتنا
الحاضر .

لقد اهتم الأستاذ العوا بعلم الأخلاق ، إلى جانب اهتمامه بعلمي
الكلام والفلسفة ، فنشر منذ عام ١٩٥٨ كتاباً عنوانه « المذاهبُ
الأخلاقية » ، بين فيه مفهوم الأخلاق عند مختلف المفكرين والفلاسفة ،
منذ نشأة الفكر الأخلاقي في اليونان حتى المرحلة المعاصرة ، فأصبح البحثُ
الفلسفي في الأخلاق يندرج في مجال معاصر شامل تحت اسم (فلسفة
القيم) . ومن الفصول التي تناولها في كتابه هذا مذاهبُ المدرسة السقراطية
والأبيقورية والرواقية ، ومذهب ديكارت وسبينوزا وليبنز وكانت ، كما تحدث
عن الموسوعيين وروسو وأدام سميث ، وعن شبنهور وسبنسر ونيتشه
وبرغسون وسواهم .

وفي عام ١٩٦٠ نشر الأستاذ العوا كتاباً بعنوان (القيمة
الأخلاقية) ، توسع فيه في بيان النظرة المعاصرة لهذا المفهوم ، ثم تتابع بعد
ذلك ظهور عدة مؤلفات أخلاقية له ، نكتفي بالإشارة إلى عناوينها وهي :
(الوجدان) صدر عام ١٩٦١ - (أسس الأخلاق الاقتصادية) عام
١٩٨١ - (العمدة في فلسفة القيم) عام ١٩٨٦ - (الأخلاق والحضارة)
عام ١٩٨٩ - (أخلاق التهكم) عام ١٩٨٩ - (مذاهب السعادة) عام
١٩٩١ .

ومن مؤلفاته المهمة أيضاً ، والمتعلقة بالمطلب الأخلاقي ، كتابُ عنوانه
(من معالم الكرامة في الفكر العربي) صدر عام ١٩٦٩ ، وفيه بحث عن

الكرامة الإنسانية بين القديم والحديث . وقد بين المؤلف النظرة الإسلامية إلى هذا المفهوم في اللغة العربية والقرآن والتفسير . ثم انتقل إلى بحث هذا المفهوم في التاريخ العربي الإسلامي ، مبيناً معنى كرامة الرسول والخلفاء الراشدين ، وكرامة آل البيت في نظر السنة والشيعة ، ثم كرامة الأشراف .

وقدم بعد ذلك بحثاً انتقادياً عن كرامة الأولياء والمتصوفة ، يعيب فيه على الأخيرين غلوهم في سلب إرادة المرید ، خضوعاً بل رضوخاً لشيخه .

كما تصدّى أيضاً لمشكلة الرقّ والموالة ، وبيّن مفهوم الكرامة في الأخلاق ، وأتى على آراء المجتهدین في تحديد حقوق الإنسان المسلم والزواج والأب والمرأة والملك وأولي الأمر . وأشار أخيراً إلى موقف الأدباء والشعراء ، في مختلف العصور ، بصدد الكرامة القومية ، ومعركة الشعوية المتصلة بفضل العرب على العجم أو العكس . وانتهى إلى بيان الكرامة بالمعنى القومي والاجتماعي ، واتصالها بالمطالب الاقتصادية والاجتماعية .

لقد توقّف الأستاذ العوا طويلاً عند الكلام على كارثة فلسطين ، والكرامة العربية في نكسة عام ١٩٦٧ .

– وما تحسن الإشارة إليه قيام زميلنا بترجمة عدد وافر من كتب الأخلاق ، نذكر منها : (الفن والأخلاق) نشر عام ١٩٦٥ – (الانتحار والأخلاق) عام ١٩٨٧ – (الأخلاق والسياسة) عام ١٩٨٨ .

وفي الكتاب الأخير يشير المؤلف ، بعد تعريفات وافية ، إلى تناقض الأخلاق والسياسة . ويتقدم بمحاولات لحل هذا التناقض ، منتهاً إلى ما انتهى إليه أخوان الصفا وهو أن العدالة قيمة أساسية في حياة المجتمع ، وفي قيام سلطة شرعية ونجاح ممارستها . فالشعب يتكلم لغة العقل ، وهو يُعرب عن رأي المجتمع بأسره ، وأن رسالة الفلاسفة لم تبق في أن يحكموا المجتمع مباشرة ، بل هي تربية المواطنين وإعدادهم لحكم أنفسهم ، والإيمان

بأن الديمقراطية هي الأساس الوحيد المعقول للسلطة الشرعية .
 لقد أراد الأستاذ العوا أن يتوسع في مفهوم الكرامة ، باعتبارها نزعةً
 عالمية إنسانية ، فنشر عام ١٩٧٣ كتاباً عنوانه (من الشرف إلى الكرامة)
 يبين فيه تطور العادات في هذا المجال ، من تقديم الإنسان قرباناً للآلهة ، كما
 كان قرباناً في حالات الحرب والمجاعة والوباء والكوارث الطبيعية .
 ومن عوائق نضج هذا المفهوم القتل في سبيل الشار ، وقتل الزوج
 للزوجة أو العكس ، في حال الخيانة الزوجية ، وقتل الوالدين عند الهرم
 عقوقاً ، ووأد البنات صوناً للكرامة والعرض أو خوفاً من السبي .
 ويرى المؤلف أن الكرامة الإنسانية تنافي تقييد الحرية الموجودة في بعض
 العادات الإجتماعية ، كخضوع الأبناء والبنات لأوامر الأب أو الابن
 الأكبر ، وخضوع الفتاة القاصر للزواج ممن لا ترضاه .
 ولما كانت المرأة لما تزل تعتبر أدنى منزلةً من الرجل ، فقد رفض المؤلف
 هذه النظرة ، وأوضح ضرورة تحررها ومساواتها للرجل ، حفظاً لكرامتها .
 وفي بحثين آخرين يُبين الأستاذ العوا بعض أشكال الاستغلال ، المنافي
 للكرامة الإنسانية ، فطرح قضية الرق والقنانة ، والاستعمار والتمييز
 العنصري ، ولم يغفل نضال الأمم حالياً لمكافحة الرقيق الأبيض والبغاء .
 وفي الفصل الأخير من كتابه هذا يعالج مشكلات الحرب وكوارثها ،
 وينتهي إلى بيان سعي الدول لانقاذ الكرامة الفردية والجماعية ، أيام الأزمات
 والفتن والحروب ، عن طريق عقد المواثيق في ظل الأمم المتحدة .
 وفي إطار الفلسفة العامة ، التي أشرفت على جوانب التفكير المعاصر ،
 قام الأستاذ العوا بمجهود كبير ، فصنف أو ترجم مؤلفات كثيرة ومتنوعة ،
 نذكر من عناوينها : الفكر والتاريخ - التجربة الفلسفية - نهج الفلسفة
 والفلاسفة الإنسانيون - الفلسفة والتقنيات - الفكر الفلسفي المعاصر -

الثقافة الفردية وثقافة الجمهور .

ومن مؤلفات الأستاذ العوا المهمة ما يتصل بالإبداع الفني والإلهام . فقد نشر كتاباً عنوائه (مدرسة الآلهات) ، وهو من وحي الأسطورة اليونانية التي تقول بوجود ربّات للوحي ، في مجالات الشعر والتاريخ والرقص والموسيقى . ويبيّن فيه مفهوم العبقريّة في الفكر العربي ، مستشهداً بمؤلفات وآراء مجموعة من أدباء ومفكرين أجلاء ، منهم الشاعر خليل مردم ، الذي تكلم عن اللحظات الإشرافية التي يتم فيها الإبداع الشعري والفني بصورة عامة .

ومن المؤلفات الحديثة التي ترجمها الأستاذ العوا (حوار الحضارات) لروجيه غارودي ، المعروف بتطوره الفكري ، ونضاله في سبيل نصرة الحق ، ولو كان حقاً عربياً . وفيه يستعرض تاريخ الغرب ومستقبله ، انطلاقاً من وجهة نظر لا تتركز إلى أوروبا فحسب . ويرى أن الغرب ليس وحده مبدع القيم الإنسانية ، بل اشترك في ذلك جميع شعوب العالم القديم . لذلك لا مناص من إعداد نظام عالمي جديد ، يبدأ الحوار مع حضارات آسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية على السواء .

هذا ولما كان للإيديولوجيا في وقتنا الحاضر مفهوم كثير الشبوع ، فقد بحث الأستاذ العوا هذا العلم الجديد عبر ترجمته المتجسدة في ثلاثة مؤلفات متكاملة ، عشاوينها : « نقد المجتمع المعاصر - نقد الأيديولوجيات المعاصرة - الممارسة الأيديولوجية » . وهذه الكتب من تأليف الفيلسوف ريمون روييه ، الأستاذ بجامعة نانسي في فرنسا ، والباحث المعروف في علم الاجتماع . وفي مؤلفاته نقداً للمجتمع المعاصر ، الغارقي في خضم وسائل الإعلام الجماهيرية ، حيث لا يكاد الإنسان يفقه من آلياتها المعقدة وأهدافها الحقيقية شيئاً .

ولذا تبدو مؤسسات ووسائل الإعلام في العالم الثالث ، على اختلاف أنواعها ، متخلفة . كما يبدو الحاضر الاجتماعي قاصراً عن التهيؤ لاستقبال الغد . ومن هنا وجب تجاوز مجتمع البعد الواحد إلى المجتمع المتعدد الأبعاد ، وهذا يقود إلى انتقاد الأيديولوجيات المعاصرة بروح منفتحة ، ومستعدة للتطور ، لتجعل الممارسة الأيديولوجية أكثر فائدة ومواءمةً لحياة الإنسان في العصر القادم .

مما سبق يتبين لنا جودة وغزارة الإنتاج العلمي للزميل الكريم الأستاذ الدكتور عادل العوا الذي أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته القيمة والذي يعتبر بحق أحد المرئيين الأوائل، والمؤسسين لعلمي الأخلاق والفلسفة في بلادنا، ونحن نستقبله في هذه الأمسية عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ، راجين له دوام الصحة واستمرار العطاء .

ولنا كبير الأمل أن يكون انتماء الأعضاء الجدد لهذا المجمع فاتحة عهد ازدهار وتقدم لنشر العربية الفصحى والدفاع عنها تجاه الطامعين في تشويهها والقضاء عليها والسلام .

كلمة الأستاذ الدكتور عادل العوا

في حفل استقباله

اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية

العروبة انتاء محبة وولاء ، محبة الأمة العربية ، خير الأمم ، وولاءٍ
للخُلص الكَملة الفضلاء من عشاق الذود عن حياضها ، والنهوض
بإمكاناتها ، ولا سيما من بني جلدتها . وهل من يضارع رسل مجمع اللغة
العربية جهاداً صادقاً في سبيل الأمة العربية ولغتها الشريفة النامية ؟ إنهم ، كما
وصف (التوحيدي) جماعة (إخوان الصفاء) ، « مَنْ تألفت قلوبهم
بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة
والنصيحة » ، فنذروا جهودهم وجهادهم ، وأنفقوا مددهم وأعمارهم ، في
سبيل هذا الهدف السامي الرفيع ، والغرض الأسمى النبيل .

وإنه ليشرفني ، ويسعدني ، أن أرى حقبة أخيرة من حياتي الفانية
يتوجها تكريمٍ رفضتُ دونه كلُّ تكريم ، ويهيب بي وعي مسؤولية ثينة
غالية إلى مزيد من الشكر لمن جادوا باقتراح قبولي في هذه الندوة العريقة ،
وهم الأمانئ زملاء المستقبل ، والشكر والامتنان كذلك لسيادة الرئيس
القائد الذي أيد هذا الاقتراح وأقره بإفضال سابغ . وأخص بالشكر أوفره
الصديقين العزيزين الدكتور شاكر الفحام والدكتور محمد زهير البابا ، وقد
أغدقا علي من وحي عطفهما ثناءً ، كما شهدتم ، لا أجدني جديراً بأقله ،
فكيف أفوز بأكمله ؟

أيها السيدات والسادة .

إن ألفاً من السنين الأخيرة من تاريخنا ، تفصلنا عن نشاط (أخوان الصفاء) . فلنتمهل لحظة نبصر فيها بعض ما طرأ من فوارق ، وبعض ما ثبت من اهتمامات .

يتابع (التوحيدي) كلامه على جماعتهم ، حاكياً قولهم : « إن الشريعة قد دُنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية الحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية » .

وقد تمخض مسعاهم ، في الأحوال كلها ، عن رسائل كثيرة يشبه أن يكون مجموعها موسوعة تامة للمعارف الإنسانية السائدة في عصرهم ، من حساب وفلك وهندسة وموسيقا ، إلى العلوم الطبيعية والنفسية والدينية الناموسية أو الإلهية . فهم لم يعادوا علماً من العلوم ، ولا فناً أو صناعة أو أسطورة ، حتى السحر والعزائم والتنجيم . وقد تناولوا مصطلحات هذه الإحاطة الشاملة بالإيضاح والتدقيق ، وما زالت رسائلهم تشهد على حيوية اللغة العربية ، ونباهة الناطقين بها آنذاك ، وقد حققوا نصراً مبيناً في معركة التعبير عن كل ما خطر ببال بشر بلغة جليلة ، ومصطلحات مبتكرة ، ولم يفتّ في عضدهم عجز ولا قصور .

وها نحن أولاء بعد قرون عشرة نملك من أدوات المعرفة ، وأجهزة حفظها وتطورها ما لم يكن لهم به عهد ، ونطرح على أنفسنا تساؤلاً عن مراكز اهتمامنا العلمي والثقافي . أترانا نكرر عنايتهم بصلة الشريعة والفلسفة بمثل الصدق والعمق والحرية التي كانت تواكب بحوثهم ومناقشاتهم ؟

مطالب الجمعيين :

لقد أحببتُ ، بغية الإجابة ، أن أستلهم طرفاً من آراء السادة

المجمعيين ، فقرأت ما اتفق لي من الخطب الملقاة تقليدياً في حفلات استقبال الأعضاء العاملين الجدد ، فوجدت إجماعاً رائعاً ، وطبيعياً ، على الإشادة بلغتنا الحبيبة الشريفة « التي كرمها الله فأنزل بها كتابه المعجز ليكون هدى للعالمين »^(١) ، وهي « اللغة المقدسة التي تعلق في شموخها على سائر لغات العالم »^(٢) . وأنا أعلم أن (أخوان الصفاء) ، مثلاً ، يجلّون العربية كذلك بقولهم : « اللغة التامة لغة العرب ، والكلام الفصيح كلام العرب ، وما سوى ذلك ناقص . واللغة العربية في اللغات مثل صورة الإنسان في الحيوان ... وهي تمام اللغة الإنسانية ، وختام صناعة الكتابة ، ولم يحدث بعدها شيء ينسخها ، ولا يغيرها ، ولا يزيد لها ، ولا يُنقصها »^(٣) .

هذه الإشادة باللغة العربية ، وهذا الإيمان بتفوقها ، بل بتفرداها ، وربما بتقديسها ، قاسم مشترك ، وصلة متصلة بين أجيال الأمة العربية الواحدة في تاريخها التليد والطريف . أليست « أم اللغات » كما قيل^(٤) ؟ . بيد أن السادة المجمعيين ، جلّهم ، يعزفون عن « الميتافيزياء » القومية أو الدينية . وهم بذلك يختلفون عن الأسلاف المبجلين ، وإن آمنوا بأن « من أراد خيراً بهذه الأمة خدم لغتها وصانها من العابثين »^(٥) .

فمن « الخالدين » من يشكو « داء انتفاخ الأفكار » حين يُعبّر عن فكرة بسيطة بلفظة أكبر من هذه الفكرة « فيسرع التخر والبل إلى لغتنا ، ويتباعد ما بين عقليتنا وعقليات الأمم »^(٦) . ومنهم من يستخلص من ملكية الأجيال العربية لغتها ضرورة « أن ينضاف عن طريقها جديد إلى قديم » « لنواكب ما بين اللغة وبين الحياة قبل أن ينفصم الذي بينهما » « ونضمن للفكر العربي كله أن يعمل في طلاقة وحرية »^(٧) . ومنهم من يحذّر من الدعوات الفاسدة في مجال اللغة « لأن للغة في حياة الأمة العربية شأنًا

كبيراً ، وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم»^(٨) . وقد « تداعت على اللغة العربية الأمم : كبيرها وصغيرها »^(٩) ، كما أن « أخطر ما يهددها هو هذه الأمراض التي تساور بناءها الصحيح ، وتتسرب إلى بنايعها الثرة الصافية كالسُم الخفي »^(١٠) .

ويمضي مجمعون خطوات أخرى في درب المنحى الواقعي . فيرى الأستاذ نائب رئيس المجمع الدكتور (شاكر الفحام) « أن أمانة المجمع العربية تلتقي وأمانة الجامعات لتكون الفصحى لغة العلم والتعليم والإدارة والحياة اليومية في الوطن العربي » . و « العربية قادرة على الاستجابة لكل ما جدَّ ويجدُّ من كشوف في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية والتكنولوجية والإنسانية »^(١١) . ويطمح مجمعي عزيز إلى قيام مجمع موحد للغة العربية تسهم فيه الأقطار العربية كافة « نشداناً للوحدة الثقافية » التي هي « اللبنة الأولى في صرح الوحدة السياسية » ، وهي عنده كذلك « لبنة في مؤسسة أكاديمية واسعة تضم النابيين من المفكرين والأدباء واللغويين والعلماء »^(١٢) . وكان أستاذنا الدكتور (جميل صليبا) يطلب « إنشاء مجمع علمي واحد » . واكتفى الزميل (عبد الكريم زهور) « بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية ، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية .. تُوزَّع على المجمع الأعمال ، ثم تنظر في النتائج ، وتقرُّ ما تقرُّه ، وتعمِّمه »^(١٣) .

إن الأمنيات تعكس ، من الناحية الجدلية ، نقائص وعوزاً . فممَّ تشكو اللغة العربية والناطقون بها ؟ وما هي الجهالات التي دتت لغتنا الجميلة بعد أن دتت الشريعة الغراء ؟ وكيف السبيل إلى غسل اللغة وتطهيرها كما شاءوا غسل الشريعة بالفلسفة ؟

لقد نبّه الأمير (مصطفى الشهابي) إلى « مبلغ اتساع العلوم الحديثة اتساعاً يحير العقول . ورأى أن العلوم والفنون الحديثة تدهمنا من جميع

جوانبنا ؛ ومجامعنا اللغوية والعلمية بطيئة في وضع المصطلحات العربية»^(١٤) . بيد أن للقضية وجهاً آخر ، على الأقل ، يجدر بنا الالتفات إليه ، والعناية به . فلم يبق « انتفاخ الأفكار » هو المشكلة وحسب . وكذلك داء العجمة والرطانة العتيقُ جداً ، وهو يهدد اللغة الفصحى بمخطر ألا يجيدها إلا فئة من المتخصصين ، بعد أن ساءت أساليب تعليم اللغة وعلومها ، ومُنيت الأجيال الفتية بِنَفْرة منها ، وهبّت عواصف الشعوبية تدعو إلى اللغة العامية ، وتمارسها ، وتدّعي عجز لغة القرآن عن مواكبة مسيرة العلم والفن ، زاعمة أن من الخير أن يُستبدل بها اللغات الأجنبية ولا سيما في تدريس العلوم .

التفاعل التاريخي :

وهذا الوجه الآخر الذي نحب أن نلفت الانتباه إليه هو التفاعل التاريخي الراهن في عالمنا المعاصر ، حيث تضاعفت الأبعاد ، وقصرت المسافات ، وكثر التواصل بازدياد وثاب ، وصار للدول ذوات الوسائل الأحداث التأثيرُ الأقوى في توجيه الوقائع والأفكار . وبات من أثر التفاوت بين العوالم السياسية اضطرابُ الجشع ، وطغيان العدوانية الشمولية على الوجود العربي . ومن أخفى أسلحته تجاهلُ هذا الوجود ، وقصُر الاكتراث به على مسعى الاساءة إليه في السرّ أو العلن .. ومن هنا كانت دعاوى انتقاص الامكانيات العربية في كل مجال ، ومنها مجال الثقافة والعلم والفكر والأدب والفنون .

إننا نود إمطة اللثام عن بعض هذا التجاهل العالمي ، شبه العالمي ، وهو يتطلع إلى أن يُسقط من حساب الحضارة العالمية الثقافة العربية في سالفها وحاضرها ، ويسدّ الطريق أمام تطويرها ومستقبلها . وسبيلنا إلى ذلك سبيل ذلك الفيلسوف القديم الذي نهض وسار ليبرهن على إمكان الحركة بالحركة ، حاسماً على هذا المنوال تخبط المتخبطين .

وقد اخترنا للتمثيل على مشاركة ثقافتنا الثقافية العالمية إلماعات سريعة في ميدانين أساسيين هما : ميدان الشعور الديني ، وميدان الشعور الفلسفي . وغرضنا توضيح أن إسهام العرب غابراً وحاضراً في صنوف النشاط الإنساني كلها ، ومنها هذان المجالان ، يمنحنا الحق في متابعة الخطأ ، وغدّ السير لمواكبة ما بلغ الآخرون من المتقدمين في وقتنا ، بل حق/وواجب/الإسهام فيما يتصور المستقبليون من إمكانات قادمة لمصير الإنسانية ، الممكن والمحتمل .

المجال الديني :

ففي المجال الديني ، يرى المتتبع ، بادئ ذي بدء ، أن اللغة العربية تنم عن توافر الأغاط الابتدائية من الظاهرة الدينية في الجزيرة العربية قبل الإسلام . وهذا يعني أن للأمة العربية في غابرها إسهاماً في سيرورة الشعور الديني وتطوره من طوطمية ووثنية حتى التوحيدية . ولما ظهر الإسلام ، وتتابعت الدعوة إليه في ظل الدولة العربية فالأموية فالعباسية ، تأكد التفاعل الكلامي ، بل والصوفي ، مع ما يماثل هذين المنزعين في الديانتين السماويتين السابقتين . ونحن نعلم ، من ناحية أخرى ، أن البحث العلمي في الشؤون الدينية ما انفك يزداد أهمية وتنوعاً واتساعاً ، حتى في أقطار ليست الممارسة الدينية فيها أمراً لازماً كلياً . وقد واكب البحث الاعتقادي في كنه الدين بوجه عام بحثً متطور تبع نماء العلوم التاريخية والإنسانية : فكان من ذلك علم النفس الديني ، وعلم الاجتماع الديني ، وتاريخ الأديان ، والأديان المقارنة ، والظواهرية الدينية ، وآل الأمر حالياً إلى ما يسمى علم الأديان ، وهو مسعى يود العثور على جوهر التدين باستقراء معطيات الديانات كافة ، أعني حقيقة القداسة والمقدس .

وليس هنا مجال سرد كثير من التآليف العربية التي تمضي مع هذا

النشاط العلمي العالمي . ونكتفي بالإشارة إلى واقع مهم يبيّن الحرص على الانفتاح العربي العقلي والقومي المعاصر ، والمؤيد للتآزر الإنساني في حقل المعرفة الدينية ، وإن ظلت جوانب من هذه المعرفة تُعدّ قبل فترة وجيزة من العقائد السرية المكتومة عن غير مستحقيها .

ذاك مثلاً هو الانفتاح الذي نشاهده اليوم لدى بعض النزعات أو التيارات كالإسماعيلية التي أخذ معتنقوها ينشرون على الملأ ما كان مكتوماً ، ويذيعون ما كان محجوباً . ويحق للممعن أن يدرك بجلاء أن للفلسفة الباطنية جذوراً هي عينها الجذور التي نلقاها في الفلسفة الإسلامية الظاهرة . وما الفارق الأساس بينهما سوى فارق التأويل ، شأنه هنا كشأنه في كل مكان مماثل في سائر الديانات العالمية أن ينوس بين تفسير حرفي مرفوض ، وبين دلالات مجازية طريفة أو مبتكرة . ولا يخفى أن « جلاء العقول » العالمة بمزيد من جلاء جوانب هذه الفلسفة الباطنية إنما يسهم إسهاماً جليلاً في توحيد الشعور القومي العربي من ناحية ، ويضع في الوقت ذاته لبنة جديدة في صرح التكامل الثقافي العالمي من ناحية أخرى .

غير أن لهذا الصرح الديني العالمي جوانب مهمة أخرى كان للعرب والمسلمين فيها إسهام عظيم ناجع . من ذلك ما نعلم عن قصة الفكر الحر ونشأته وتطوره في جو الصراع العقائدي السياسي – الاجتماعي معاً . فقد طمّح رواقيو (رومه) إلى تحرير الإنسان العبد . وجاء المعتزلة بتحرير الإنسان الفكر . وأعقبهم كثيرون من طبقة (روسو) و (فولتير) و (مونتسكيو) و (دولباخ) و (لوك) و (ستورت مل) و (رينان) و (لوازري) . وانتهى الأمر إلى مقولة الفكر الحر ، وآل إلى صوغ شعارات عالمنا المعاصر المتقدم . تقول الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان : « لكل شخص الحق في حرية التفكير والاعتقاد والديانة » . وقد ألحف المعتزلة من

قبل على الدفاع عن الدين بتحرير العقل الإنساني ، راجين تحول حرية التفكير في الإسلام إلى فكر حر جهد المستطاع . رائدهم في ذلك آية قرآنية كريمة : « لا إكراه في الدين »^(١٥) ، وآية أخرى كذلك : « أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »^(١٦) . وقد امتد تأثير المعتزلة إلى فرق السنّة والجماعة والشيعة وإلى الفلاسفة و (المعري) و (مسكويه) ، وإلى الثقافة الأدبية واللغوية ، وإلى الثقافة الإسلامية غير العربية ، بل وإلى الفكر اليهودي .. ولئن نَحَفَت صوت المعتزلة مذهباً ، فإن الاعتزال ، بأصالته العربية والعالمية ، ما زال ينمو في دنيا البشر روحاً وموقفاً .

المجال الفلسفي :

لنتقل الآن إلى المجال الفلسفي بالمعنى الدقيق .

فقد أهمل مؤرخو الفلسفة الغربية الكلام ، إلا بنحو من الاستثناء ، على الفلسفة العربية ، وتجاهلوا إسهامها الثرّ والأساسي في نماء النشاط الفلسفي الغربي فإلحاحي ، وقلّ منهم من أنصف العرب والفكر العربي ، فوجب التنبّه إلى إحقاق الحق ، وإعادة الأمور إلى نصابها بإحلال النشاط الفلسفي العربي - الإسلامي محله الصحيح من تطور الفكر الفلسفي العالمي ، وغدا مُنكراً زعم (رينان) « أن الفلسفة العربية فلسفة إغريقية بحروف عربية » ! وقد فاته أن الفلاسفة العرب القدامى لم ينسجوا على منواله ، ولم ينظروا نظرة عرقية كمنظرته ، وإنما وجدوا أن الحقيقة ملك البشر كافة ، وإن ثمة قرابةً روحية ، ونسباً ثقافياً يتمّ عن اتصال تاريخي بين الشعوب والحضارات ، وإن انتقلت مراكز التميز من شعب إلى شعب ، ومن أمة إلى أخرى . آية ذلك إيمان (الكندي) بأن الحقيقة تراث مشترك بين الأمم على مرّ العصور ، وعلى الرغم من تفاوت المكان والزمان والديانة

واللغة والجنس .. وقد أوجب (الكندي) ، فوق ذلك أن يشكر اللاحق السابق الرائد . يقول : « من أوجب الحق ألا نذم من كان أحد أسباب منافعنا الهزلية ، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية » . فإنهم « كانوا لنا أنساباً وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم ... فينبغي أن نعظم شكرنا للآتين بيسير الحق ، فضلاً عما أتى بكثير من الحق إذ أشركونا في ثمار فكرهم » . وهذا الشكر والعرفان يتجدد لدى سائر الفلاسفة والمفكرين العرب والمسلمين ، حتى لدى (ابن رشد) ، المتميم بـ (أرسطو) ، وشارحه الشهير ، وصاحب مذهب الرشدية الذي كان له الأثر العميق في تطور الفكر الغربي عامة ، والتومائية بوجه خاص .

وقد رصد استاذنا المجمعي الدكتور (جميل صليبا) ، قبل ثلاثين عاماً^(١٧) ، الإنتاج الفلسفي العربي خلال المائة السنة الأخيرة ، وأشار إلى أن المشتغل بالفلسفة كان في العصور المظلمة يُرمى بالمروق من دينه ، ويتهم بالزندقة والإلحاد . ثم جاءت مراحل « مدّ البصر إلى أقصى حدود المعرفة . وعمد مؤلفون و مترجمون إلى وضع المصطلحات العربية للتعبير عن المعاني الفلسفية الحديثة ، فأغنوا لغتنا العربية بالألفاظ الفلسفية ، ومكثوها من التعبير عن دقائق الفكر الحديث . يقول : « إن العالم العربي لم يتمخض عن فيلسوف عربي كبير على طراز (أفلاطون) و (أرسطو) و (ابن سينا) و (ابن رشد) » . وإن ثمة أساتذة آثروا العناية بتاريخ الفلسفة « وألّفوا كتباً لا تخلو من النظر الدقيق ، والتحليل العميق » . ولكن الأستاذ الكبير ينتهي إلى تمييز اتجاهات كثيرة في الإنتاج الفلسفي المعاصر ، ليس أقلها الاتجاه المادي ، والعقلي ، والروحي ، والتكاملي ، والوجودي ، والشخصاني ، والعلمي » . وعندنا أن هذه الاتجاهات السبعة تدل على مشاركة العقل العربي في منازع مختارة من الفكر الغربي والعالم الراهن . ولكن هذه المشاركة تاريخياً أعرق من تأثر الباحثين المعاصرين بالاحتكاك

الجديد بالثقافة العالمية . فإذا رجعنا بالماعة إلى الماضي ألفينا الفلسفة العربية حلقة لازمة في تطور النشاط الفلسفي . وإن المشكلات التي طرحها في الإسكندرية الفكر اليهودي لدى (فيلون) ، والمسيحي لدى (أفلوطين) هي مشكلات علم الكلام ذاتها . ومن نظرية الفيض تمتح الفلسفة (الفارابية) و (السينوية) والفلسفات الباطنية التأويلية دون أن يغفل أي مفكر « تقويم » أفكار من سبقه ، فتجدهم يجلّون القدامى ، غير غافلين عن قصورهم تارة ، وأخطائهم تارات .

وقد عمدوا إلى تصحيح الغلط ، وتدارك النقص ، والمضي قدماً إلى حلول مبتكرة لمشكلات « ميتافيزيائية » مستعصية . ولم يشدّ نهجهم في هذا كله عن النهج العالمي في الفلسفة ، أعني الطريقة التفكيرية التي نشاهدها هي هي لدى (أفلاطون) ، و (الفارابي) ، و (ابن سينا) . وإن الجدل ذاته هو الذي يتيح للشيخ الرئيس بناء فلسفته بتعمق مفهوم واجب الوجود وتحليل ما ينطوي عليه هذا المفهوم تحليلاً خلفياً مشفوعاً باستطراد أمامي ، ويميز ربط معنى آله الفيلسوف بفكرة خلق العالم ، والانتفاء من ذلك إلى اتفاق الحكمة والشريعة ، والعقل مع النقل ، شأن الفلاسفة المسلمين إجمالاً ، وفلاسفة العصر الوسيط الأوربي بوجه أعم . بل إن (الغزالي) نفسه ، صاحب النفحة الإلهية ، والإشراق القلبية ، لا يبعد عن (ديكارت) في منطلق الشك المنهجي الموصل إلى يقين الكوجيتو (الديكارتي) من جهة ، وإلى ذي العزة والجلال بالذوق الصوفي عند (أبي حامد) ، من جهة أخرى .

المشاركة المعاصرة :

إن أستاذنا الجليل الدكتور (صليبا) لم يدرك منزعاً راهناً لاحقاً في الفكر الفلسفي المعاصر ، وهو المنزِع الذي يعي دقائق المشاركة العربية في

الثقافة العالمية ، وذلك بالانطلاق من واقع العروبة التي تواجه في هذه الفترة الأخيرة من القرن العشرين تألباً شبه عالمي يود القضاء عليها وتدميرها ، لولا أن الشعوب لا تموت ، وإن أمكن أن تحيق بها هزائم نكراء ، ونكسات ماحقة الفكر واللغة والثقافة جميعاً .

وهذا المنزع المعاصر محاولة نضالية هادفة تسعى ، في المرتبة الأولى ، إلى إعادة البرهان على حيوية الفكر العربي ، وعلى إمكاناته اللامحدودة ، واللامحددة ، بما لا يقل سطوعاً عن نصوص ما يتحلى به تراثنا العربي الماجد ، وتسعى ، في المرتبة الثانية ، إلى مشاركة حضارية في التقدم الإنساني على سلم المعمورة بأسرها . ونحن سنختار للتمثيل على هذا المنزع الثاني الإلماع إلى جانبي النظر والعمل ، فنختار أولاً في ميدان النظر العقلي ما يسمى اليوم مجال الأبتيمولوجيا أو نقد العلوم . ونختار ثانياً في ميدان العمل ما يعرف باسم فلسفة القيم ، وهو ميدان وسيع جد وسيع ، وله فروع بعضها جمالي فني فيه كلام على البلاغة ، ومن ضرورها التهكم . وبعضها الآخر أخلاقي ، ومن شعبه الحديث عن الفضيلة عامة ، وعن الكرامة الإنسانية بوجه التخصيص .

فقد بدأ مفهوم العقل في الفكر اليوناني القديم على صورة « هواء مفكر » في نظر (ديوجين الأبولوني) ، ثم أصبح « ناراً كونية » في نظر (هرقليط العجوز) ، وسما به (أناكساغور القلامازوني) إلى فكرة « المبدأ الروحي المدبر للكون » . وانحدر به المغالطون إلى درك التمويه الذكي طلباً للريح أو الجاه . فجاء (سقراط) ، ومن بعده (أفلاطون) فـ (أرسطو) ، وإذ ذاك استوى الفكر المنطقي القديم على سوقه ، ونهض العرب بنشاطهم الدؤوب ، وأسهموا في تنمية هذا كله ، وولّدوا من معنى العقل البسيط معاني شتى هي بلا ريب مشاركة ثمينة في رقي الفكر الإنساني العالمي .

لندكر من ذلك قبسة لغوية . العقل هو الحجى ، لإصابة الحجة به . وهو الحجر لحجره عن ركوب المناهي . والنهى لانتهاه الذكاء والمعرفة إليه . وهو اللب ، والملجأ ، والحبل ، والعقال ، والعاقل ، أو المعقول ، ذو مرة ، أي عقل ، لأن أصل المرة إحكام القتل . والعقل في الاصطلاح جوهر روحاني ، أو نور في القلب يعرف الحق والباطل ، أو هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات . وثمة عقل هيولاني ، وعقل بالملكة ، وعقل بالفعل . وفي مجال السلوك : إذا كان المرء في أول درجة العقل يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إن كان في أول حد الدهاء قيل له : شيطان . فإذا عتا في الطغيان قيل : مارد . فإذا زاد على ذلك قيل : عبقرى . فإذا جمع إلى خبثه شدة شر قيل : عفريت . وكذلك الجاهل : يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيق ، ثم الأنوك ، ثم الأحمق^(١٨) .

أتراها ألفاظاً عربية لأمة واحدة وحسب ، أم أن في مضمونها إغناء رائعاً لدلالات إنسانية عالمية يحسن بالآخرين أن يمتحوا منها قياً نفسية واجتماعية وسلوكية معاً ؟

العقل ، والمنطق ، والقسطاس المستقيم أو منطق الرحمن عند (الغزالي) ، ونقض المنطق لدى (ابن تيمية) ... وضروب الشروح على منطق (أرسطو) ، والروح الانتقادية المنطقية لدى (ابن المقفع) و (النظام) و (الجاحظ) و (المعري) و (اخوان الصفاء) و (أبي زكريا الرازي) .. كل ذلك يميز للنشاط العربي أن يشغل موقعه في نماء الفكر العقلي الإنساني العالمي . ولم يأل المعاصرون جهداً في مسعى اللحاق بركب التطور المنطقي من المنطق الصوري أو التقليدي إلى منطق التناقض والجدل الثلاثي فالمنطق الرمزي ومنطق الأولويات (الأكسيوماتيك) فالمنطق القيمي ومنه الاستمولوجيا أو نقد العلوم . وتكفي الإشارة إلى

ما نشرت وزارتا الثقافة والتعليم العالي بدمشق من آثار باحثين عالميين في هذا المجال المتقدم الأخير ، من طبقة (جان بياجه) و (غاستون باشلار) و (روبرت بلانشه) أو (اليونسكو) ...

ذلك أن لفظ الأستمولوجيا مركب من (ابستيمه)، وهي العلم ، و (لوجيا) ، أو المقال . وقد ذهب فريق إلى أن هذا المبحث يعني « علم العلم »^(١٩) ، أو أنه « نظرية المعرفة » .. أو أنه « فلسفة العلوم » كما يقول (لالاند) ، صاحب المعجم الفلسفي التقني الانتقادي . ولا مرء في أن هذا الاختلاف في التسمية يتم عن اختلاف في التحديد وفي الممارسة ، ويوجب عوداً موصولاً إلى تاريخ العلوم ، ومنطق العلوم ، وربما أتخذ نقد الفلسفة ذاتها موضوعاً أستمولوجياً ، فتصبح صنو ما يسمى التاريخ الفلسفي الانتقادي . وقد جنح (غاستون باشلار) إلى تمييز نوعين من الأستمولوجيا : إحداهما تنقد العلوم ، والأخرى تنقد الأدب .. ودعا إلى ما يسميه التحليل النفسي للمعرفة . وابتكر (جان بياجه) ما يدعوه الأستمولوجيا التكوينية ، وبعض آثاره فيها قيد الترجمة في وزارة التعليم العالي بدمشق ، كما أسهم مترجمون سوريون ، بإشراف هذه الوزارة ، منذ سنوات قليلة ، في نقل أفكاره الأساسية إلى اللغة العربية ، وأسهم سواهم من قطرنا ومن أقطار عربية أخرى في تنمية آراء (باشلار) ، وتعميق أفكار مدرسته .

فلسفة القيم :

وعلى غرار إسهام الفكر العربي في مراحل تطور المبحث المنطقي حتى الأستمولوجيا ، كان له إسهام حميد آخر في ميدان فلسفة القيم أو (الاكسيولوجيا) من ميادين الفكر العالمي المعاصر .

ومن خاصة هذا المبحث الطريف أنه علم يتناول ما هو ثمين ، كما

يقول (لافيل) . فهو يبحث القيم ويشكل فلسفة قيم أو نظرية قيم . وفي
مكنة الممعن في تاريخ الفكر الإنساني أن يكتشف بجلاء انطواء كل فلسفة
على معنى قيمي : قيم الخير ، والحق ، والجمال ، وما يتفرع عنها ، ويتصل
بها ، ويكملها في عصرنا ، وفي العصور اللاحقة . ومن الجائز قولنا : « إن
الإنسان حيوان مقوم » أو : « في البدء كانت القيمة » . والقيمة تصور
وواقع ووعي . بل إنها ووعي بتصور الواقع بالإضافة إلى ما يجب أن يكون .

لقد كان الفلاسفة والمفكرون الإنسانيون ، ومنهم مؤمنون
ومتكلمون ، ينشدون معنى الكمال . والكمال في حقيقته تشوف وتطلع ،
تجربة قيمية . وكل فلسفة ذات مطمح عملي هي فلسفة قيمة . إنها
حكمة . والحكمة اتخاذ العمل والسلوك (براكسيس) غرضاً للتأمل
والنظر . وإنما فلسفة القيم ، في آخر المطاف ، فلسفة تغيير العالم ، فلسفة
أنسنة الكون ، أي فلسفة تحديد الإنسان مصيره ومصير الوجود .

البشر كافة ، في جميع أصقاع الأرض ، يتحدثون بالثر أسلوبياً .
وبعضهم يجهل معنى النثر لأنه لا يضيفه إلى سواه ، كالشعر . وكذلك فإن
الناس قاطبة يمارسون القيم في حياتهم حتى اليومية ، من تغذية ، ودفع ،
وسكن ، إلى عقائد وعلاقات أسرية ومهنية واقتصادية . بيد أن جلهم
لا يفقه قوام ما يفعل . وما فلسفة القيم سوى ووعي هذه الممارسة بالذات ،
والتعبير عنها بدقة وجلاء . وقد كان للغة العربية ، والأدب العربي ، إسهام
رائع في تنمية هذا الوعي القيمي ، وإن تأخرت تسميته باسم الفلسفة
القيمية ؛ فمثل ذلك قد حدث في جميع الثقافات ، ولدى الأمم كلها ،
حتى مستهل القرن العشرين ، حيث مولد الوعي القيمي .

إننا نلمس بيسر روعة الرافد العربي منذ الإشارة إلى أقرب الأمثلة
اللغوية .

أمثلة لغوية :

تقول نظرية راجحة أن ليس بين الألفاظ العربية ترادف مطلق ، بل ثمة فويرقاتٌ تفاضل دقيقة تبلغ درجة الإذهاال في التعبير . فهذا (أبو منصور الثعالبي) ، مثلاً ، يمتنعنا بكلامه على أوصاف الإنسان السيد قائلاً^(٢٠) :

السيد : الحُلاحل ، وهو السيد الشجاع . والهُمام ، وهو السيد البعيد الهمة . والقُمقام ، وهو السيد الجواد . والغَطريف ، وهو السيد الكريم . والصنديد ، وهو السيد الشريف . والأروع ، وهو السيد الذي له جسم وجهارة . والكوثر ، وهو السيد الكثير الخير . والبهلول ، وهو السيد الحسن البشر . والمعمّم ، وهو المسود في قومه . ومثل هذا الإبداع التقويبي نجده في وصف المقامح . وما برح التضاد القيمي في ألفاظ المدح والقدح ، وتمايزها ، يغذيان - بتفاعلها - الإبداع الأدبي ، والمقامات ، والروايات ، وكتب المحاسن والمساوي ، والمحاسن والأضداد ، ويُعمران ميادين الفخر والهجاء .

قيل في مدح العقل : إنه يقلب الأمر إلى ضده ، والقيمة السلبية قيمة إيجابية . يقول (البستي) : « كفى بالعاقل فضلاً ... أن تُجعل البلادة منه حليماً ، والحدة ذكاءً ، والعيّ صمتاً ، والإسراف جوداً ، والإمساك تقديراً ، فلا تكاد ترى عاقلاً إلا موقراً للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد الأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ... لا يمدح أحداً إلا بما فيه »^(٢١) .

أما الأحق فإن له شياً كريهة كلها . من شيم الأحمق العجولة ، والخفة ، والعجز ، والفجور ، والجهل ، والمقت ، والوهن ، والمهانة ، والتعرض ، والتحاسد ، والظلم ، والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغبي ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ، والبغضاء^(٢٢) . إنها عشرون شيمة مذمة تشكل صورة تامة لإمكانات سلوك قيمي مرفوض ، لا ندرى

إن كانت اللغات المتقدمة الأخرى قد انتهت إلى ما يقارنها ، أو يدنو منها ، دون أن تزيد عليها . ونحسب أن في الأدب المقارن متسعاً رحباً لمثل هذه البحوث وأضرابها ، مما يتعلق حتى بالأمثال ، كل الأمثال ، وهي تنطوي على دلالات قيمة شديدة الاتصال بالوقائع ماضية ومتوقعة ، أو مفترضة ومتخيلة . ولكنها في الحق وقائع تعكس كذلك أمام الناظر المدقق أصداً صلات الأُم بعضها ببعض ، وتفاعل عاداتها ونخصالها ، وحتى أمزجتها وأيامها . ولو أتيحت لجائزة (نوبل) فرصٌ عادلة لكان نصيب الأدب العربي أكثر من بيضة ديك .

وهكذا نجد النشاط القيمي العربي يسهم في تطور النشاط العالمي ، وقد أصبح مفهوم القيمة في حقل السلوك الإنساني كمفهوم الطاقة أو القوة في العلم الحديث .

المقولات البلاغية : التهكم

لم يكن الفكر العالمي في طفولته ليفصل النظر عن العمل ، وقد ظل الإغريق القدامى يمزجون الفن النافع أو الصناعة بالفن الجميل . وكانوا يطلقون على الرجل المثالي كلمة تعني بأن واحد إنه صالح وجميل Kalos Agtos . وظل المعتزلة والمتكلمون يتحدثون عن الخير والشر باسم الحسن والقبح . وحرص المتصوفة على اتحاد شعوري الجمال والخير . ولكن الفكر الإنساني ما عثم أن تطور ، واقتربت القيم الرئيسة الثلاث بعضها عن بعض بادئ الأمر . ثم اشتد نماء فروعها فصار لكل فن أو قيمة مقولات متعددة يتفاوت تحديدها باختلاف المذاهب والثقافات . وليس بمستغرب أن نجد لغة الفصاحة ، وأمة الكلمة ، وتاريخ البيان تتيح لمثل (ابن حجة الحموي) تمييز ما ينوف على مائة وأربعين ضرباً من ضروب البلاغة ، وفنون البديع . منها ، على سبيل المثال : التهكم الذي نعته بأنه « نوع عزيز لعلو مناره ،

وصعوبة مسلكه ، وكثرة التباسه بالهجاء في معرض المدح ، وبالهزل الذي يراد به الحق .

والحق أن الناظر في هذا الفن يدرك عراقته في التاريخ البشري ، كما يدرك شأوه واستمراره . فقد امتدت جذوره إلى شتى الآداب والثقافات . وفي اللغة العربية كوكبة من المعاني الرهيفة التي تدور حوله دون أن تطابقه : كالفكاهة ، والدُّعابة ، والإضمار ، والمواربة ، والتلميح ، والتورية ، والتوهيم ، والالغاز .. إلخ .

وقد تهكم (الجاحظ) و (التوحيدي) و (ابن زيدون) فيما سلف . وتهكم في الحاضر كثيرون عندنا . وجرى في هذا السياق (سقراط) و (ارستوفان) و (مارسيال) و (جوفنال) ، ثم (رابله) و (شكسبير) و (مولير) و (فولتير) و (سوفت) و (مارك توين) و (برنارشو) و (بيير دانيوس) ...

والتهكم يحظى في ثقافتنا ، وفي بعض ظروف حياتنا ، كما في الثقافة العالمية المعاصرة ، بعناية عظمى جعلت أكثر من باحث يعدّه ذروة الفطنة ، ومنطلق الفكر الثالث ، وهو الفكر الهادف الضاحك الناقد : يلهو ويؤنب ، ويهدم لبني ، ويراوغ ليصدق ، يدّعي الجهل لينصر كلمة الحق ، ويهدم الوثنية و « الجمود » في الأعراف وفي الأفعال .

هكذا تشارك اللغة العربية ، ويشارك الذوق العربي ، في لون من أروع ألوان الذكاء الجمالي في العالم . وليس بمحال أن يطرأ ظرف يمتح فيه أكثر من أدب أجنبي من معين إرهافات البديع العربي : وما أرقّها وأدقّها ! وإن ما يُنقل الآن من العربية إلى لغات حية معاصرة ليشهد على هذا الإمكان .

ولكن المشاركة العربية في الثقافة العالمية لا تقتصر على مجالي الحقيقة والجمال . ذلك أن لقاءً متميزاً يجمعنا والبشر في حقل خصيب رئيس هو

حقّل العمل أو السلوك ، أي الأخلاق .. تُرى هل ثمة فضيلة عربية ؟ بمثل
تساؤلنا عن وجود إنسان عربي وأرض عربية ؟

العروبة : سجية حضارية

ليست العروبة ، كما أسلفنا ، قومية عنصرية ، ولا سُخْطاً أو تزمناً .
إنها مزاج حضاري كسائر أمزجة الأمم والأقوام . والمزاج الحضاري سجية
شعب حين يفترق عن بقية الشعوب ، وحين يُقرن بهذه البقية من
الشعوب .

وبقول آخر : إن خصائص الأمة تنحل في نهاية المطاف إلى ما يُكسبها
المدح والاعتزاز ، أو ما يجرّ عليها الذم والامتهان . ونحن ، بعفويتنا القومية ،
نعجب طوعاً ، ويسرنا فضل العرب على العجم ، كما قال (ابن قتيبة) (٣٣) .
وقد نغلو بجاهلية فتعني بالعجم كلّ من ليس عربياً . ومما يروقنا قول (ابن
المقفع) عن أجدادنا الأقدمين : « إن العرب لم تنزل في الجاهلية تتواصي
بالحلم والحياء والتذم ، وتتعاير بالبخل والغدر والسّفه ، وتتزه عن الدناءة
والمذمة .. وتوجب للجار حفظ الجوار فوق ما توجهه للحميم والشقيق » .

ولكننا ننظر اليوم بعقولنا إلى وقائع الوجود البشري ، ونرى أن في
الناس فضائل أيضاً . والفضيلة بمعناها الدقيق هي الاستعداد لفعل الخير .
وهي اختيار . وكذلك الرذيلة . ولم يبق ممكناً ، ولا مقبولاً ، أن يرجع
فكرنا القهقري إلى عصور الطفولة البشرية ، فنّدعي أن أمة ، أو قوماً ،
يمكن أن يتحلّى وحده بالفضيلة المطلقة ، وأن لا فضيلة لسواه ، أو أن يكون
شعب ، حتى الشعب العربي ، مالكاً باستثثار فضائل البشر كافة ، وأنه
ميراً من كل نقيصة أو مذمة أو عيب .

والقول الفصل في ذلك كله امتزاج موصول لدى الأفراد والأمم لبعض
فضيلة وبعض رذيلة . وهذه الأمشاج قوام الوجود الأخلاقي كما تجلوه اللغة
العربية ، ومفكروها المدرسيون .

الفضيلة العربية :

الفضيلة في « لسان العرب » هي الدرجة الرفيعة من الفضل . والتفاضل تمايز في الفضل . والفواضل هي الأيادي الجميلة . والإفضال الإحسان . وعند (أبي البقاء) الفضل هو كل عطية لا تلزم من يعطي . وهو بمعنى الزيادة . والفضيلة تدل على صفات الكمال من العلم ونحوه .. وهي ضد النقيصة ، ومجالها مجال الحكمة العملية من علم السلوك أو الأخلاق ، إلى علم السياسة ، أو تدبير المرء حياته ، وتدبير المنزل ، والمدينة ، والدولة ، فالمعمورة .

يقول (ابن المقفع) : « اختلف ثلاثة في العقل والدولة والعافية ، وتنازعوا أيهم هو الأفضل ؟ » وقصدوا حكياً قلب وجوه هذه القيم الثلاث ، وانتهى إلى التوفيق بينها « فصاروا هنالك شيئاً واحداً »^(٢٤) . وهذا هو الحل الذي اعتنقه في منتصف القرن العشرين الفيلسوف العلامة (شارل لالو) إذ عرض لتنافر قيم الفن والأخلاق ، ودرس تجاذبها وتناوبها . وانتهى في حلّ نزاعها إلى القول إن القيم كافة نلتقي في ذروة النظر المطلق^(٢٥) .

الكرامة الإنسانية :

إن النظر الإنساني إلى معنى المطلق يقود إلى حلّ المشكلات القيمة في مجالات الحقيقة والخير والجمال . ويكفي أن نشير هنا إلى دلالة مفهوم ذائع جداً كان فيه للغة العربية والفكر العربي اسهام كبير في مسار التطور الثقافي العالمي ، وأعني مفهوم الكرامة الإنسانية .

فعلى صعيد الشعور بالكرامة يتجلى النشاط العربي في جوانب رئيسة شتى : منها الجانب اللغوي والديني والتاريخي والمثالي . ألم تقل العرب : فلان كريم المَحْتَد ، والمَنْصِب ، والمَنْبِت ، والعُنْصُر ، والمُعْرَس ، والجَدْم ، والأرومة ، والنِجَار ، والأبوة ، والمنتضى ، والمُرْكَب ، والجُرْثومة ، والمنتضى .

وكذلك : فلان مُعَمِّم ، مُخول ، وفلان كريم الضُّئُضِيّ، والآصرة^(٢٦) .. الخ . وقد قال بعضهم ، وما أحسن ما قال : الكرم مثل الحرية ، إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ...

وإلى جانب المعطى اللغوي والأدبي نجد في الجانب الديني أن الكريم من صفات الله تعالى وأسمائه . وقد جاء في الذكر الحكيم لفظ الكرم والكرام والأكرم والمُكْرَم في خمسة وأربعين موضعاً . وجاءت كذلك الآية القائلة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(٢٧) . وفي هذه الآية إيماء إلى مساواة الذكر والأنثى من حيث القيمة والأرومة ، مع إمكان تفاوت الناس كافة من حيث العمل الصالح ، والفعل الكريم . ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

وهذه المساواة من جهة ، والمنافسة والمباراة من جهة أخرى ، ظلتا تصطرعان في التاريخ العربي - الإسلامي . فالمساواة كأسنان المشط ، أو أسنان الحمار ، لم تتحقق دوماً في أرض الواقع . وظلت ثمة فوارقٌ جنسية واجتماعية وقومية ، وربما عنصرية في بعض الأحيان . ولكن مطلب العزوف عن مساوئ الواقع ، وحصر المنافسة والحصام على المباراة في ابتغاء المزيد من التقوى ظل في الوقت ذاته ناشطاً في ميادين السياسة والمجتمع والاقتصاد والعلم . وهذا الجدل الحي بين واقع مرفوض ، ومثل أعلى مرموق أنجب إرهافاً نامياً في معطيات الثقافة العربية الإسلامية ، من الفقه حيث الرأي والقياس والاجتهاد ، إلى سائر المنجزات العلمية والتطبيقية المتصلة بقواعد السلوك التي تتيح للإنسان ، وتوجب عليه ، تحقيق إنسانيته الأتم ، وعزته النوعية الأكمل . وإن النشاط العربي لغوياً ودينياً وتاريخياً ومثالياً في درب وعي الكرامة الآدمية إنما هو إسهام عظيم ، ومشاركة حية في الثقافة العالمية ، ومن ورائها في تقدم ما يسمى الحضارة والمدنية على قدر سواء .

الحضارة والمدنية :

والحق أن في وسعنا هنا أن نستفيد من خصائص لغتنا العربية الغالية ، فنَمَيِّزُ معنى الحضارة ومعنى المدنية أحدهما عن صاحبه . فالحضارة قيمة إنسانية تدل على ما يغيّر به البشر معطيات الطبيعة . والثقافة جزء من الحضارة ، وإن كانت بعض اللغات تجعل الحضارة والثقافة بمعنى واحد . أما المدنية فإنها الغاية التي تنشدها البشرية كلّها وتتخذها في أيامنا هدفاً مشتركاً أسمى لكل فاعلية حضارية وثقافية معاً . إن الحضارة لا تكون صالحة ، ولا قيمة مبتغاة ، بل قد تسمي شراً ورذيلة وهمجية حين تنحازُ إلى القوة الغاشمة فتغفلُ القيم الإيجابية ، وترنُ يمينين : أحدهما للقوي أو للأقوى .

في الحضارة ثقافة عاجزة إن لم تؤيد بقوة الحق المبين . وفي الثقافة جهود عقلية وفكرية وعاطفية ، يخسر أصحابها ثمار نصّبهم إذا لم تؤتِ مشاركتهم أكلها في الحياة وفي الوجود . أما المدنية فهي المفهوم – القيمة المشتركة الأسمى التي تنسق وكرامة الإنسان الفرد ، والإنسان المجتمع . إنها مطمح الأخلاق والقانون والفكر والعمل ، والفلسفة والسلوك . وهي الديمقراطية ، والإخاء ، والتعاقد ، والوفاء : شمولها يمتد من مكافحة المجاعة والأوبئة والتلوث إلى توافر الأمن والرخاء ومساواة الناس بعضهم بعضاً ، إن لم نقل إحسان الإنسان إلى الإنسان .

وفي هذا الإطار القيمي الرحب ، وعلى هذا النحو من المشاركة التاريخية اللازمة ، تسهم ثقافتنا العربية ، عبّر لغتنا المعطاء ، إسهاماً وافياً في الثقافة العالمية ، وهو إسهام جدير بالإبانة والتقدير .

أيها السيدات والسادة :

إن هذا كله غيض من فيض رسالة المجمع الخالدة ، ينهض بها قادة أجلاء مجتميون .

طبتم عيشاً ، وأفضلتم سَمَاعاً ، وأجملتم صبراً ، فالشكر لكم ، والسلام عليكم .

الحواشي

- (١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا (مجلة المجمع - المجلد ٦٤ ج ٣ تموز ١٩٨٩) .
- (٢) د. عبد الكريم اليافي : حفل استقبال د. عبد الحليم سويدان (مجلة المجمع المجلد ٥٩ ج ٣ تموز ١٩٨٤) .
- (٣) أخوان الصفاء : الرسائل - تصحيح خير الدين الزركلي - القاهرة ١٩٢٨ ج ٣ الرسالة ١٧ ص ١٥٢ .
- (٤) جاء على لسان (فؤاد الخطيب) قوله :
وهل لعيوني ، قبل موتي ، أن أرى فتى عربياً يأنف الذل مقعداً ؟
يردّ على « أم اللغات » جلالها ويعمل للمجد الطريق معبداً ؟
(المجلة - العدد ٤٠ السنة ٤ أبريل - نيسان) ١٩٦٠ ص ٥٨) .
- (٥) د. عبد الحليم سويدان : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع - المجلد ٥٩ ج ٣ تموز ١٩٨٤) .
- (٦) شفيق جبري : حفل استقبال د. حكمة هاشم بتاريخ ١٩٥٤/٣/٢٥ .
- (٧) حفل استقبال د. شكري فيصل بتاريخ ١٩٦٣/٢/١ .
- (٨) حفل استقبال د. مختار هاشم بتاريخ ١٩٨٩/٥/١١ (مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج ٣ تموز ١٩٨٩ ص ٤٤٨) .
- (٩) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٥٥ ج ٣ تموز ١٩٨٠) .
- (١٠) د. عبد الكريم اليافي : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٥٢ ج ٣ تموز ١٩٧٧) .
- (١١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا (المصدر المذكور) .
- (١٢) د. إحسان النص : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج ٣ تموز ١٩٨٩ ص ٤٩٥) .
- (١٣) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله (المصدر المذكور) .
- (١٤) الأمير مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ط ٢ دمشق ١٩٦٥ ص ٣٢ وص ١٧٦ .
- (١٥) سورة البقرة / ٢٥٥ .
- (١٦) سورة يونس / ٩٩ .
- (١٧) د. جميل صليبا : الإنتاج الفلسفي خلال المائة السنة الأخيرة في العالم العربي (مجلة

حفلة استقبال الدكتور العوّا

١٥٨

- المجمع مجلد ٣٦ ج ٤ ومجلد ٣٧ ج ١) - وانظر : الفكر الفلسفي في مائة سنة (هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية - بيروت ١٩٦٢ ص ٣٩٣) .
- (١٨) أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت : مختصر تهذيب الألفاظ - تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي - بيروت ١٨٩٧ ص ١١٢ .
- (١٩) المعجم العام للعلوم الاجتماعية بإشراف (ج. تينس وآ. لامرور) باريز ١٩٧٥ - مادة أبستمولوجيا .
- (٢٠) أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي : فقه اللغة وسر اللغة العربية - القاهرة - بلايا ص ٢٢٦ .
- (٢١) أبو حاتم محمد بن حبان البستي : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - صححه مصطفى السقا - القاهرة ١٩٥٥ ص ١١ .
- (٢٢) المصدر السابق ص ١٠٣ .
- (٢٣) محمد كرد علي : رسائل البلغاء : كتاب العرب لابن قتيبة - (ط ٣ القاهرة ١٩٤٦ ص ٣٤٤) .
- (٢٤) المصدر السابق : يتيمة السلطان لابن المقفع (ص ١٤٦) .
- (٢٥) شارل لالو : الفن والأخلاق - ترجمة عادل العوا - دمشق ١٩٦٥ .
- (٢٦) عبد الرحمن بن عيسى الهمداني : الألفاظ الكتابية - القاهرة ١٩٣١ ص ٣١ .
- (٢٧) سورة الحجرات/ ١٣ .

في بيان نسبة كتاب (المنصوري) في الطب

الدكتور شاكر الفحام

١

كان أبو بكر محمد بن زكريا بن يحيى الرازي (٢٥١ - ٣١٣ هـ) (١) من أشهر علماء عصره ، جمع المعرفة بعلوم القدماء ، ويقول ابن أبي أصيبعة في صفته : « وكان [الرازي] من صغره مشتتياً للعلوم العقلية ، مشتغلاً بها ، ويعلم الأدب ، ويقول الشعر » (٢) . وقد أكبَّ على علم الكيمياء (الصنعة) ، وتمهَّر بالطب حتى كان فيه إمام وقته ، وأقبل على دراسة الفلسفة فبلغ فيها الغاية . دبرَّ مارستان الرِّيِّ ، ثم مارستان بغداد زماناً . وقد ألَّفَ فأكثر وأجاد ، وصنَّفَ في الطب الكتب النافعة (٣) ، وصنع فهرساً لمؤلفاته نقله ابن النديم في كتابه (٤) ، وتبعه في ذلك القفطي (٥) ، وعاد أبو الريحان البيروني فألف فهرساً لكتب الرازي (٦) . ثم ققى على أثرهما ابن

(١) فهرست كتابهاي رازي لأبي الريحان البيروني ، تح. الدكتور مهدي محقق : ١ ، ٤ ،

(٢) طبقات الأطباء : ٤١٤ .

(٣) الفهرست لابن النديم : ٣٥٦ ، طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٧ ، طبقات الأمم

لصاعد : ٨٣ ، وفيات الأعيان ٥ : ١٥٧ - ١٥٨ .

(٤) الفهرست : ٣٥٧ - ٣٥٩ ، ٤٢٣ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها ابن النديم :

(١٦٧) كتاب .

(٥) أخبار الحكماء : ٢٧٣ - ٢٧٧ .

(٦) فهرست كتابهاي رازي : ٥ - ١٨ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها البيروني :

(١٨٤) كتاب .

١٥٩

بيان نسبة كتاب المنصوري

١٦٠

أبي أصيبعة ، وكان كثيراً ما يتبع ذكر الكتاب بيان موضوعه وغرضه^(٧) .
ومن أبرز كتب الرازي الطيبة : كتاب الحاوي^(٨) ، وكتاب
المنصوري^(٩) .

وقد اختلف مترجمو الرازي في بيان مَنْ نُسب إليه المنصوري الذي
ألف له الرازي كتابه ، ووسمه باسمه . وهذه طائفة من أقوالهم :

١ - قال ابن النديم في الفهرست وهو يتحدث عن الرازي :
« ... وبينه وبين منصور بن إسماعيل صداقة ، وله ألف كتاب
المنصوري » .

- ثم عاد فعَدّد كتبه فقال : « كتاب المنصوري في الطب ، إلى
منصور بن إسماعيل (بن نوح بن نصر من ملوك
آل سامان) »^(١٠) .

٢ - وقال أبو الريحان البيروني وهو يسرد كتب الرازي :
« الكناش المنصوري ، عمله لمنصور بن أسد ، قرابة والي
خراسان »^(١١) .

٣ - وذكر ابن جلجل وهو يعدّد كتب الرازي : « ومنها
كتابه الذي بعث به إلى المنصور بن خاقان »^(١٢) .

(٧) طبقات الأطباء : ٤٢١ - ٤٢٧ ، وبلغ عدد الكتب التي عددها ابن أبي أصيبعة :
(٢٣٥) كتاب .

(٨) طبع كتاب (الحاوي) في ثلاثة وعشرين جزءاً ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بميدر آباد الدكن - الهند (١٩٥٥ - ١٩٧١ م) . ثم طبعته الدائرة طبعة ثانية .

(٩) طبع كتاب (المنصوري) في الكويت (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م) . وهو من منشورات
معهد المخطوطات العربية .

(١٠) الفهرست : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وذكر محقق الكتاب أن ما جاء بين هلالين فهو بخط
غير الخط الذي كتبت به المخطوطة .

(١١) فهرست كتابهاي رازي : ٦ .

(١٢) طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٧ .

٤ - وتحدث ابن أبي أصيبعة فأورد رواية ابن النديم في الفهرست ، ثم قال في موضع آخر : « وصنّف كتابه المنصوري للمنصور بن إسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر » ، وعاد فقال وهو يعدّد كتب الرازي : « كتاب المنصوري : ألفه للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان »^(١٣) .

٥ - وقال ياقوت الحموي وهو يتحدث عن مدينة الريّ : « ومن أعيان من يُنسب إليها أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم صاحب الكتب المصنفة . مات بالري ، بعد منصرفه من بغداد ، في سنة ٣١١ هـ ، عن ابن شيراز »^(١٤) . ثم قال بعد ذلك يذكر إسماعيل بن أحمد الساماني^(١٥) : « ... فرجع فنزل بظاهر الريّ ، ولم يدخلها ، فخرج إليه أهلها وسألوه أن يتولى عليهم ، ويكتب الخليفة في ذلك ويخطب ولاية الريّ ، فامتنع وارتحل عائداً إلى خراسان في ذي الحجة سنة ٢٨٩ هـ ، ثم جاء عهده بولاية الري من المكتفي^(١٦) وهو بخراسان ، فاستعمل على الري من قبله ابن أخيه أبا صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد فولياها ست

(١٣) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ .

(١٤) كثر الاختلاف في زمن وفاة الرازي . وذكر أكثر مترجميه أن وفاته كانت سنة ٣١١ هـ ، وجعلها البيروني سنة ٣١٣ هـ . وانظر بقية الأقوال في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤٢٠ ، وأخبار الحكماء للقفطي : ٢٧٢ .

(١٥) في معجم البلدان : « أحمد بن إسماعيل » ، ولعله سهو من المؤلف أو الناسخ ، فإسماعيل بن أحمد بن أسد تولى ملك السامانيين (٢٧٩ - ٢٩٥ هـ) ، وخلفه ابنه أحمد بن إسماعيل بن أحمد الذي تولى الملك (٢٩٥ - ٣٠١ هـ) . انظر تاريخ بخارى للنزخعي : ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ٧٤ ، ١١٧ - ١١٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ / سنة ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ هـ .

(١٦) ذكر ابن الأثير أن الخليفة المكتفي (وقد تولى الخلافة : ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) أنفذ عهداً إلى إسماعيل بن أحمد الساماني بولاية الري ، فسار إليها وبها محمد بن هارون ، فكانت بينهما وقعة ، فانهزم محمد ، ودخل إسماعيل الري (الكامل ٦ : ١٠٤ ، ١٠٧ / سنة ٢٨٩ هـ ، ٢٩٠ هـ) .

سنين ، وهو الذي صنف له أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم كتاب المنصوري في الطب ، وهو الكناشة . وكان قدوم منصور إليها في سنة ٢٩٠ هـ^(١٧) .

٦ - ونقل القفطي وهو يترجم لأبي بكر الرازي مقالة ابن جلجل في تفسير نسبة المنصوري ، ثم عاد فنقل عبارة ابن النديم^(١٨) .

٧ - أما ابن خلكان فقال في ترجمة الرازي : « وله أيضاً كتاب المنصوري المختصر المشهور وكان قد صنفه لأبي صالح منصور بن نوح بن نصر بن إسماعيل بن أحمد^(١٩) بن أسد بن سامان ، أحد الملوك السامانية ، فنسب الكتاب إليه وكانت وفاة أبي صالح المذكور في شوال سنة ٣٦٥ هـ^(٢٠) ، وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به . ثم رأيتُ نسخة كتاب المنصوري وعلى ظهره : ان المنصور الذي وسم الرازي هذا الكتاب باسمه هو المنصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح^(٢١) ، من ولد بهرام كور ، صاحب كرمان وخراسان ، وكنيته أبو صالح ... »^(٢٢) .

٨ - وقال الصفدي متحدثاً عن المنصوري : « صنفه لأبي صالح منصور بن نوح أحد ملوك السامانية »^(٢٣) .

(١٧) معجم البلدان (الري) .

(١٨) أخبار الحكماء : ٢٧٢ .

(١٩) أسقط ابن خلكان اسم أحمد الساماني الملقب بالشيد . والصواب : نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد » . وقد تولى أحمد بن إسماعيل الملك سنة (٢٩٥ - ٣٠١ هـ) . انظر الحاشية السابقة رقم (١٥) .

(٢٠) وهذا التاريخ يخالف رواية ابن الأثير الذي جعل وفاة أبي صالح في منتصف شوال سنة ٣٦٦ هـ . (الكامل ٧ : ٨١ / سنة ٣٦٦ هـ) . وانظر تاريخ بخارى : ١٣٣ ، ١٤٣ .

(٢١) الصواب : أحمد بن أسد .

(٢٢) وفيات الأعيان ٥ : ١٥٨ ، ١٦٠ .

(٢٣) الوافي بالوفيات ٣ : ٧٦ ، نكت الهميان : ٢٤٩ .

٩ - وقال الذهبي وهو يترجم للرازي : « وكتاب المنصوري ، صنفه للملك منصور بن نوح الساماني »^(٢٤) .

١٠ - وتحفظ نسختان من مخطوطات (المنصوري) التي اعتمدها محقق الكتاب بذكر الأمير الذي وسم الكتاب باسمه :

- جاء في نسخة تيمور : « قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : إني جامعٌ للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد » .

- وجاء في نسخة الأوقاف : « قال أبو بكر محمد بن زكريا المتطبب الرازي رحمه الله : إني جامعٌ للأمير سيدي وابن سيدي أبي صالح منصور بن إسحاق - أطال الله بقاءه - في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ، ومتحرراً في ذلك الاختصار والايجاز »^(٢٥) .

- ويذكر الأستاذ فؤاد سيد محقق كتاب طبقات الأطباء لابن جلجل أن مخطوطة الخزانة التيمورية تذكر في مقدمتها : « أما بعد فإني جامعٌ للأمير منصور بن إسحاق بن أحمد في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ... » ، ويمثلها ما جاء في نسخة آقاي حسين بطهران^(٢٦) .

٢

إن أقصر الطرق وأسلمها لحل هذا الخلاف هو العودة إلى كتب التاريخ . وتستطيع أن تتبين من مجمل ما قاله المؤرخون في حديثهم عن ملوك السامانية الذين قامت دولتهم في ما وراء النهر ، ثم ضموا إليها خراسان ، وكانت بخارى كرسياً مملكتهم ، وعلى هدي ما جاء في مقدمة كتاب

(٢٤) سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣٥٤ .

(٢٥) المنصوري في الطب (ط. الكويت - ١٩٨٧ م) : ١٧ .

(٢٦) طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٩ .

المنصوري (مخطوطة الأوقاف ، ومخطوطة الخزانة التيمورية التي ذكرها الأستاذ فؤاد سيد) أن الأمير الذي أهدى أبو بكر الرازي كتابه إليه ، ووسمه باسمه هو أبو صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد [بن سامان] ، كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ، وتسقط الأقوال الأخرى التي أثبتتها مترجمو الرازي ، لأنها تخالف حيناً ما أطلعنا عليه في كتب المؤرخين من أنساب السامانيين ، ولا تلائم الوقائع والأحداث حيناً آخر . ولقد شعر بالخرج المؤرخ الكبير ابن خلكان حين نسب المنصوري إلى أبي صالح منصور بن نوح الذي تولى الملك سنة (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ)^(٢٧) ، ولجأ إلى التكلف والتخمين ليصحح الرواية فقال : « وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به » .

٣

وهذه كلمة في التعريف بالأمير أبي صالح منصور .
كان أبوه إسحاق بن أحمد بن أسد بن سامان أمير سمرقند وفرغانة ، ولما تولى ملك السامانيين أبو نصر أحمد بن إسماعيل بن أحمد (٢٩٥ - ٣٠١ هـ) خلفاً لأبيه إسماعيل ، خاف عمه إسحاق فسجنه ثلاث سنين (٢٩٥ - ٢٩٨ هـ) ، ثم أطلقه^(٢٨) .
وقد استولى أبو نصر أحمد على سجستان سنة ٢٩٨ هـ ، فولّى ابن عمه أبا صالح منصور بن إسحاق عليها ، فظلّ بها حتى ثار الناس في سجستان سنة ٣٠٠ هـ وحبسوه ، ثم أفرجوا عنه بعد أن عادوا إلى الطاعة .
وتولى أبو صالح نيسابور سنة ٣٠٠ هـ^(٢٩) ، ولما قُتل ابن عمه

(٢٧) الكامل لابن الأثير ٦ : ٣٥٩ ، ٧ : ٨١ / سنة ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، وانظر الحاشية

السابقة رقم (٢٠) .

(٢٨) الكامل ٦ : ١١٨ ، ١٣٨ ، ١٤٥ / سنة ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ هـ .

(٢٩) الكامل ٦ : ١٣٧ ، ١٤١ - ١٤٢ / سنة ٢٩٨ ، ٣٠٠ هـ .

أبو نصر أحمد بن إسماعيل ملك السامانية سنة ٣٠١ هـ، واضطربت الأمور على الملك الساماني الجديد الصغير أبي الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل (٣٠١ - ٣٣١ هـ) وكثر المخالفون، رفع الأمير منصور راية الخلاف في نيسابور سنة ٣٠٢ هـ، ولكن الأيام لم تمهله، فمات في السنة نفسها (سنة ٣٠٢ هـ)، وقيل: مات مسموماً^(٣٠).

وتبقى رواية ياقوت في أن أبا صالح منصور بن إسحاق قد ولي الري ست سنين (٢٩٠ - ٢٩٦ هـ)، فهذه الرواية تفرد بها ياقوت، ولم أجد فيما اطلعت عليه من كتب المؤرخين ما يعضدها أو ينفيها.

وقد عُرف ياقوت بسعة الاطلاع، ووفور المعرفة، وتمكنه من مراجعة خزائن الكتب الغنية بالمؤلفات النفيسة النادرة، فأكمل بكلمته عن أبي صالح ما كان أغفله المؤرخون حين عددوا ولاية الري، وتحدثوا عن أحداثها.

وقد صنف أبو بكر الرازي للأمير أبي صالح منصور بن إسحاق كتاباً ثانياً هو كتاب الطب الروحاني. وقصّ في مفتحته بيان سبب تأليفه فقال: « جرى بحضرة الأمير - أطل الله بقاءه - ذكرُ مقالة عملتها في إصلاح الأخلاق، سألتها بعض إخواني بمدينة السلام أيام مقامي بها، فأمر سيدي الأمير - أيده الله - بإنشاء كتاب يحتوي على جُمَل هذا المعنى بغاية الاختصار والايجاز، وأن أسَمّه بالطب الروحاني، فيكون قريناً للكتاب المنصوري الذي غرضه في الطب الجسماني، وعديلاً له، لما قدّر - أدام الله عزّه - في ضمّه إليه من عموم النفع، وشموله للنفس والجسد.... »^(٣١).

(٣٠) تاريخ بخارى: ١٢٧، الكامل لابن الأثير ٦: ١٤٨ - ١٤٩/سنة ٣٠٢ هـ.

(٣١) رسائل فلسفية، نج. كراوس (القاهرة - ١٩٣٩ م) ١: ١٥.

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
في مطلع عام ١٩٩٢م (جُمادى الآخرة ١٤١٢هـ)
أ - الأعضاء العاملون

تاريخ دخول المجمع	الأعضاء العاملون	تاريخ دخول المجمع	الأعضاء العاملون
١٩٧٩	الدكتور محمد مروان محاسني		الدكتور عدنان الخطيب
١٩٨٣	الدكتور عبد الحلیم سويدان	١٩٦٠	« أمين المجمع »
١٩٨٨	الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٦١	الدكتور أمجد الطرابلسي
١٩٨٨	الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٦٨	الأستاذ المهندس وجيه السمان
١٩٨٨	الدكتور مختار هاشم		الدكتور شاكر الفحام
١٩٨٨	الدكتور محمد زهير البابا	١٩٧١	« نائب الرئيس »
١٩٩١	الدكتور عادل العوا	١٩٧٥	الدكتور عبد الرزاق قدورة
١٩٩١	الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٧٦	الدكتور محمد هيثم الحياط
١٩٩١	الأستاذ جورج صدقني	١٩٧٦	الدكتور عبد الكريم اليافي
١٩٩١	الأستاذ سليمان العيسى	١٩٧٦	الأستاذ أحمد راتب النفاخ
		١٩٧٩	الدكتور إحسان النص

١٦٧

أعضاء المجمع في مطلع ١٩٩٢

ب - الأعضاء المرسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع	تاريخ دخول المجمع
الجمهورية العربية السورية	
١٩٥٤	الدكتور ناصر الدين الأسد
	الدكتور سامي خلف حمارنة
	الدكتور عبد الكريم خليفة
	الدكتور محمود إبراهيم
	الدكتور محمود السمرة
الجمهورية التونسية	
	الأستاذ محمد المزالي
	الدكتور محمد الحبيب بلخوجة
	الدكتور محمد سويسي
	الدكتور رشاد حمزاوي
الجمهورية الجزائرية	
	الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي
	الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح
	الدكتور صالح الخرفي
المملكة العربية السعودية	
	الأستاذ حمد الجاسر
جمهورية السودان	
	الدكتور محي الدين صابر
	الدكتور عبد الله الطيب
فلسطين	
١٩٧٢	الدكتور إحسان عباس
١٩٨٥	الأستاذ أكرم زعير
الجمهورية اللبنانية	
١٩٧٢	الدكتور فريد سامي الحداد

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني .

أعضاء المجمع في مطلع ١٩٩٢

١٦٨

تاريخ دخول المجمع	الأستاذ	تاريخ دخول المجمع	الأستاذ
١٩٨٦	الأستاذ عبد الرحمن الفاسي		جمهورية مصر العربية
١٩٨٦	الدكتور محمد بن شريفة	١٩٧٧	الأستاذ محمود محمد شاكر
١٩٨٦	الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦	الدكتور رشدي الراشد
		١٩٨٦	الأستاذ وديع فلسطين
	الجمهورية العربية اليمنية		المملكة المغربية
	الأستاذ القاضي إسماعيل بن	١٩٧٨	الأستاذ الأخضر غزال
١٩٨٥	علي الأكوغ	١٩٨٦	الدكتور عبد الهادي التازي

أعضاء المجمع في مطلع ١٩٩٢ ١٦٩

ج - الأعضاء المرسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع	السويد	الاتحاد السوفيتي	تاريخ دخول المجمع
١٩٦٥	الأستاذ ديدرنيغ سفن	١٩٨٦	الدكتور غريغوري شرباتفوف
	الصين		اسبانية
١٩٨٥	الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ	١٩٤٨	الأستاذ اميليو غارسيا غومز
	فرنسة		إيران
١٩٨٦	الأستاذ اندره ميكيل	١٩٧٧	الدكتور محمد جواد مشكور
	فنلاند	١٩٨٦	الدكتور فيروز حريرجي
١٩٢٣	الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتن)	١٩٨٦	الدكتور محمد باقر حجتى
		١٩٨٦	الدكتور مهدي محقق
	النروج		ايطالية
١٩٢١	الأستاذ مورج	١٩٤٨	الأستاذ غبريل (فرنسيسكو)
	الجمسا		باكستان
١٩٢١	الأستاذ جير		الأستاذ محمد صغير حسن
١٩٢٨	الدكتور موجيك (هانز)	١٩٦٦	المعصومي
١٩٥٤	الدكتور اشتولز (كارل)	١٩٨٦	الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقى
	الهند		تركية
١٩٥٧	الأستاذ أبو الحسن علي	١٩٧٧	الدكتور فؤاد سزكين
١٩٨٥	الحسنى الندوي	١٩٨٦	الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو
١٩٨٦	الدكتور مختار الدين أحمد		
	الدكتور عبد الحليم الندوي		

أعضاء المجمع في مطلع ١٩٩٢

١٧٠

مدة تولّيه رئاسة المجمع

(١٩١٩ - ١٩٥٣)

(١٩٥٣ - ١٩٥٩)

(١٩٥٩ - ١٩٦٨)

(١٩٦٨ - ١٩٨٦)

رؤساء المجمع الراحلون

الأستاذ محمد كرد علي

الأستاذ خليل مردم بك

الأمير مصطفى الشهابي

الأستاذ الدكتور حسني سبيع

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ - الأعضاء العاملون

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة
١٩٥٥	١٩٢٠
الاستاذ محمد اليزم	الشيخ طاهر السمعوني الجزائري
الشيخ عبد القادر المغربي	١٩٢٦
١٩٥٦	١٩٢٨
« نائب الرئيس »	الاستاذ سليم البخاري
١٩٥٦	١٩٢٩
الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	الاستاذ مسعود الكواكبي
الاستاذ خليل مردم بك	١٩٣١
١٩٥٩	١٩٣٣
« رئيس المجمع »	الاستاذ أنيس سلوم
١٩٦١	١٩٣٤
الدكتور مرشد خاطر	الاستاذ سليم عنحوري
١٩٦٢	١٩٣٥
الاستاذ فارس الخوري	الاستاذ متري قنذلفت
الاستاذ عز الدين التنوحي	١٩٣٦
١٩٦٦	١٩٣٦
« نائب الرئيس »	الشيخ سعيد الكرمي
الاستاذ الأمير مصطفى الشهابي	١٩٤١
١٩٦٨	١٩٤٣
« رئيس المجمع »	الشيخ أمين سويد
الأمير جعفر الحسيني	١٩٤٥
١٩٧٠	١٩٤٧
« أمين المجمع »	الاستاذ عبد الله رعد
١٩٧١	١٩٤٨
الدكتور سامي الدهان	الشيخ عبد الرحمن سلام
الدكتور محمد صلاح الدين	١٩٥١
١٩٧٢	١٩٤٣
الكواكبي	الاستاذ رشيد بقدونس
١٩٧٥	١٩٤٥
الاستاذ عارف النكدي	الاستاذ أديب التقي
١٩٧٦	١٩٤٧
الاستاذ محمد بهجت البيطار	الشيخ عبد القادر المبارك
١٩٧٦	١٩٤٨
الدكتور جميل صليبا	الاستاذ معروف الأرنؤوط
	١٩٥١
	١٩٥٢
	١٩٥٣
	١٩٥٥
	١٩٥٣
	١٩٥٥
	« رئيس المجمع »
	الاستاذ محمد كرد علي
	الاستاذ سليم الجندي

أعضاء المجمع في مطلع ١٩٩٢

١٧٢

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة
	١٩٧٩	الدكتور أسعد الحكيم
١٩٨٥	١٩٨٠	الأستاذ شفيق جبيري
١٩٨٦	١٩٨٠	الدكتور ميشيل الخوري
	١٩٨١	الأستاذ محمد المبارك
١٩٨٦	١٩٨٢	الدكتور حكمة هاشم
١٩٨٨	١٩٨٥	الأستاذ عبد الكرم زهور عدي
		الدكتور شكري فيصل
		« أمين المجمع »
		الدكتور محمد كامل عياد
		الدكتور حسني سبيع
		« رئيس المجمع »
		الأستاذ عبد الهادي هاشم

١٧٣

أعضاء المجمع في مطلع ١٩٩٢

ب - الأعضاء المرسلون الراحلون من الأقطار العربية

تاريخ الوفاة	الأستاذ	تاريخ الوفاة	الأستاذ
١٩٣٨	الأستاذ ميخائيل الصقال		المملكة الأردنية الهاشمية
١٩٤١	الأستاذ قسطنطين الحمصي	١٩٧٠	الأستاذ محمد الشريقي
١٩٤٢	الشيخ سليمان الأحمد		الجمهورية التونسية
١٩٤٣	الشيخ بدر الدين النعماني	١٩٦٨	الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
١٩٤٨	الأستاذ ادوار مرقص	١٩٧٠	الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور
١٩٥١	الأستاذ راغب الطباخ	١٩٧٣	الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور
١٩٥١	الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٧٦	الأستاذ عثمان الكعك
١٩٥٦	الشيخ عيد الحميد الكيالي		الجمهورية الجزائرية
١٩٥١	الشيخ محمد زين العابدين	١٩٢٩	الشيخ محمد بن أبي شنب
١٩٥٦	الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٦٥	الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي
١٩٥٧	الطبيب مار اغناطيوس افرام	١٩٧٩	محمد العيد محمد علي خليفة
١٩٥٨	المطران ميخائيل بنحاش		المملكة العربية السعودية
١٩٦٧	الأستاذ نظير زيتون	١٩٧٦	الأستاذ خير الدين الزركلي
١٩٦٩	الدكتور عبد الرحمن الكيالي		جمهورية السودان
	الأستاذ محمد سليمان الأحمد		الشيخ محمد نور الحسن
١٩٨١	(بدوي الجبل)		الجمهورية العربية السورية
١٩٩٠	الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٢٥	الدكتور صالح قنباز
	الجمهورية العراقية	١٩٢٨	الأب جرجس شلحت
١٩٢٤	الأستاذ محمود شكري الألوسي	١٩٣٣	الأب جرجس منش
١٩٣٦	الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٣	الأستاذ جميل العظم
١٩٤٥	الأستاذ معروف الرصافي	١٩٣٣	الشيخ كامل الغزي
١٩٤٦	الأستاذ طه الراوي	١٩٣٥	الأستاذ جبرائيل رباط
١٩٤٧	الأب انستاس ماري الكرملي		
١٩٦٠	الدكتور داود الجلبي الموصلبي		
١٩٦١	الأستاذ طه الهاشمي		

أعضاء المجمع في مطلع ١٩٩٢

١٧٤

تاريخ الوفاة	الأستاذ	تاريخ الوفاة	الأستاذ
١٩٥٧	الأستاذ عادل زعيتر	١٩٦٥	الأستاذ محمد رضا الشيببي
	الأب أوغسطين مرمجي	١٩٦٩	الأستاذ ساطع الحصري
١٩٦٣	الدومنيكي	١٩٦٩	الأستاذ منير القاضي
١٩٧١	الأستاذ قدرى حافظ طوقان	١٩٦٩	الدكتور مصطفى جواد
	الجمهورية اللبنانية	١٩٧١	الأستاذ عباس العزاوي
١٩٢٥	الأستاذ حسن بيهم	١٩٧٢	الأستاذ كاظم الدجيلي
١٩٢٧	الأب لويس شيخو	١٩٧٣	الأستاذ كمال إبراهيم
١٩٢٧	الأستاذ عباس الأزهرى	١٩٧٧	الدكتور ناجي معروف
١٩٢٩	الأستاذ عبد الباسط فتح الله		البطريك اغناطيوس يعقوب الثالث
١٩٣٠	الشيخ عبد الله البستاني	١٩٨٠	
١٩٣٠	الأستاذ جبر ضومط	١٩٨٣	الدكتور عبد الرزاق محيي الدين
١٩٤٠	الأستاذ أمين الريحاني	١٩٨٣	الدكتور إبراهيم شوكة
١٩٤١	الأستاذ جرجي نيني	١٩٨٣	الدكتور فاضل الطائي
١٩٤٥	الشيخ مصطفى العلايني	١٩٨٤	الدكتور سليم النعيمي
١٩٤٦	الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٨٤	الأستاذ طه باقر
	الأستاذ بولس الخولي	١٩٨٤	الدكتور صالح مهدي حنتوش
١٩٤٦	الأمير شكيب أرسلان	١٩٨٥	الأستاذ أحمد حامد الصراف
١٩٥١	الشيخ إبراهيم المنذر		الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
١٩٥٣	الشيخ أحمد رضا (العالمي)	١٩٨٨	
١٩٥٦	الأستاذ فيليب طرزي	١٩٩٠	الدكتور جميل سعيد
١٩٥٧	الشيخ فؤاد الخطيب		فلسطين
١٩٥٨	الدكتور نقولا فياض	١٩٢١	الأستاذ نخلة زريق
١٩٦٠	الشيخ سليمان ظاهر	١٩٤١	الشيخ خليل الخالدي
١٩٦٢	الأستاذ مارون عبود	١٩٤٧	الأستاذ عبد الله مخلص
	الأستاذ بشارة الخوري	١٩٤٨	الأستاذ محمد اسعاف الشاشيبي
١٩٦٨	(الأخطل الصغير)	١٩٥٣	الأستاذ خليل السكاكيني
١٩٧٦	الأستاذ أمين نخلة		

١٧٥

أعضاء المجمع في مطلع ١٩٩٢

تاريخ الوفاة

١٩٤٨	الأستاذ أنطون الجميل
١٩٤٩	الأستاذ خليل مطران
١٩٤٩	الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
١٩٥٣	الأستاذ محمد لطفي جمعة
١٩٥٤	الدكتور أحمد أمين
١٩٥٦	الأستاذ عبد الحميد العبادي
١٩٥٨	الشيخ محمد الخضر حسين
١٩٥٩	الدكتور عبد الوهاب عزام
١٩٥٩	الدكتور منصور فهمي
١٩٦٣	الأستاذ أحمد لطفي السيد
١٩٦٤	الأستاذ عباس محمود العقاد
١٩٦٤	الأستاذ خليل ثابت
١٩٦٦	الأمير يوسف كمال
١٩٦٨	الأستاذ أحمد حسن الزيات
١٩٧٣	الدكتور طه حسين
١٩٧٥	الدكتور أحمد زكي
١٩٨٤	الأستاذ حسن كامل الصيرفي
١٩٨٥	الأستاذ محمد عبد الغني حسن
	المملكة المغربية
١٩٥٦	الأستاذ محمد الحجوي
١٩٦٢	الأستاذ عبد الحي الكتاني
١٩٧٣	الأستاذ علال الفاسي
١٩٨٩	الأستاذ عبد الله كنون
١٩٩١	الأستاذ محمد الفاسي

تاريخ الوفاة

١٩٧٧	الأستاذ أنيس مقدسي
١٩٧٨	الأستاذ محمد جميل بيهم
١٩٨٦	الدكتور صبحي الحمصاني
١٩٨٧	الدكتور عمر فروخ
	الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
١٩٨٥	الأستاذ علي الفقيه حسن
	جمهورية مصر العربية
١٩٢٤	الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
١٩٢٥	الأستاذ رفيق العظم
١٩٢٧	الأستاذ يعقوب صروف
١٩٣٠	الأستاذ أحمد تيمور
١٩٣٢	الأستاذ أحمد كمال
١٩٣٢	الأستاذ حافظ إبراهيم
١٩٣٢	الأستاذ أحمد شوقي
١٩٣٣	الأستاذ داود بركات
١٩٣٤	الأستاذ أحمد زكي باشا
١٩٣٥	الأستاذ محمد رشيد رضا
١٩٣٥	الأستاذ أسعد خليل داغر
١٩٣٧	الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٩٣٨	الأستاذ أحمد الاسكندري
١٩٤٣	الدكتور أمين المعلوف
١٩٤٣	الشيخ عبد العزيز البشري
١٩٤٤	الأمير عمر طوسون
١٩٤٦	الدكتور أحمد عيسى
١٩٤٧	الشيخ مصطفى عبد الرازق

أعضاء المجمع في مطلع ١٩٩٢

١٧٦

ج - الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

تاريخ الوفاة

تاريخ الوفاة

تاريخ الوفاة	العضو	تاريخ الوفاة	العضو
	إيطالية		الاتحاد السوفيتي
١٩٢٥	الأستاذ غريفي (أوجينيو)		الأستاذ كراتشكوفسكي
١٩٢٦	الأستاذ كياتاني (ليون)	١٩٥١	(أغناطيوس)
١٩٣٥	الأستاذ غويدي (اغنازيو)		الأستاذ برتل
١٩٣٨	الأستاذ نلليو (كارلو)	١٩٥٧	(ايفسكي ادوار دو فيتش)
	باكستان		اسبانية
١٩٧٧	الأستاذ محمد يوسف البنوري		الأستاذ آسين بلاسيوس
	الأستاذ عبد العزيز الميمني	١٩٤٤	(ميكل)
١٩٧٨	الراجكوتي		المانية
	البرازيل	١٩٢٨	الأستاذ هارتمان (مارتين)
١٩٥٤	الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٣٠	الأستاذ ساخاو (ادوارد)
	الأستاذ رشيد سليم الخوري	١٩٣١	الأستاذ هوروفيتز (يوسف)
١٩٨٤	(الشاعر القروي)	١٩٣٦	الأستاذ هوميل (فريتر)
	البرتغال	١٩٤٢	الأستاذ ميتفوخ (أوجين)
١٩٤٢	الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٨	الأستاذ هرزفلد (أرنست)
	بريطانية	١٩٤٩	الأستاذ فيشر (أوغست)
١٩٢٦	الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٥٦	الأستاذ بروكلمان (كارل)
١٩٣٣	الأستاذ بقن (انطوني)	١٩٦٥	الأستاذ هارتمان (ريشارد)
١٩٤٠	الأستاذ مرغليوث (د. س.)	١٩٧١	الدكتور ريتز (هلموت)
١٩٥٣	الأستاذ كرينكو (فريتر)		ايران
١٩٦٥	الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٤٧	الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
١٩٦٩	الأستاذ اريري (أ.ج.)	١٩٥٥	الأستاذ عباس إقبال
١٩٧١	الأستاذ جيب (هاملتون ا.ر.)	١٩٨١	الدكتور علي أصغر حكمة

تاريخ الوفاة	تاريخ الوفاة
١٩٥٨ الأستاذ دوسو (رينه)	بولونية
١٩٦٢ الأستاذ ماسينيون (لويس)	الأستاذ (كوفالسكي)
١٩٧٠ الأستاذ ماسيه (هنري)	تركية
١٩٧٣ الدكتور بلاشير (ريجيس)	الأستاذ أحمد اتش
الأستاذ كولان (جورج)	الأستاذ زكي مغامر
١٩٨٣ الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٣٢
المجر	تشيكوسلوفاكية
١٩٢١ الأستاذ غولدزبير (اغناطيوس)	الأستاذ موزل (ألوا)
١٩٧٩ الأستاذ ماهلر (ادوارد)	الدانمرك
النمسا	الأستاذ بوهل (فرانز)
الدكتور اشتولز (كارل)	١٩٣٨ الأستاذ استروب (مجي)
الهند	١٩٧٤ الأستاذ بدرسن (جون)
١٩٢٧ الحكيم محمد أجمل خان	السويد
هولاندا	الأستاذ سيرستين (ك. ف)
١٩٣٦ الأستاذ هورغرونج (سنوك)	سويسرة
الأستاذ اراندونك (ك فان)	١٩٢٧ الأستاذ مونت (ادوارد)
١٩٤٣ الأستاذ هوتسا (مارتينوس)	١٩٤٩ الأستاذ هيس (ج. ح)
١٩٧٠ الأستاذ شخت (يوسف)	فرنسة
الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٢٤ الأستاذ باسيه (رينه)
١٩٤٣ الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٢٦ الأستاذ مالانجو
١٩٤٨ الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٢٧ الأستاذ هوار (كليمان)
١٩٥٦ الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٢٨ الأستاذ غي (ارثور)
١٩٧١ الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٢٩ الأستاذ ميشو (بليز)
١٩٧٨ الدكتور فيليب حتي	١٩٤٢ الأستاذ يوف (لوسيان)
	١٩٥٣ الأستاذ قران (جيريل)
	١٩٥٦ الأستاذ مارسيه (وليم)

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأخير من عام ١٩٩١

أ - الكتب العربية

وفاء تقي الدين

- آثار الشابي وصداه في الشرق - أبو القاسم محمد كرو - دار المغرب العربي ، تونس ، بيروت ١٩٨٨ م .

- أجمل قصص الأطفال (جزءان) - ترجمة وتقديم د. عبده عبود ، وفريزة التجار - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- أدهم إسماعيل قراءة في ثلاثة أبعاد - خليل صافية - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- الأرض وأسرارها - جورجيت بارتلمي ، ترجمة المهندس ميشيل خوري - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- أساطير جبل كومكانغ - ترجمة سامي كعكي - دار النشر باللغات الأجنبية ، بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

- الاشتراكية - إعداد وتقديم محمد كامل الخطيب - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (الجزء الأول في قسمين) – تأليف ابن شداد عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ، تحقيق يحيى زكريا عبّارة – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- أعلام الموسيقى الرومانتيكية – ميلتون كروس ، ترجمة آية حمزاوي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- أفلامنا وأفلامهم – تأليف ساتيا جيت راي ، ترجمة عبد الكريم ناصيف – منشورات وزارة الثقافة ، المؤسسة العامة للسينما ، دمشق ١٩٩١ .
- اقتصاد الانتفاضة الوطنية العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة – د. عصام الزعيم – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الإملاء المحصر في شرح غريب السير (٣ أجزاء) – أبو ذر مصعب بن أبي بكر محمد بن مسعود الحشني ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني – دار البشير .
- أمير المدينة الفضائية – جان السيندريني ، ترجمة عطا نعيسه – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- إنسان ومال (حكاية مصورة) – رسم تشاي زوسوب – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .
- أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات إقليمية – أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة (الدورات) – مدريد ١٤١٠هـ ، الرباط ١٩٩٠م .
- الإوزة البيضاء وقصص أخرى – بول جيليكو ، وجولس فيرن ، ترجمة أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،

الكتب والمجلات المهداة

١٨٠

دمشق ١٩٩١ .

– بيان اللجنة التمهيدية إلى العالم العربي (دائرة المعارف العربية) – رئيس اللجنة عضو المجمع العلمي العربي بدمشق رشيد بقدونس (المتوفى سنة ١٩٤٣) .

– البيت الأخضر – ماريو فارغاس ليوسا ، ترجمة رفعت عطفة – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
– تطوير الإعلام في الدول العربية الاحياجات والأولويات – إعداد يحيى أبو بكر ، سعد لبيب ، حمدي قنديل – اليونسكو .

– التقنين الدولي للوصف السيليوغرافي (المواد الخرائطية) – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

– التيسير في المداواة والتدبير – أبو مروان عبد الملك بن زهر ، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة التراث ، الرباط ١٩٩١ .

– الثقافة العربية الإسبانية عبر التاريخ ، دراسات وأبحاث – عدد من الباحثين والمحاضرين ، صنفات المحاضرات ونسقتها باسمه الجزائري – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– ثلاث سنوات ومائتان وواحد وتسعون يوماً – سيرو خزاتيان ، ترجمة نزار خليلي ، مراجعة شوكت يوسف – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– جذور الحجارة (قصص) – فائز الزبيدي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– الجمال الأسود – آنا سويل ، تعريب أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– جيمس والدراقة الضخمة – رولد داهل ، ترجمة هاني الصالح –

- منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- حركة الإصلاح بتونس في الثلث الأول من القرن العشرين – ندوة دولية أيام ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ أكتوبر ١٩٩١ بدار الثقافة ابن خلدون ، تونس .
- الحركة العمالية – آلان تورين ، ميشيل فيغوركا ، فرانسوا دوييه ، ترجمة عيسى عصفور – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الحظ السعيد والعائر لمول فلاندرز الشهيرة – دانييل ديغو ، ترجمة خالد حداد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الحق في الاتصال : تقرير عن الوضع الحالي – تقارير ودراسات في مجال الاتصال الجماهيري – اليونسكو .
- حكايات جديدة لجلدي نعمت – نعمت فوق العادة الحفار – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- حلب ، أسواق المدينة ١٩٢٧ – ١٩٨٠ – الدكتور محمود حرياني – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- حل مسألة الضرائب في كوريا – الدكتورة المرشحة كيم يونغ هي – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .
- حول مهمات الشباب في بناء الاشتراكية – كيم ايل سونغ – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .
- دراسات في الأدب والنقد – أبو القاسم محمد كرو – منشورات دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ١٩٨٩ .
- دراسات في التاريخ والتراث – أبو القاسم محمد كرو – منشورات دار

- المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ، ١٩٩١ .
- رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية – أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا الوزير ، تحقيق محمد سواعي – دمشق ١٩٩١ .
- سعيد ودراجته – ريشارد بوت ، تعريب أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- السياسي الأديب يوسف غنيمة ، حياته ، آثاره ، عصره – حارث يوسف غنيمة – بغداد ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- شجرة الأماني (قصص للأطفال) – وليم فولكنز ، ترجمة صلاح مزهر – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- صفحات من تاريخ البعث ، دورات مجلس الحزب ١٩٤٧ – ١٩٥٧ – جورج صدقني – دار طلاس ، دمشق ١٩٩١ .
- ضرورة الإنسان الاقتصادي من أجل الإقلاع الاقتصادي لدول أوروبا الشرقية – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة الدورات) ، فاس ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
- طبيعة الكون – كليف كيلمستر ، ترجمة المهندس محمد بشار حكمت البيطار – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١م .
- ظلال الطيور الهاربة (قصص وروايات عربية) – جنان جاسم حلاوي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- العرب وابن خلدون – أبو القاسم محمد كرو – دار المغرب العربي ، تونس ، بيروت ١٩٨٨ .
- عمدة الطبيب في معرفة النبات (في قسمين) – أبو الخير الإشبيلي ،

- قدم له وحققه محمد العربي الخطابي - أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط . ١٩٩٠ .
- العنصرية الصهيونية والمجتمع الدولي - الدكتور جورج جبور ، دمشق . ١٩٩١ .
- عودة الرجل الغريب (قصص وروايات عربية) - حسن صقر - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- فاتح المدرس فن حديث بروح تعبيرية - طارق الشريف - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- فسر المولى وحصر معانيه والكشف عن حقيقة ما قيل فيه - تأليف أبي الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي ، تحقيق الدكتور حمد بن ناصر الدخيل - الرياض ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- قانون البحار وتطبيقاته في الدول العربية - الدكتور إدريس الضحاك - الرباط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- قصص من العالم (جزءان) - عدد من المؤلفين ، ترجمة غادة بلدي ، ومنتهى حسن حديفة - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- القوة العاملة والتخطيط لها وتطبيقاته على واقع القطر العربي السوري - الدكتور مصطفى العلواني - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- كارل غوستاف يونغ ، الأساسيات في النظرية والممارسة - إيلي هومبيرت ، ترجمة وجيه أسعد - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- كاشف هم الويل في معرفة أمراض الخيل ، أو كامل الصناعتين البيطرة والزرطقة المعروف بالناصرى - تأليف أبي بكر بن بدر الدين البيطار ،

الكتب والمجلات المهداة

١٨٤

- تحقيق الدكتور عبد الرحمن الدقاق - دار النفائس ، بيروت ١٤١١هـ
١٩٩١م .
- الكتاب السنوي للإحصاءات التربوية في الوطن العربي ١٩٨٨ -
١٩٨٩ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .
- محمد الهادي المدني شاعر الوطنية والوفاء - أبو القاسم محمد كرو -
تونس ١٩٩١ .
- مختصر لآلء العرب (الجزء الأول) - ألفه سالم خليل رزق ، حققه
محمد المصري والدكتور علي أبو زيد - منشورات وزارة الثقافة في
الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- المرآتي - محمد بن العباس اليزيدي ، تحقيق محمد نبيل طريفي -
منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- مستدرك الفهرس التاريخي للمؤلفات التونسية - أبو القاسم محمد
كرو - بيت الحكمة قرطاج ١٩٨٨ .
- مسرح الأطفال فلسفة ومنهج - موسى كولدبرغ ، ترجمة صفاء
روماني - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق
١٩٩١ .
- المعجم العربي الأمازيغي (الجزء الأول أ - ض) - محمد شفيق -
أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة (معاجم) ، الرباط ١٤١٠هـ
١٩٩٠م .
- المُعلّم ومرغريتا - ميخائيل بولغاكوف ، ترجمة يوسف حلاق - دار
رادوغا ، موسكو ١٩٩٠ .
- مُعلّمة الملحون (الجزء الثاني - القسم الأول) - تأليف محمد
الفاسي - مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة التراث) ، الرباط
١٩٩١ .

- مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده – خير الله سعيد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- ملتقى ابن منظور الإفريقي ، دراسات الملتقى الثاني ١٩٧٢ في اللغة والأدب والتاريخ – نخبة من الأساتذة – دار المغرب العربي ، تونس . ١٩٧٤ .
- السننيور كيشوت – غراهام غرين ، ترجمة شاهر حسن عبيد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الموسوعة الصحفية العربية ، الجزء الثاني : مصر ، السودان ، الصومال – د. عواطف عبد الرحمن ، د. نجوى كامل ، د. عاطف عدلي العيد ، د. صلاح عبد اللطيف – تونس ١٩٩١ .
- الموسيقى في سورية أعلام وتاريخ – صميم الشريف – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- موضوعات حول التخطيط والتنمية في الوطن العربي – د. عصام حوري ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- نشرة الإيداع (يناير ، فبراير ، مارس ١٩٨٨) – دار الكتب القومية ، قسم البيولوجرافيا القومية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .
- نشوء الرواية – إيان واط ، ترجمة عبد الكريم محفوظ – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- الولد الصغير المشاكس – فيصل الحجلي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- يوميات يوسف غنيمة (رحلة إلى أوربة ١٩٢٩) – اختارها وعني بها حارث يوسف غنيمة – بغداد ١٩٨٦ .

ب - المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الإصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٢٧٩ - ٢٩٠	١٩٩١	سورية
تاريخ العلوم العربية	٢٠١	١٩٩١	سورية
التراث العربي	٤٣ ، ٤٢	١٩٩١	سورية
الثقافة	تشرين أول ، تشرين ثاني ، كانون أول	١٩٩١	سورية
الثقافة الأسبوعية	٣٥ - ٤٦ ، ٤٨	١٩٩١	سورية
صوت فلسطين	٢٨٦ ، ٢٨٥	١٩٩١	سورية
عالم الذرة	١٤	١٩٩١	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	١٣ ، ١٢	١٩٨٩	سورية
المجلة البطريركية	١٠٧	١٩٩١	سورية
المجلة الطبية العربية	١١٢	١٩٩١	سورية
مجلة القانون	١ - ١٠	١٩٨٩	سورية
المعرفة	٣٣٦ - ٣٣٩	١٩٩١	سورية
الموقف الأدبي	٢٤٣	١٩٩١	سورية
آفاق علمية	٣٣	١٩٩١	أردنية
المجلة العربية للإدارة	١٥/١	١٩٩١	أردنية
مآب	٨	١٩٩١	أردنية
مؤتة للبحوث والدراسات	٢٠١	١٩٩١	أردنية

١٨٧ الكتب والمجلات المهداة

أردنية	١٩٩٠	—	الموسم الثقافي الثامن
الإمارات العربية المتحدة	١٩٩١	٣	دراسات
الإمارات العربية المتحدة	١٩٩١	٩٨	المنتدى
تونس	١٩٩١	٦١	الحياة الثقافية
السعودية	١٩٩١	٧، ٦	نشرة المقتنيات الجديدة
لبنان	١٩٩١	٧	الدراسات الفلسطينية
لبنان	١٩٩١	٤٩٠ - ٥٠٣	الشراع
المغرب	١٩٩١	٨، ٧	الارشاد
المغرب	١٩٩١	٥	دراسات سيميائية
المغرب	١٩٩١	٢٨٤، ٢٨٣	دعوة الحق
المغرب	١٩٩١	٨٥، ٨٣، ٨٢	الوحدة
إيران	١٩٩١	٦	تراثنا
تركيا	١٩٩١	٢٦، ٢٥	نشرة منظمة المؤتمر الإسلامي
كوريا	١٩٩١	١٧	جمهورية كوريا
الهند	١٩٩٠	٤	ثقافة الهند

ج - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء المحاسني

1 - BOOKS:

- Droit International, Bilan et perspectives/par M; Bedjaoui. - Paris, unesco, 1991, Tomes I-2.
- Cartes, Plans et Fortifications Hispaniques De La Tunisie, (XVIé - XIXés.)/par: Juan Bta. Vilar. - Universidad de Murcia 1991.
- Les Musulmans de Valence et la Reconquête (XI - XIII siecles)/par: Pierre Guichard. - Damas, 1991, Deuxieme Tome, (publ. par: Institut Francais De Damas).
- The Museum of Oriental Art, Moscow. Leningrad: Art Publishers, 1988.
- Al-Zahrawi's Al-Tasrif, commemorating its millenary Appearance/by: Sami Hamarneh, off-print of Hamdard Quarterly Journal of Science and medicine. Vol. XXXIII/April-june, 1990, No.2.
- Mondo arabo-islamico, profilo di un risveglio incompiuto/par: antonio Pellitteri, publ. by: cultura nuova libri, italy, 1991.

2 - Periodicals:

- Bulletin D'Etudes Orientales, De grammaire De L'Arabe Aux Grammaires Des Arabes/publ. by: Institut Francais De Damas, 1991, Tome: XLIII, Année, 1991.
- Asie et Afrique aujourd'hui, nos.: 2,5,1991, Moscou.
- Sources unesco, nos. 30,31,1991, Paris, unesco.
- Espana, revue d'information de L'O.I.D, NO.215, nov., 1991.
- Hamdard Islamicus, a quarterly journal at madinat alhikmat, pakistan, no.3, Autumn 1991, vol. xiv.
- Natural Resources and Development, A Biannual collection of recent german contributions concerning the exploration and exploitation of natural Resources/issued by: Institute for scientific co-operation, Tubingen, vol. 34,1991.
- Social sciences quarterly review, issued by: U.S.S.R Academy of sciences no.i, 1991.

- Durham university journal, July, 1991.
- Lettera Dall' Italia, publ. by: Istituto della enciclopedia italiana fon-
-d da G. Treccani, Anno VI, no. 23, LUGLIO – settembre 1991.
- Acta Biologica Cracoviensia, publ. by/Polska Akademia Nauk,
Warszawa. series: Botanica, vol.: xxxI, series: zoologia, vol. xxxI, 1991.

فهرس الجزء الأول من المجلد السابع والستين

(المقالات)

٣ يَنبِغُ مَأَلَفُ السَّاجِعَاتِ وَمَرْتَعِ الشَّوَادِنِ قَدِيمًا حمد الجاسر

(التعريف والنقد)

٢٣ معجم موسوعي وثائقي بالمفردات والمصطلحات الدبلوماسية الدكتور صالح الأشر

٣٧ المستدرك على شعر أبي هلال العسكري الدكتور حاتم صالح الضامن

(آراء وأنباء)

- ٤٩ استقبال ثلاثة أعضاء عاملين في المجمع :
- ٥٠ حفل استقبال الزميل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
- ٥١ كلمة الأستاذ الدكتور شاكِر الفحام نائب رئيس المجمع
- ٥٥ خطاب الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
- ٦٢ خطاب الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
- ١٠٠ حفل استقبال الزميل الأستاذ جورج صدقني
- ١٠١ كلمة الأستاذ الدكتور شاكِر الفحام نائب رئيس المجمع
- ١٠٥ خطاب الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم
- ١١٣ خطاب الأستاذ جورج صدقني
- ١٢٤ حفل استقبال الزميل الأستاذ الدكتور عادل العوا
- ١٢٥ كلمة الأستاذ الدكتور شاكِر الفحام نائب رئيس المجمع
- ١٢٨ خطاب الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
- ١٣٦ كلمة الأستاذ الدكتور عادل العوا : اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية
- ١٥٩ في بيان نسبة كتاب (المنصوري) في الطب الدكتور شاكِر الفحام
- ١٦٦ أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام ١٩٩٢م
- ١٧٨ الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع في الربع الأخير من عام ١٩٩١م
- ١٩٠ فهرس العدد

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

- مشيخة ابن طهمان
- سفر السعادة وسفر الإفاضة ج ١
- شعر دعبل بن علي الخزازي (ط ٢)
- الثقافة الإسلامية في الهند (ط ٢)
- شرح الكافية البديعية لصفى الدين الحلبي
- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا
- نظرات في ديوان بشار بن برد
- التوفيق للتفريق للتعاليبي
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج ٣
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج ٢
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ١
- فتح د. محمد طاهر ملك
- فتح محمد أحمد الدالي
- صنعة د. عبد الكريم الأشر
- لعبد الحمي الحسني
- فتح د. نسيب النشاوي
- فتح د. طيان وميرعلم
- للدكتور شاعر الفحام
- فتح إبراهيم صالح
- وضع محمد رياض المالح
- وضع مراد وسواس
- الدكتور حسني سبيح
- وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (الجامع) ق ١
- سفر السعادة وسفر الإفاضة ، ج ٢ ، ٣
- نوح العنديل
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ٢ ، ٣
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق ١
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة – أحمد بن محمد)
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)
- وضع ياسين السواس
- فتح محمد أحمد الدالي
- لشفيق جبري
- وضع صلاح الخيمي
- فتح نشاط غزاوي
- فتح عبد الغني الدقر
- فتح سكينه الشهباني

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدني كرب
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج ١
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج ٢
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ١
- جمعه ونسقه مطاع الطرايشي
- فتح محمد كامل القصار
- فتح حافظ وبدير
- فتح عبد الإله نهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

- | | |
|----------------------|------------------------------------------------|
| تح مطاع الطرايشي | – تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٢٤ |
| تح سكينه الشهابي | – تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٩ |
| تح غازي طليات | – الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج ٢ |
| تح مصطفى الحديري | – المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي |
| وضع ياسين السواس | – فهرس مخطوطات الظاهرية (المصاحح) ق ٢ |
| تح سبيع الحاكمي | – المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصهباني |
| تح إبراهيم عبد الله | – الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ٣ |
| إعداد رياض مراد | – المستدرك على فهرس (الشعر) |
| تح إبراهيم صالح | – تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش |
| للدكتور عدنان الخطيب | – الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً |
| للدكتور أحمد عروة | – الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا |

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

- | | |
|----------------------------------------|--------------------------------------------|
| تح غلاونجي والذهبي | – المحب والمحبوب للسري الرفاء مج ١ - ٤ |
| صنعة د. يحيى الجبوري | – شعر خدش بن زهير العامري |
| تح سكينه الشهابي | – تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٨ ، ٤٠ |
| تح عبد الإله نهبان | – إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط ٢) |
| وضع غزوة بدير | – فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٦ |
| وضع الحيمي والحافظ | – الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية |
| تح أحمد مختار الشريف | – الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج ٤ |
| دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان ومير علم | – علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب |
| وضع محمد خير محمد | – فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٥ |

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٨

- تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثالثة) .
- رسالة ابن فضلان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان (ط ثانية) .
- المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي (ط ثانية) .
- البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثانية) .
- الإلتباع لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق الأستاذ عز الدين التبوخي (ط ثانية مع استدراك للأستاذ أحمد راتب النفاخ) .
- عمر فروخ ، كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام ، للدكتور عدنان الخطيب .
- الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، حياته وآثاره (فصله) للدكتور عدنان الخطيب .
- الدكتور صبحي الحمصاني ، حياته وآثاره (فصله) للدكتور عدنان الخطيب .
- الأستاذ عبد الهادي هاشم فقيده المجمع (فصله) ، للدكتور شاكر الفحام .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٩

- ديوان أبي الفتح البُستي ، تحقيق درية الخطيب ، لطفى الصقال .
- الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي .
- تحقيق محمد صغير حسن المعصومي .
- فصول التماثيل في تباشير السرور لأبي العباس عبد الله بن المعتز .
- تحقيق وتقديم الدكتور جورج قناز ، الدكتور فهد أبو خضرة .